جامعة عبد الرحمـن ميرة "بجاية"

كلية الأداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة

الصراع الإيديولوجي بين السلطة والمثقف في الرواية المغاربية، سيدة المقام لواسيني الأعرج -أنموذجا-

مذكرة مقدّمة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب عربي حديث و معاصر

إعداد الطالبتّان:

عباس جميلة

مهابة ثيللي

إشراف الأستاذ:

قلايلية أعمر

تاريخ المناقشة 2019/09/16

لجنة المناقشة

امقران حكيم ---------- رئيسا

أعمر قلايلية ---------- مشرفا ومقررا

فلاق محمد ---------- ممتحنا

السنة الجامعية2018-2019

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الشكر لله أولا وأخيرا على حسن توفيقه وكريم عونه وعلى من وفتح علينا من انجاز لهذا البحث.

نتوجه بصدق الوفاء و الإخلاص، بكل الشكر و العرفان إلى الأستاذ المشرف "عمر قلايلية" الذي حرص على متابعة هذا العمل المتواضع منذ بدايته و حتى نهايته.

إلى كل أساتذتنا الكرام في قسم اللغة العربية، و إلى جميع طلابها.

الى كل أستاذ تعب وسهر لتقديم الأفضل لطلابه من بداية المشوار الدراسي إلى نهايته.

وشكرا من صميم القلب لكل من قدم لنّا يد المساعدة ولو بكلمة طيبة.

الاهداء

أهدي عملي وثمرة تعبي إلى:

من أنار لي درب العلم والمعرفة، وحثني على الطريق الصحيح وكان له الفضل في تربيتي والدي العزيز محمد.

إلى نور عينيّ،إليك يا نبع الحنان، الحب والأمان ويا من كانت الجنة تحت قدميك، وسهرتِ على تربيتي والدتي العزيزة سميرة.

أحبكما وأطال الله في عمركما.

إلى من تحمل عنادي وعصبيتي أخواتي رفيق ، مروان، وسام. حفظكم الله .

إلى جدي وجدتي وأخوالي وأعمامي وكل أفراد عائلتي...

إلى جدي وجدتي –رحمهما الله –اللذين طالما انتظرا تخرجي لكن قدّر الله وما شاء فعل.

إلى أستاذي المحترم" أعمر قلايلية" أقول لك من صميم القلب شكرا لك كنت نعم الأستاذ المشرف. وإلى كل أساتذة قسم اللغة والأدب العربي في جامعة بجاية.

إلى زميلتي ثيللي التي شاركتني في إعداد هذه المذكرة المتواضعة .

والى كل صديقاتي واحدة واحدة سيليا، حنان،حسيبة ،ونيسة كهينة، ثيللي، سامية كريمة نادين

وإلى كل من استوطنوا قلبي ولم يذكرهم لساني ...

حجيلة

الاهداء

أهدي عملي هذا :

إلى من لم تدخر نفسا في تربيتي، أمي الحنونة "جميقة"

إلى من تشققت يداه في سبيل رعايتي، أبي الغالي "كمال"

إلى الذي عمر فصول عمري بربيعه المشرق، فكان حبا متدفقا في ثنايا القلب، زوجي "براهيم" قرة عيني.

إلى أغلى وأعز ما أملك في الوجود صغيري ونورعيني الذي رافق أمه في هذه الرحلة وهو لم يخرج للحياة بعد.

إلى أخواتي الغاليات: سيلية، تنهينان، ثنينة.

إلى أخوايا الكراو: ميسيبسا، والكتكوت الصغير بهجة البيت وفرحها مسيناس.

إلى عائلة زوجي حفظهم الله ورعاهم

إلى رفيقات دربي و حياتي، ، حنان، سامية، جميلة، ونيسة.

إلى من تقاسمت معي عناء البحث: جميلة

إلى الأستاذ المشرف الذي أرشدنا في بحثنا هذا خطوة بخطوة وأهدانا التواضع "عمر قلايلية".

إلى كل من وسعه قلبي ولم يسعه قلمي، إلى كل من قرأ هذا الإهداء ولم يجد اسمه،

ثيللي

الحمـد لله نحمـده ونسـتعينه وصـل اللّهـم وسـلم وبـارك علـى سـيدنا محمـد صـلى الله عليه وسلم، وعلى آله وأصحابه ومن ولاه إلى يوم الدين.

إن موضـوع بحثنـا هـو الصـراع الأيـديولوجي بـين السـلطة والمثقـف فـي الروايـة المغاربيـة، واتخـذنا مـن روايـة سـيدة المقـام لواسـيني الأعـرج أنموذجـا، فهـو موضـوع جدير بالبحث نظرا للواقع المرير الذي عرفته المجتمعات المغاربية.

تتربـع الروايـة الجزائريـة علـى مكانـة مرموقـة وتحمـل قضـايا مهمـة، وهـي منـذ لحظـة تكوينهـا تحمـل صـوت الأديـب وآلام الشـعوب. فالروايـة هـي الجـنس الأنسـب للتعبيـر عـن واقعنـا، وخاصـة إذا كـان هـذا الأخيـر متأزمـا، حيـث عاشـت الجزائـر فـي مطلـع التسـعينيات أزمـة دمويـة حقيقيـة إلـى حـد الحـرب الأهليـة، والتـي هـددت بنسـف أركـان الدولـة وتحطـيم أسـس المجتمـع، ممـا أحـدث صـدمة عنيفـة فـي الـوعي الشـعبي، عرفـت هـذه الفتـرة إعلاميـا بـــ "العشـرية السـوداء وسـنين الجمـر" وغيرهـا مـن المصـطلحات والتسـميات التـي أدخلـت الجزائـر فـي متاهـات الأسـئلة المعقـدة. فروايـة التســعينات رصــدت أزمــة الجزائــريين فــي كــل جوانبهــا السياســية والاجتماعيــة والدينيـة، حيـث بـرز الصـراع بـين السـلطة والجماعـات الإسـلاموية المتطرفـة، ليغـدو التـاريخ والـدين، السياسـة والثقافـة وحتـى الإرهـاب مواضـع بالغـة الأهميـة فرضـت نفسها على رواية العشرية الدموية.

ولقـد جـاء الهـدف مـن دراسـتنا متمـثلا أساسـا فـي الكشـف عـن الصـراع القـائم بـين السـلطة والمثقـف فـي زمـن قيـام الأيديولوجيـة الدينيـة والسـلفية، وكـان هـذا مـن أهـم الأسـباب التـي دفعتنـا إلـى اختيـار هـذا الموضـوع، كمـا أن رغبتنـا المتأصـلة فـي إزالـة السـتار عـن هـؤلاء الاسـلامويين الـذين يتسـترون بحجـاب الـدين قـامعين المثقـف حرفيـا، كـذلك بغيـة الكشـف عـن طبيعـة هـذه الروايـة التـي شـكلت منعرجـا فـي كتابـات واسيني الأعرج والتي اختلفت عن سابقاتها.

علـى هـذا الأسـاس تتمثـل إشـكالية البحـث وفقـا للطـرح التـالي: مـا مـدى تجلـي الصـراع القـائم بـين السـلطة والمثقـف فـي الروايـة المغاربيـة، وفـي روايـة سـيدة المقـام

واسـيني الأعـرج خصوصـا؟ ومـاهي الأشـكال والأبعـاد التـي اتخـذها؟ وإلـى أي مـدى تفاعل المثقف مع المستجدات المطروحة على الساحة خلال فترة التسعينات؟

قصـد الإجابـة علـى هـذه الأسـئلة الإشـكالية فضـلنا القيـام بدراسـة وصـفية تحليليـة علـى روايـة سـيدة المقـام، وقـد اقتضـت الضـرورة إلـى تقسـيم بحثنـا وفـق هـذا التنظـيم: مقدمـة، مـدخل، فصـلين، وخاتمـة، وسـنقف علـى أهـم النقـاط التـي رصـدناها فـي كـل قسم:

لقـد كـان المـدخل حيـزا للتحـدث عـن بعـض المفـاهيم والتعريفـات بعنـوان المثقـف والسلطة الماهية والمفهوم.

وقـد تـلا الفصـل الأول المـدخل مباشـرة، وقـد اخترنـا لـه عنـوان " دور المثقـف في الوطن العربي" يمثل هذا الفصل الجانب النظري من الدراسة وقد تناولنا فيه:

- دور المثقف في المشرق العربي.
- المثقف المغاربي من الاستعمار على الاستقلال
- صراع المثقف المغاربي مع المستعمر وموقفه منه.
- صراع المثقف المغاربي مع مجتمعه.
- المثقف وموقفه من الصراعات السياسية

أمـا الفصـل الثـاني فهـو الجانـب التطبيقـي للبحـث، وجـاء عنوانـه "النـزوع الأيديولوجي في رواية سيدة المقام " وتناولنا فيه أربع عناصر أساسية:

-الشخصيات دلالتها ووظيفتها الأيديولوجية.
- التوظيف الأيديولوجي لزمان ومكان الرواية.
- البعد الأيديولوجي للأحداث.
- أيديولوجية رواية سيدة المقام.
- مآل الصراعات الإيديولوجية للعنف.

وينتهـي البحـث بخاتمـة للفصـلين ومـن الطبيعـي أن يتطلـب موضـوع كهـذا قـراءة مراجـع متنوعـة ذات صـلة بالموضـوع المطـروح، أهمهـا كتـاب صـورة المثقـف فـي

الروايــة المغاربيــة لأمـين الـزاوي وآخـرون، وكـأي بحـث علمـي يحـاول كشـف الحقيقـة والتنقيـب عـن مـا وراء الحقيقـة، صـادفتنا مجموعـة مـن العراقيـل التـي لـم تكـن حجـرة عثـرة بقـدر مـا كانـت دافعـا للتحـدي أهمهـا: ضـيق الحيـز الزمـاني الـذي لـم يسـمح لنـا بالتعمق أكثر في بعض الأمور، وصعوبة في اقتناء بعض المراجع المهمة.

نقتطـع هـذه المسـافة لنقـول أن هـذا البحـث مـا كـان ليخـرج لحيـز الوجـود لـولا مسـاعدة الأسـتاذ المشـرف "عمـر قلايليـة" الـذي قـدم لنـا الـدعم مـن بدايـة البحـث حتـى نهايتـه، ولـم يبخـل علينـا بتوجيهاتـه ونصـائحه القيمـة، والشـكر موصـول إلـى كـل مـن ساعدنا سواء من قريب أو بعيد.

ختاما نقول: إن أصبنا فمن الله وحده، وإن أخطئنا فمن أنفسنا والشيطان.

عرفت البلدان المغاربية فترة عويصة، وحقبة أدخلتها في عدة مشاكل وأزمات وانتكاسات بدءا بالاستعمار الذي حاول القضاء على كيانها ودحض هويتها وأصالتها، إلى سلطة فاسدة غاشمة همها الوحيد اعتلاء كرسي السلطة وخدمة مصالحها على حساب مصالح الشعب، إلى الإرهاب الذي تستر بحجاب الدين والإسلام، فارتكب مجازر وخلف عدة ضحايا وأرامل ويتامى...، وهذا ما أدى إلى ظهور نخبة من المثقفين حاولوا التصدي لهم، وتطرقوا لمعالجة عدة قضايا مختلفة رافضين العنف بكل أشكاله، كما حاولوا تجاوز هذه السلطات والعقبات التي وقفت في طريقهم.

وقبل الخوض في عمق هذه المذكرة وجب علينا أولا أن نتعرف على كل من ماهية المثقف ومفهوم السلطة في كل من التراث الغربي والعربي بعد أن نقوم بتعريفه في القران الكريم.

كثر المؤلفون والمؤلفات في جميع اللغات سواء كانت عربية أم أعجمية، وبسب بعض المصطلحات الغامضة والشائكة فكر علماء اللغة بضرورة إزالة اللبس والإبهام عن هذه المصطلحات. فقاموا بوضع معاجم متنوعة لغوية كلسان العرب لابن منظور، قاموس المحيط لفيروز أبادي ومعجم العين لابن أحمد الخليل الفراهيدي، والمعجم الفلسفي لجميل صليبا وغيرهم، وأخرى اصطلاحية كمعجم مصطلحات نقد الرواية للطيف زيتوني ناهيك عن بعض المؤلفات الأخرى التي لا نستطيع ذكرها في هذا المقام.

ومن هذا المنطلق يتبادر إلى أذهاننا ضرورة طرح سؤال على أنفسنا ما مفهوم المثقف ما مفهوم السلطة في المعاجم لغة واصطلاحا ؟ في كل من تراثنا العربي والغربي، وما هو مفهوم المثقف عند الإيطالي انطونيو غرامشي ؟ وما هي أنواع السلطة يا ترى؟

مفهوم المثقف:

1-المثقف في القران الكريم

وردت لفظة ثقف في القرآن الكريم بمعنى «وجدوا، أخذوا لذلّتهم وقلّتهم».[1] و ذلك في قوله عّز وجّل في سورة الأحزاب: {مَلْعونين أينما ثقِفوُا اخذوا وقتلوا تقتيلا}.[2]

ووردت هذه الكلمة في آية أخرى فيقول تعالى:{ضُربَت علَيْهم الذِّلَّةُ أين ما ثُقفُوا إلاّ بحبل مّن الله وحبل مّنَ النّاس}.[3] فهنا حملت معنى «ألزمهم الله الذّلة والصغار أينما كانوا»،[4] أي أين ما ثُقفُوا بمعنى أينما كانوا.

وقد جاءت في سورة البقرة لتحمل معنى حيث وجدّتموهم وأدركتموهم ويقول الله تعالى في هذه الآية: { وَاُقتُلُوهُمْ حيث ثَقفْتُمُوهُمْ وَأخرجوهم من حيثُ أخرجوكم والفتنة أشدّ من القتل}.[5]

أمّا في سورة الأنفال فقدت جاءت بمعنى أخر غير المعنيين السابقين إذ أن ثقف في هذه الآية حملت دلالة المصادفة والظفر بهم فقد ورد في تفسير بن كثير « تغلبهم وتظفر بهم في حرب»،[6] فقال تعالى: {فإمّا تَثْقَفَنَّهُمْ في الحرب فَشَرّد بهم من خلفَهُم لعَلّهم يذَّكَّرونَ}.[7]

كلمة " تقف " في القرآن الكريم تحمل دلالات ومعاني مختلفة من آية إلى أخرى.

---

[1] - أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القريشي الدّمشقي: تفسير القرآن العظيم، تح سامي بن محمد السلامة، ط1 ، 1998، ط2 ، 1999 ، ج6، النور – يس، دار طيبة للنشر والتوزيع، ص 483.

[2]- سورة الأحزاب، الآية 61.

[3]- سورة آل عمران، الآية 112.

[4]- أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القريشي الدّمشقي: تفسير القرآن العظيم، تح سامي بن محمد السلامة، ط1، 1998، ط2، 1999، ج2، آل عمران – النساء، دار طيبة للنشر والتوزيع، ص 104.

[5]- سورة البقرة، الآية191.

[6]- أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القريشي الدّمشقي: تفسير القرآن العظيم، تح سامي بن محمد السلامة، ط1، 1998، ط2، 1999، ج4، الأنفال – النحل، دار طيبة للنشر والتوزيع، ص 78.

[7]- سورة الأنفال، الآية57.

2- المثقف في التراث الغربي :

أرجع معظم الدارسين أنّ تاريخ ميلاد المثقف عند الغرب راجع إلى قضية دريفوس التي كانت له خلفيات سياسية، كما أنّ هذه القضية قسمت النخبة الفرنسية إلى نوعين، الأول مناصر لهذا الضابط، الذي اتهم بالخيانة والتجسس لصالح ألمانيا رغم نقص الأدلة الموجهة له، أما النوع الثاني فهو المعاد له.
فمفهوم«المثقف L'intellectuel إذا نشأ أول ما نشأ بفرنسا، مع انفجار قضية دريفوس 1894».[1] من هنا ظهرت نخبة من المثقفين متشكلين من المفكرين والأدباء والذين طالبوا ببراءة دريفوس وفك الظلم والجبروت عنه، فحدث صراع بين السلطة والمثقفين.

كما كانت لقضية فولتير المعروفة بكلاس دور مهم في ظهور هذه النخبة المثقفة، إذ تتمحور هذه القضية في محاولة الأب كلاس التغطية على ابنه الذي قام بخرق ومخالفة تعاليم المسيح، إذ أنّه أقبل على الانتحار.

قام هذا الأب بتحويل هذا الانتحار إلى جريمة قتل، وبذلك كان المتهم الأول وأُعدم. ولهذا حاولت زوجته الاستعانة بفولتير وإقناعه بإعادة فتح ملف القضية وأثبات براءة زوجها كلاس. فكلا القضيتان الأولى " دريفوس" والثانية " كلاس" عبارة عن محاولة لتسامح والتصالح. فالمثقف إذا ولد من رحم قضيتا فولتير ودريفوس فهاتان« القضيتان اعتبرتا في تاريخ الفكر الغربي نموذجا لسلوك المثقف في مواجهة طغيان السلطة أو سلطة الطغيان».[2]

[1]- محمد الشيخ: المثقف والسلطة، دراسة في الفكر الفلسفي الفرنسي المعاصر، ط1، 1991، دار طليعة للطباعة والنشر، ص 14.
[2]- المرجع نفسه، ص 15.

أ- المثقف لغة: ربط الغرب كلمة ثقافة(Culture)التي اشتقوا منها الفعل "ثقف" بتابعة تلحقها أو متمم يكملها،فقالوا:«ثقافة الذاكرة، ثقافة العقل، ويصادف فعل ثَقَفَ بالمعنى ذاته».[1]

أما في المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة حمل معنى الفطنة والذكاء أولا ثم التهذيب والحضارة ثانيا، فجاء في هذا المعجم على النحو التالي«الثقافة kultur Culture/Cultura/، من ثقف بمعنى حذق وفطن، ومن كلتورا اللاتينية بمعنى الفلاحة و التهذيب، ويستخدمها البعض بمعنى الحضارة، وإن كانت الحضارة هي الثقافة في مرحلتها المتقدمة حيث الحضارة من الحضر والتحضر وتفيد التمدين».[2] فالمثقف مرتبط بالثقافة والتي بدورها متصلة بالحضارة والتي تعني التمدين والتحضر والتقدم.

بـ -المثقف في الاصطلاح:

يعرف ماكس فيبر(MAX WEBER)المثقف بأنّه: « هو الشخص الذي تمكنه صفاته الخاصة من النفاذ إلى منجزات لها قيمة ثقافية كبرى، ويرى بارسونز(Parsons)أنّ المثقف هو الشخص المتخصص في أمور الثقافة ويضع اعتبارها فوق الاعتبارات اليومية المعتادة، بينما يرى لويس فوبير(L.Faubert) أنّ المثقف هو المتعلم والمهني من الطبقة الوسطى الذي يختلف عمن يعمل بالصناعة والتجارة في الطبقة العليا».[3]

---

[1]- اندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، تع خليل أحمد خليل، مجلدA-G منشورات عويدات، ط2، 2001، ص241.

[2]- عبد المنعم الحنفي: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي القاهرة، ط 3، 2000، ص233.

[3]- حيدر علي محمد: إشكالية المثقف عند غرامشي، رسالة مقدمة إلى جامعة بغداد بكلية الآداب قسم الفلسفة، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في الفلسفة، 2004، ص124.

من خلال كل هذه المفاهيم نتوصل للقول أن المثقف هو الذي يكون متعلما ومؤهلا لانجاز مشروع ثقافي، شرط أن يكون مختصا في ذلك الإطار الثقافي فيمارس مهنته بكل إتقان وحرفية.

يذهب جان بول سارتر(Jean-Paul Sarter) ليطلق عليه تعريفا مرادفا لمصطلح الإنسان المتطفل الذي يتدخل في أمور لا تعنيه، ويناقض بعض الحقائق فنجده يعرفه بأنّه «إنسان يتدخل ويدس أنفه في مالا يعنيه، ويدعى أنّه يعارض ويناقض مجمل الحقائق المكتسبة وأنماط السلوك التي تستوجبها، وذلك باسم تصور إجمالي».[1]

3-المثقف في التراث العربي:

3-1-المثقف لغة: في كل معاجم اللغة العربية، لم ترد لفظة مثقف وإّنما وجدنا كلمة "ثَقَفَ".

جاء في لسان العرب أنّ كلمة" ثَقَف"هي:«ثَقِفَ الشَيْءُ ثَقْفًا وثِقَافًا وثقُوفَةً:حَذَقَهُ، ورجل ثُقْفُ وثَقِفٌ:حاذقُ، فهم وقال أبو زياد، رجل ثَقْفٌ».[2]

كما نجد في قاموس المحيط أنّ ثَقَفَ تحمل أيضا معنى الحذق:«ثَقَفَ ثَقْفًا وثقَافًا وثَقَافَةً، صار حاذقا، خفيفا فطنا فهو مثقف».[3] فكلا التعريفين السابقين للمثقف يحملان معنى الذكاء وسرعة الفقه والفهم والفطن.

لم يختلف جميل صليبا عن سابقيه ابن منظور وفيروز أبادي في تعريفه للمثقف المشتق من مادة ثَقَفَ، فقد ُورِدَ في معجمه على النحو التالي: «الثقافة،

---

[1]- جان بول سارتر: دفاع عن المثقفين، تر:جورج طرابليشي ط1، 1973م، دار الآداب بيروت مكتبة بغداد، ص11.

[2]- ابن منظور: لسان العرب، تح عبد الله علي الكبير، محمد أحمد الله هاشم، محمد الشاذلي، مجلد الأول ط1، دار المعارف 1119 م، كورنيش القاهرة ج.م.ع، ص 49.

[3]- فيروز أبادي: قاموس المحيط، ج1، دار الكتب العلمية بيروت لبنان،1999م، ص117.

ثقف الرجل ثَقَافةً صار حاذقا وثقفت الشيء حذقته، والرجل المثقف: الحاذق الفهم وغلام ثَقِفٌ: أي ذو فطنة وذكاء، والمراد أنه يحتاج إليه».[1]

3-2- المثقف اصطلاحا:تداول مصطلح المثقف لدى عدد كبير من المفكرين إذ عرفه كل واحد بطريقته.

أطلق عبد الله العروي لفظة المثقف على «المفكر أو المتأدب أو الباحث الجامعي، وفي بعض الأحيان حتى على المتعلم البسيط».[2]

أما إدوارد سعيد فقد عرفه بقوله: «Intelligentsia التي جرى العرف في الوطن العربي على ترجمتها بالمثقفين أو حتى بطبقة المثقفين، بمعنى الذين يقومون بأعمال ذهنية أو تلقوا قدرا من التعليم يؤهلهم لممارسة هذه الأعمال».[3]

من خلال هذا التعريف يتبادر إلى أذهاننا أنّ إدوارد سعيد ربط المثقف بالأشخاص الذين يقومون بأعمال ذهنية فكرية، فالمثقف عنده مرتبط بالفكر، والمفكر عنده هو كل «من حصل على قدر من التعليم يؤهله لإطلاق تعبيرنا الشائع عليه المثقفين أو المتعلمين حتى وإن لم يبلغ علمه درجة التخصص».[4] فالمثقف عنده إذا هو الذي يعتمد على الفكر وتشغيل العقل أكثر ممن يعتمد على قدراته الجسدية أو اليدوية.

بعد كل هذه التعريفات التي عرضناها في التراثيين العربي والغربي، نتوصل للقول أن أمين الزاوي استطاع أن يجمع كل مفاهيم السابقين في مفهوم واحد، ويعد بمثابة إشكالية يطرح فيها مفهوم المثقف فنجده يعرفه بقوله:«هل المثقف هو المفكر المسلح بالبصيرة بمفهوم ماكس فيبر أم هو المفكر المتخصص في أمور الثقافة والفكر الحر البعيد عن أمور الحياة بمفهوم بارسونز، أم هو

[1]- جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، ج1، بيروت لبنان، 1982م، ص378.
[2]- العروي عبد الله: ثقافتها في ضوء التاريخ، ط 1997 4 ، المركز الثقافي العربي، ص172.
[3]- إدوارد سعيد: السلطة و المثقف، تر محمد عناني، ط2006 1، رؤية للنشر والتوزيع القاهرة، ص9.
[4]- المرجع نفسه، ص 10.

المثقف العضوي بمفهوم غرامشي أم هو المتعلم بمفهوم الأفغاني، أم هو الشخص المتميز عن عامة الناس لأنّه يدرك الفوارق الدقيقة الكائنة بين ظل الفكرة الواحدة بمفهوم زكي نجيب محمود، أم هو العالم الذي يخرج باهتماماته وعمله من حدود علمه المتخصص إلى أفاق المصالح الإنسانية المشتركة بمفهوم جان بول سارتر، أم هو هذه التعريفات جميعها؟».[1]

فهذا الباحث قدّم لنا مصطلحات مختلفة للمثقف وليدة بعض الأدباء و المفكرين الذين يصبون جلّ اهتمامهم بالعلم والفكر أو المعرفة، كما أنّ المثقف أيضا لا يقتصر على تعريفات هؤلاء الباحثين فقط، فكل مفكر وباحث يعرفه بطريقته الخاصة.

1/مفهوم المثقف عند انطونيو غرامشيANTONIO GRAMS :

يعد الإيطالي غرامشي المنظر الأول للمثقف والمثقفين، إذ أنّه لم يخصص الثقافة لفئة معينة دون أخرى فحسب اعتقاده «كل إنسان مثقف وإن لم تكن الثقافة مهنة له».[2]

ميّز غرامشي بين ثلاثة أنواع من المثقفين، ولكل واحد منهم خاصيته التي ينفرد بها عن غيره والتي تميزه عن نوعه الآخر، فقد خص النوع الأول اسم المثقف التقليدي الذي يكون تقليديا في كل شيء في تفكيره أو في طريقة عيشه. أما النوع الثاني فقد سماه بالمثقف العضوي الذي أولى أهمية فائقة له، لكونه وجده مستقلا بطريقة تفكيره فهو متحضر وغير مقيد فهو عكس الأول، في حين أطلق على المثقف الثالث مصطلح مثقفو الشمال و مثقفو الجنوب، وقد عرف منذ القديم أن الشمال هي الجهة المتحضرة والجنوب عكسها. ناهيك عن كل هذه الخصائص فما هي مميزات كل نوع من هذه الأنواع؟

---

[1]- أمين الزاوي: صورة المثقف في الرواية المغاربية، الفهوم والممارسة، دار النشر راجعي، الجزائر 2009، ص25.

[2]-المرجع نفسه، ص 28.

1/1 *المثقف التقليدي(traditionnel)*:

لم يضع غرامشي تعريفا واحدا للمثقف التقليدي في كتابه بل قدم عدة تعريفات، وقد اعتبر هذا النوع من المثقفين أكثرهم إثارة واهتماما وهذا ما قاله بيوتي:«إنّ تكوين المثقفين التقليديين هو المشكلة الأكثر إثارة للاهتمام».[1]

ويضيف قائلا:«يستخدم غرامشي هنا مفهوم المثقف التقليدي للإشارة إلى الفلاسفة المثاليين فهم يطرحون أنفسهم على أساس أنّهم مستقلون عن الطبقات الاجتماعية وممثلو لاستمرارية تاريخية ترجع أصلها إلى أفلاطون وكروتشيه وهو الممثل النموذجي لهذه الفئة من المثقفين».[2]

فجان مارك بيوتي jean-mark B هنا طرح مشكلة الاستمرارية التاريخية التي تعود جذورها إلى كل من أفلاطون وبينيدتو كروتشيه B.Croce الذي اعتبره أفضل مثال عن المثقف التقليدي.

ذهب غرامشي ليؤكد رأي بيوتي حول الاستمرارية التاريخية للمثقف التقليدي على الرغم من انقطاع أدوارهم وظائفهم، فنجده يبرهن رأي بيوتي بقوله:« في اللحظة التي عامت فيها على سطح الأرض آتية من البنية الاقتصادية السابقة التي تعبر عن واحد من تطوراتها، قد وجدت زمر من المثقفين كانوا موجودين وكانوا يظهرون فضلا عن ذلك بمظهر ممثلي لاستمرارية تاريخية».[3]

فهذا النوع من المثقفين يعمل «على تحليل الميول التاريخية للطبقات الاجتماعية».[4]

فالمثقف التقليدي إذا يكون بعيدا كلّ البعد عن الطبقات الاجتماعية المختلفة كالبرجوازية والأرستقراطية وغيرها لكنّه يمثّل النموذج الأفضل للاستمرارية التاريخية، لكونهم ربّما يقومون بأعمالهم مدّة زمنية طويلة دون أن يملّوا منها،

[1]- حيدر علي محمد:إشكالية المثقف عند غرامشي، ص، 150.
[2]- المرجع نفسه، ص155.
[3]- المرجع نفسه، ص150.
[4]- المرجع نفسه، ص 157.

«المثقّفين التقليديين مثل المعلّمين والكهنة والإداريين وهم الذين يستمرون في أداء ذلك العمل نفسه جيلا بعد جيل». [1]

كما يجب أن نشير أن المثقف التقليدي (Traditionnel)، «ينتمي إلى الطبقة الذاهبة إلى الزوال والتي تعيش لحظة الهدم التاريخي أمام تصاعد وتعاظم هيمنة طبقة أساسية جديدة، وهو الذي يقوم الحياة المدنية للكتلة التاريخية العتيقة».[2]

ذكر أمين الزاوي في كتابه صورة المثقف في الرواية المغاربية، أنّ أنطونيو غرامشي فرّق المثقفين على النحو التالي: ريف، حضر، شمال، جنوب.

المثقف التقليدي إذا هو نفسه المثقف الريفي «المرتبط بواقع ريفي متخلّف وتقليدي (Artisanal) والمتميّز بالتقليدية والانتماء إلى الفكر الغيبي المنسجم مع البنية الريفية الفلاحية التقليدية».[3] مما يعني أن هذا النوع من المثقفين محدودي الفكر، فهم يتخذون من البساطة والتقليدية مبدأ لحياتهم، إذ نجدهم ينسجمون ويندمجون مع البنية الريفية من جهة وينخرطون في المجتمع ويتعايشون معهم من جهة أخرى.

«يتميّز بضيق الفكر وجموده ويستند في الرفع من مكانته الاجتماعية فهو المثقف الأكثر انسجاما مع مجتمعه ومع السلطة». [4]

يتفق كلّ من غرامشي وأمين الزاوي في النقطة الأخيرة المتمثلة في علاقة المثقف التقليدي بالسلطة، وأنّه الأكثر انسجاما وتوافقا مع مجتمعه ومع السلطة، فيقول غرامشي « إنّ واحدة من أهمّ السمات المميّزة لكلّ فئة تسعى إلى الوصول إلى السلطة هي النضال الذي تخوضه لكي تمثّل وتستوعب (إيديولوجيا) المثقفين

[1]- إدوارد سعيد: السلطة والمثقف، ص33.
[2]- أمين الزاوي: صورة المثقف في الرواية المغاربية، ص 28.
[3]- المرجع نفسه، ص 29.
[4]- المرجع نفسه، ص 29.

التقليديين، وهذان التمثل والاستيعاب يتمان بسرعة وفعالية أكبر إذا قامت الفئة المشار إليها بإجراء مزيد من التغيير في صفوف مثقّفيها العضويين».[1]

ويضيف أيضا: « مشكلة المثقفين التقليديين تكمن في انحلال ذهنيتهم التاريخية، لكن يتمّ هذا الانحلال إيديولوجيا من خلال بقاء اتصالهم بالطبقات الاجتماعية حتى تقوم نفسها وتعيد استمرارها التاريخي».[2] وهذا ما يعني أن المثقف التقليدي لا يحمل رسائل أو إيديولوجيات معينة، فهو يكتفي في الاندماج مع المجتمع ومع تاريخه لا أكثر ولا أقل.

رغم كلّ هذا فإنّنا نجد غرامشي قد أجحف في حقّ المثقف التقليدي، إذ اعتبره بقايا من شظايا الحطام الثقافي فوجودهم وعدمهم هو نفسه، فلا فرق بين حضورهم وغيابهم، ولعلّ هذا راجع لكون هذه الطبقة « زائلة أو في طريقها إلى الموت فرغم وجودها فهي لا تعتبر طبقة اجتماعية أساسية ».[3]

فيقول عنها : « إنّ المثقفين التقليديين هم ذلك الحطام الثقافي الاجتماعي الذي بقي من انفجارات تاريخية سابقة وماضية».[4]

1/ 2 المثقف العضوي:

يعرف الايطالي انطونيتا ماكشيوكشين المثقف العضوي قائلا :«المثقف العضوي هو المثقف الذي تكون علاقته مع الطبقة الثورية ينبوع تفكير مشتركا، فليس هو ذلك النرجسي، الفرداني الملحق على أجنحة الفكر الحر، والذي يقيم علاقة مضببة أو سرية مع الطبقة الاجتماعية».[5] ما نفهمه من هذا التعريف أن المثقف العضوي هو عكس المثقف التقليدي، وذلك راجع لكون هذا النوع الثاني

---

[1]- حيدر علي محمد: إشكالية المثقف عند غرامشي، ص 151.

[2]- المرجع نفسه، ص 152 .

[3]- المرجع نفسه، ص 152 .

4- المرجع نفسه، ص 152 .

- المرجع نفسه، ص159.[5]

- العضوي- كان مع اتصال بالطبقة الثورية والعمال، فهو ذو تفكير حر كما يعي رسالته ويهتم بها، بالإضافة إلى كونه لا يفرض إيديولوجيته على شعبه بل يتفاعل معهم ومع الثقافات الأخرى، فهو كثير الإطلاع.

كما أنّ هذه الطبقة هي فئة من خريجي الجامعات «المتعلمين من غير العاملين في الدولة أو العاطلين عن العمل، والمتفاعلين بشكل نقدي احتجاجي مع المجتمع وكذلك مثقفي الطبقات والأحزاب».[1]

زيادة عن كل هذا فإنّ غرامشي يرى أنّ المثقف العضوي ما هو إلا ذلك الشخص الذي ينحاز إلى طبقة إيديولوجية واعية، تسعى إلى التغير الدائم في سبيل التجدد و التقدم «إنّه المثقف الذي ينحاز إلى طبقة وإلى إيديولوجية وينظّر لها في إطار المفهوم الغارمشي للهيمنة الإيديولوجية في سبيل التحول عمّا هو كائن إلى ما يجب أن يكون».[2] أي هو شخص ذو تفكير إيديولوجي متحضر يهدف إلى التغيير نحو الأفضل وتكوين مشروع أخلاقي إصلاحي.

فغرامشي إذا قصد« بالمثقف العضوي ذلك المثقف الحزبي أو غير الحزبي القادر على تبيين أنّ الواقع الاجتماعي القائم غير طبيعي ويمكن تغيره بالقدرة على تحليل ثقافته ونقدها».[3]

كما لابد من الإشارة إلى أنّ التغيير يقصد به تغيير كل أوضاع المجتمع سواءً كانت فكرية، ثقافية، سياسية، أخلاقية أو حتى اجتماعية، ويمكننا إثبات هذا الرأي استنادا إلى قول غرامشي «إن المثقفين المنسقين يشاركون مشاركة ايجابية في

[1] - عزمي بشارة: عن المثقف والثورة، مجلة تبين العدد الرابع، ربيع 2013، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسيات، ص5.
[2]- المرجع نفسه، ص 5.
[3]- المرجع نفسه، ص 5.

النشـاط الاجتمـاعي بمعنـى أنهـم يناضـلون دائمـا فـي سـبيل تغييـر الأفكـار والآراء وتوسيع الأسواق».[1]

وكتوضـيح بسـيط نلاحـظ أن التعريـف السـابق فيـه لفظـة " المنسـقيين "بـدل مـن لفظـة "العضـويين" علمـا أن المثقـف المنسـق أو المثقـف العضـوي هـو نفسـه، إذ اختلفـوا فقـط فـي التسـمية فـالأول اسـتخدمه إدوارد سـعيد، فـي حـين أنّ الثـاني ولـد عنـد الإيطالي انطونيو غرامشي.

المثقـف العضـوي إذا يقـوم بإصـلاح الأوضـاع وتغييرهـا نحـو الأفضـل فهـو يحمـل «علـى عاتقـه مهمـة الإصـلاح الفكـري الثقـافي الشـعبي».[2] كمـا أنـه يختـار لنفسـه مكانـا مهمـا ثـم يشـرع فـي عمليـة الإصـلاح، وهـذا العمـل بمثابـة وظيفـة لـه وقيـل عـن هـذا «الوظيفـة العضـوية للمثقفـين هـو أن يختـار المثقـف لنفسـه موقعـا مـؤثرا فـي الحـراك المـدني القاصـد وقـف التـدهور أولا، العامـل علـى تصـحيح الأوضـاع وإصـلاح وتغييـر البنى التشريعية والمؤسساتية التنفيذية للدولة، والمجتمع ثانيا».[3]

أمـا أمـين الـزاوي فقـد أطلـق عليـه اسـم الحضـر أي المثقـف الحضـري الـذي «نشـأ مـع تمركـز الرأسـمال الصـناعي المـدني وهـو يملـك رؤيـة واسـعة للأحـداث وثقافته متنوعة وهو متجاوب مع التغيرات».[4]

كمـا يضـيف قـائلا عنـه«مـرتبط بمجتمعـه شـكليا، لا يحتـرم تقاليـده وهـو يمـارس عـادة سلوكات اجتماعية متعارضة مع عادات المجتمع».[5]

---

[1]- إدوارد سعيد: السلطة و المثقف، ص34 .

[2]- حيدر علي محمد: إشكالية المثقف عند غرامشي، ص 166.

[3]- سعيد محمود رحيم: المثقف الذي يدس أنفه، ط الأولى2016، دار سطور للنشر و التوزيع بغداد، شارع المتنبي، مدخل جديد حسن باشا، ص 177.

[4]- أمين الزاوي: صورة المثقف في الرواية المغاربية، ص29.

[5]- المرجع نفسه، ص30.

فالمثقف العضوي إذا يقوم بالكشف عن زيف الطبقات الاجتماعية الحاكمة ويكشف تملقهم، أضف أنه يعمل على«تفعيل الوعي النقدي عند الفرد».[1] فهو يسعى بكل الطرق إلى بناء مجتمع متحضر، وربما لهذا السبب أُعتبر المثقف العضوي العدو اللدود المثقف التقليدي أو المثقف المزيف كما سماه سارتر، ويقول هذا الأخير:«العدو الألد للمثقف العضوي هو المثقف المزيف أو كلب الحراسة الذي يذود عن السلطة المزيفة».[2]

كخلاصة عامة للمثقف التقليدي(traditionnel) والمثقف العضوي (organique) فإنهما «يتعرضان في الأهداف لكنهما يشتركان في الموقف المعرفي إزاء المجتمع...كل واحد منهما يتلقى بدون نقد ثقافة الآخر، لا يعرف المثقف التقليدي حدود العلم الحديث ولا يعرف المثقف المحدث حدود الآداب التقليدية».[3]

3/1 تصنيف المثقفين عند غرامشي:

انطلق غرامشي قبل أن يصنف المثقفين إلى مثقفي الشمال ومثقفي الجنوب، على أساس واقع المجتمع الإيطالي، الذي كان في الأصل مقسما وفقا لهذا التصنيف، طالما كانت الجهة الشمالية الجهة المسيطرة والقوة السائدة في مختلف الميادين والمجالات، عكس الجهة الجنوبية التي كانت دائما في تخلف وجمود، وفي عرضنا هذا سنلاحظ كيف صنّف غرامشي هذه الطبقة أو هذه النخبة إلى نوعين، وما هي المعايير المتخذة في تقسيمه هذا؟.

لقد ورد في كتاب إشكالية المثقف عند غرامشي هذه التصنيفات التي قام بها هذا الإيطالي، مستندا إلى عدة معايير متمثلة في الوضع الطبقي والجغرافي وغيرها، وهذا ما نلاحظه في هذا المقتطف «انتقلنا من التصنيف الأفقي بين

[1]- حيدر علي محمد: إشكالية المثقف عند غرامشي، ص160.
[2]- المرجع نفسه، ص162.
[3]- عبد الله العروي: ثقافتنا في ضوء التاريخ، ص175.

المثقفين التقليديين والمثقفين العضويين الذي اعتمده غرامشي ضمن ارتباطهم بوضعهم في حركة الصراع الطبقي، وبوظيفتهم المحددة التقنية والتوجيهية في المجتمع، فإن غرامشي نفسه ينتقل إلى دراسة واقع المثقف ضمن خصوصية الجغرافيا والأصول الطبقية والعلاقة بين المدينة والريف، والشمال والجنوب التي تتميز بها ايطاليا خصوصا كأساس ثابت لتصنيف المثقفين».[1]

النوع الأول من المثقفين هم مثقفو الشمال، الذين نشؤوا في «بيئة اجتماعية، اقتصادية متطورة صناعية».[2] وهي تلك الفئة المنحدرة من بيئة متحضرة ومتطورة في شتى الميادين، خاصة في الجانب الاقتصادي، مما أدى إلى ظهور ثورة صناعية وثقافية تعتمد على «تمركز الرأسمال الصناعي»،[3] وهذا ما أشار إليه أمين الزاوي في كتابه صورة المثقف، كما ساعدهم على ذلك موقعهم الجغرافي، حيث يتمركزون في المدينة التي تعتبر أكثر تطورا وتحضرا.

أما النوع الثاني فهم مثقفو الجنوب المتمركزون في المناطق الريفية التي تنعدم فيها أدنى شروط التحضر، فهم أقل حظا من المثقفين الذين يتواجدون في بيئة حضارية، حيث تنحصر جل أعمالهم في مهن حرة كالفلاحة والزراعة، أو موظفين بسطاء عادين في الدولة والتي تكون حلم كل ريفي، فمثقفو النوع الثاني إذا هم من «موظفي الدولة وأعضاء المهن الحرة باعتبارها حلم كل مثقف ريفي إيطالي».[4]

---

[1]- حيدر علي محمد: إشكالية المثقف عند غرامشي، 169.

[2]- المرجع نفسه، ص160.

[3]- أمين الزاوي: صورة المثقف في الرواية المغاربية، ص29.

[4]- المرجع نفسه، ص170.

كما يشير غرامشي أيضا إلى أنّ «للمجتمع التقليدي لجنوب إيطاليا بعض مثقفيه العضويين من أصحاب قبعة القش، ويقوم هؤلاء بدور الوسطاء بين الفلاحين من جهة وملاك الأراضي والحكومة»[1] من جهة أخرى.

ثم إنّ غرامشي ذكر لنا بعض الاختلافات الثقافية بين جهة الشمال وجهة الجنوب في الجدول المدون أدناه: [2]

ثقافة الجنوب	ثقافة الشمال
«-ثقافة فلكلورية شعبية	-ثقافة متخصصة
-ثقافة خاضعة	-ثقافة مهيمنة
-ثقافة بسيطة	-ثقافة عالمة
-مركب غير عضوي (تقليدي)	-مركب عضوي
-تنظيم داخلي (متشظي)	-تنظيم داخلي موحد
-ثقافة زائفة	-ثقافة أصيلة
-ثقافة تضمينية	-ثقافة صريحة ».

ختاما نقول أنّ غرامشي ميّز بين ثلاثة أنواع من المثقفين، إذ لكل منهم خصائصه ومميزاته التي تجعله مختلفا عن المثقف الآخر، فهو يساوي ما بين كل ما هو تقليدي وما هو ريفي بين تقليدية المثقف وريفيته، إذ أنّه لا يفصلهما عن بعضهما البعض هما بمثابة وجه واحد لعملة واحدة، فكل منهما يكمل الآخر كما يرى أنّ الريف هو مركز وإستراتجية هامة للمثقف الريفي أو ما يدعى بالتقليدي، فانطلاقا من كل ما سبق نجد أنّ غرامشي توصل إلى خلاصة شاملة مفادها أنّ المثقف التقليدي يندرج من الجنوب، أمّا المثقف العضوي فهو ذلك المثقف المنحدر من الشمال، فيقول بيوتي عن هذا:«يربط غرامشي التمييز بين المثقف التقليدي

[1]- أمين الزاوي: صورة المثقف في الرواية المغاربية، ص170.

[2]- المرجع نفسه، ص175.

والمثقف العضوي بدراسة المشكلة التي يطرحها على توحيد البلاد من الانقسام بين الجنوب والشمال، فالجنوب وهو منطقة زراعية أساسا ينتج مثقفين تقليدين، بينما ينتج الشمال وهو منطقة صناعية مثقفي البرجوازية العضويين».[1]

مفهوم السلطة:

أ- مفهوم السلطة في القرآن الكريم:

يعتبر القرآن الكريم دستور حياة، ذو أسس رصينة لم يغفل عن صغيرة ولا عن كبيرة في تشريعاته، إذ درس هذا الدستور الإنسان دراسة موضوعية، فالإسلام يتمتع بكل ما يفتقر إليه غيره، ولطالما كان المصدر الأول الذي ينهل منه العلماء والفقهاء إلى يومنا هذا، فكتاب عظيم ومقدس بهذا الشكل أكيد لم يغفل عن لفظة السلطة في متن فحواه، وإن لم ترد على هذا النحو، إلا أنها وردت بعض مشتقات الفعل (تسلط) إذ أنها حاضرة في العديد من الصور والآيات، نذكر على سبيل المثال لا الحصر البعض منها.

وردت اللّفظة على شكل فعل ماضي (سلط)، قال تعالى في سورة النساء ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم } [2] وهذه الآية الكريمة تدل على رأفة الله سبحانه وتعالى بعباده إذ كان قادرا على تسليط المشركين على المسلمين، إلا انه كف أيديهم عنهم، وقد جاء في تفسير ابن كثير على أنه «من لطفه بكم أن كفهم عنكم».[3]

---

[1]- أمين الزاوي: صورة المثقف في الرواية المغاربية، ص 172.

[2] - سورة النساء: الآية 90.

[3] - ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ص514.

كما وردت اللّفظة على شكل فعل مضارع (سليط)، قال تعالى في سورة الحشر{ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير} [1] والمقصود هنا أن الله سبحانه وتعالى هو القاهر لكل شيء وهو القدير على تسليط رسله على من يشاء من عباده، وقد بحثنا عن تفسير هذه الآية في كتاب التفسير لابن الكثير فوجدناه ورد على النحو التالي «هو قدير لا يغالب ولا يمانع، بل هو القاهر لكل شيء».[2]

ووردت اللّفظة أيضا على شكل اسم (السلطان)، قال تعالى في سورة هود {ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين} [3] والآية الكريمة تدل على إرسال موسى عليه السلام إلى الطاغية فرعون وتدعيمه بالأدلة والحجج القوية فقد قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية «يقول تعالى مخبرا عن إرساله موسى عليه السلام بآياته وبياناته وحججه ودلائله الباهرة القاطعة إلى فرعون لعنه الله».[4]

ب- مفهوم السلطة في التراث الغربي:

1- مفهوم السلطة لغة:

تعد السلطة مفهوما إشكاليا يعتريه الكثير من اللّبس، ومن هذا الباب سنحاول ولو باقتضاب وبشكل مختصر إدراج بعض التعاريف التي وضعها الغرب لّلفظة السلطة، فقد وردت هذه اللّفظة في العديد من المعاجم والقواميس الغربية.

عرفها الفيلسوف الفرنسي أندريه لالالند **(André Lalande)** في موسوعته الفلسفية على النحو التالي:«السلطة ينظر إليها فقط بوصفها قوة تفرض نفسها إما

---

[1] - سورة الحشر: الاية06.
[2] - ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ص1849.
[3] - سورة هود : الآية 96.
[4] - ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ص967.

بـالإكراه أو بالمخاتلـة، وأنهـا فـي جوهرهـا بالـذات تكـون بـلا مواربـة خارجيـة وغريبـة عن ذلك الذي تمارس عليه».[1]

فالسـلطة حسـب هـذا المفهـوم قـد انحصـرت علـى القـوة التـي تـأتي بـالإكراه، لتثبـت وجودها وتفرض نفسها.

أمـا قـاموس لاروس الفرنسـي فقـد عـرف السـلطة علـى أنهـا «الحـق والقـدرة علـى الـتحكم واتخـاذ الأوامـر وإخضـاع الآخـرين، ومثالهـا سـلطة مـدير المدرسـة».[2] لقـد قـدم هـذا المفهـوم مثـال عـن سـلطة مـدير المدرسـة، فهـو مـن يملـك الحـق فـي اتخـاذ القـرار وإصدار الأوامر.

مـن خـلال هـذين التعـريفين يتضـح لنـا جليـا أن مفهـوم السـلطة لغويـا يختلـف مـن مفسـر لآخـر، ومـن قـاموس لآخـر، فالمعـاجم الغربيـة اختلفـت مفاهيمهـا للسـلطة، لكـن هذا ليس حكما مطلقا، فكما وجدنا اختلافا يمكننا أن نصادف توافقا أيضا.

2- مفهوم السلطة اصطلاحا:

مـن المؤكـد أن السـلطة نالـت حقهـا فـي التعريـف والشـرح والتفسـير لـدى الغـرب، إذ كانـت ولا تـزال ملجـأ العـرب وقـدوتهم الأولـى، فتعـددت تعريفـات السـلطة كمصـطلح وذلـك حسـب المعـرف والغـرض مـن التعريـف وميدانـه، ويمكـن إجمالـه فيمـا يلي:

أرسـطو **(Aristote)** يقـول فـي تعريفـه «أنـه لا يعتقـد أن السـلطة "واحـدة" لأنـه إذا وجـد خضـوع لشـخص مـا فـي أيـة علاقـة مـن علاقـات السـلطة، طبيعـة هـذا الخضـوع هـي مختلفـة وفـق الظـرف الـذي يكـون قائمـا».[3] فأرسـطو لا يقبـل أن تحصـر السـلطة

[1] - أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، ص122.

[2] - le petite la rousse grand forma ; imprime en Belgique. ed 2001 p398

[3] - صلاح علي نيوف: مدخل إلى الفكر السياسي الغربي، الجزء الأول، كلية القانون والعلوم السياسية، الأكاديمية العربية، دنمارك، ص35.

في مؤسسة واحدة، بل هي متنوعة ومتعددة فهو لا يؤمن بوحدة السلطة، فالإخضاع بمختلف أشكاله هو من يولد السلطة.

أما لورد أكتون **(Lord Acton)** فيرى أنه «توجد حكومة تسليطية والتي تأخذ شكل الملكية أو الدكتاتورية، أو أرستقراطية مغلقة... هنا الفرد الحاكم أو المجموعة الحاكمة تأخذ وحدها القرارات، وتحتفظ لوحدها بالسلطة. ويوجد ديمقراطية حيث الحاكمين يكونون في السلطة وفق إجراءات قانونية سلمية، مع تعددية المترشحين، وحرية التعبير والنقاشات العلنية، انتخابات، من جهة أخرى يمكن تغير الحاكمين بشكل سلمي على السلطة».[1] والسلطة حسب تعريف لورد أكتون هي نوعين، سلطة احتكارية تتخذ القرارات كيفما شاءت ووقت ما شاءت، وتمارس الدكتاتورية، وسلطة ديمقراطية تنبني على حرية التعبير والاختيار للتنصيب الحاكم، كما يمكن تغيره وإزاحته عن الحكم بشكل سلمي.

أما عالم الاجتماع الألماني ماكس فيبر**(Max Webber)** فقد عرف السلطة على «أنها أمر يتعلق فقط باعتقاد الناس بشرعيتها، بغض النظر عن مصدر هذا الإعتقاد ... ففيبر يعامل السلطة على أنها شكل من أشكال القوة. السلطة هي "قوة شرعية" قوة متخفية في الشرعية، وطبقا لهذه الرؤية، فإن الحكومة التي تطاع يمكن القول بأنها تمارس سلطة»،[2] فنلاحظ أن ماكس فيبر قد ربط السلطة بالقوة، فبالقوة تتشكل السلطة وتثبت شرعيتها، والحكومة تمارس سلطة - أي قوة- لكي تطاع.

[1] - صلاح علي نيوف: مدخل إلى الفكر السياسي الغربي ، ص84.

[2] - أندرو هيوود: النظرية السياسية مقدمة، تر لبنى الريدى، ط1، المركز القومي للترجمة، الجزيرة، القاهرة، 2013، ص226.

ج- مفهوم السلطة في التراث العربي:

1- *مفهوم السلطة لغة:*

أصبحت السلطة في يومنا هذا محور اهتمام الباحثين ومن الصعب تحديد مفهومها بشكل دقيق، فلا يكاد ينعقد اتفاق حول هذا المعنى، وإذا ما عدنا إلى معاجم اللّغة العربية نجد السلطة مشتقة من مادة سلط: «سلط، السّلاطةُ، القهرُ، وقد سلّطَه اللّه فتَسَلّطَ عليهم والاسم سُلطة بالضم. ورجل سليطٌ أي فصيح حديد اللسان بين السّلاَطَةْ والسّلوطةِ».[1]

أما في معجم قاموس المحيط فقد جاءت مادة سلط على النحو التالي:«السلطان الحجة، وقدرة الملك، تضم لامه، والوالي مؤنث لأنه جمع سليط للذهن، كأن به يضيئ الملك، لأنه بمعنى الحجة السَلْطُ والسّلِيطُ: الشديد، واللّسان الطويل، والطويل اللسان، وهي سَليطةٌ وسلَطَنةٌ، محركة وسِلِطانةٌ بكسرتين».[2]

من خلال القاموسين السابقين يتضح لنا جليا أنهما يشتركان في قولهما بفصاحة وطلاقة اللسان وحدته، سليط أي كلماته لاذعة .

لقد ربط جميل صليبا السلطة بقوة الشخصية وسحر البيان وحسن الإشارة وهذا ما بينه في معجمه الفلسفي:«السلطة في اللّغة:هي القدرة والقوة على الشيء، والسلطان الذي يكون للإنسان على غيره وأطلق مفهوم السلطة النفسية على الشخص الذي يستطيع فرض إرادته على الآخرين لقوّة شخصيته وثبات جنانه، وحسن إشارته وسحر بيانه... وجمع السلطة السلطات هي الأجهزة الاجتماعية

---

[1] - ابن منظور: لسان العرب، م 7، دار صادر بيروت، 2003، ص320.

[2] - الفيروز أبادي: قاموس المحيط، تح محمد العرقسوسي، ط8، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان،2005، ص 671.

التي تمارس السلطة كالسلطات السياسية، والسلطات الدينية، والسلطات القضائية وغيرها».[1]

2- مفهوم السلطة اصطلاحا:

أثار مفهوم السلطة جدلا كبيرا نظرا للغموض الذي يعتريه، والحق أن هذا المفهوم عرف العديد من التعريفات، سنحاول بدورنا ذكر البعض منها: فالسلطة حسب ناصيف نصّار هي:«السلطة بمعناها العام هي الحق في الأمر، فهي تستلزم آمرا ومأمورا وأمرا، آمرا له الحق في إصدار أمر إلى المأمور، ومأمورا عليه واجب الطاعة للآمر وتنفيذ الأمر الموجه إليه، إنها إذن علاقة بين الطرفين متراضيين».[2]

ونفهم من هذا القول أن السلطة هي علاقة تراضي بين طرفين فالطرف الأول يصدر الأمر لكونه واجبا عليه ولأنه يدرك أن هذا الفعل حق من حقوقه الشرعية والطرف الثاني ينفذ الأمر لوجوبه الطاعة ولإدراكه حق الطرف الأول في إصدار الأمر. فالمشكلة إذن هي مشكلة اعتراف لكلا الطرفين، وهي عملية تنبي على حقوق وواجبات.

إن كل المجتمعات تنضوي تحت لواء سلطة ما تتبع نظام معين في الحكم، فلا يمكن أن يحيا المجتمع على شكل عشوائي، أو بإلغاء سلطة ذات قانون محكم يسير الأفراد «تنبع السلطة من حاجة الحياة الاجتماعية إلى النظام والسلم والأمن، وإلى أهمية توافر الاستقرار والاستمرار الاجتماعي، وتحديد الحقوق والواجبات الاجتماعية... وعلى هذا الأساس تكون الحاجة الاجتماعية أساس ظاهرة السلطة، وتكون القوة اليد العليا ضمانتها، ويضفي عليها مرور الزمن عامل الموافقة والثقة

[1]- جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت- لبنان، ج1، 1982، ص 670.

[2]- ناصيف نصّار: منطق السلطة، مدخل إلى فلسفة الأمر، ط1، دار الأمواج، بيروت- لبنان،1995، ص7.

من قبل أفراد المجتمع»[1] فالسلطة تتولد عن طريق حاجة المجتمع إلى نظام يحكمه ويسيره، وإلى نظام يدافع عنه ويضمن له حياة مستقرة هادئة ، مجتمع عادل ذو حقوق وواجبات اجتماعية. و«يتعدد استخدام كلمة السلطة في إطار الهيئات والتنظيمات الاجتماعية المختصة فيقال سلطة دينية وسلطة عسكرية...الخ لكن السلطة العليا تبقى في يد الدولة صاحبة الحق في إصدار القوانين وفرضها»،[2] فالسلطة بطبيعة الحال لا يمكن حصرها في نوع واحد إذ هي تتعداه إلى أنواع عديدة مختلفة باختلاف الإيديولوجيات وزوايا الرؤية.

ويرى أحمد زكي بدوي أن السلطة هي «التي تمكن من السيطرة على الناس ومن الضغط

عليهم ورقابتهم للحصول على طاعتهم وللتدخل في حريتهم وتوجيه وجودهم إلى نواح معينة، وقد تستمد السلطة من شخصية الحائز عليها أو من التقاليد أو كنتيجة لاحتكار الثورة».[3]

د- أنواع السلطة:

لقد وجد الإنسان نفسه منذ الأزل في صراع مع طرف آخر يفوقه قوة وجبروتا في معظم الأحيان، إذ أنه يصارع الطبيعة، ويصارع المجتمع ويصارع السلطة وإذا ما توقفنا عند هذه السلطة يتضح لنا حسب التعريفات السابقة في مجمل القول أنها القدرة على دفع الطرف الآخر على تنفيذ الأوامر، لكن هذه السلطة ليست سلطة ثابتة وواحدة، بل هي متعددة وعلى هذا الأساس سنحاول عرض بعض هذه الأنواع:

---

[1]- عبد الوهاب الكياني و أخرون: موسوعة السياسة، ج3، ط2، المؤسسة الغربية للدراسات و النشر، 1993، ص215.

[2]- المرجع نفسه، ص 215.

[3]- أحمد زكي بدوي: معجم المصطلحات السياسية والدولية انجليزي- فرنسي- عربي- دار الكتاب المصري- القاهرة 1989، ص115

1- سلطة الدين:

الدين هو مجموعة من العقائد والشرائع السماوية المثالية التي لا تناقش ولا تعدل وأهميتها تكمن في ضبط سلوك المجتمع «السلطة الدينية فإنها كما تطرح نفسها متصلة بشكل أو بأخر بالغيب من جهة المصدر والغاية، أو من جهة واحد منهما وشرط قيامها كعلاقة أصلية من آمر ومطيع إنما هو الإيمان».[1]

للسلطة الدينية تأثير كبير في تشكيل وعي الناس والتحكم في أفكارهم ومشاعرهم ويقول غوستاف لوبون **(Gustave Le Bon)** في هذا الشأن «تسخر السلطة الدينية الناس غير مستعينة بالعقل وعندها القدرة ما يكفي لتحويل الأفكار والمشاعر نحو غرض واحد ولا تضاهي قوة العقل المطلق قوتها».[2]

حتى في أوروبا لطالما كانت الكنيسة هي المسيطرة على المجتمع، فمن صلاحياتها إصدار الأوامر وسن القوانين، والعبث بها كيفما شاء البابا وكل ذلك خدمة لمصالحه الشخصية، أو لضمان استمرارية حكم الكنيسة وسيطرتها «فالسلطة الكاملة تعود للبابا: إنه رئيس الكنيسة، يستطيع تشكيل السلطات الزمنية، ويشرع أي قانون يريده، وتأتي هذه السلطة من حيث أن البابا هو "نائب المسيح"»،[3] فالبابا ينال درجة رفيعة في المجتمع، والأوامر التي تصدر منه لا نقاش فيها، فهي تطبق على الفور هذا ما منحه حق التصرف كيفما يريد«فالبابا له سلطات عادية يتصرف فيها من خلال القوانين القائمة، وسلطات ما فوق عادية تسمح له بالتصرف بشكل مطلق بعيدا عن الالتزام بالقوانين القائمة».[4]

---

[1]- ناصيف نصار: منطق السلطة مدخل غلى فلسفة الأمر، ص 143.

[2]- غوستاف لوبون: روح الثورات والثورة الفرنسية، تر محمد زعيتر، ط2، المكتبة العصرية، القاهرة، 1934، ص88.

[3]- صلاح علي نيوف: مدخل إلى الفكر السياسي الغربي، ص 59.

[4]- المرجع نفسه، ص 59.

لطالما كانت الكنيسة ورجالها هي السلطة المطلقة في المجتمع، لنشرهم لإشاعة مفادها أن البابا هذا يتلقى الأوامر من الله وهي أوامر تخدم الكنيسة التي تخدم بدورها المجتمع«سلطة يدعي فيها البابا أنه يأخذ أوامره مباشرة من الله من أجل الكنيسة، ومن أجل المملكة أيضا».[1] وحتى إذا ما تمعنا النظر فيما يحدث في الوطن العربي نجد للدين يد في هذا الخراب والدمار ونقصد هنا رجال الدين الذين استغلوا الدين وسيلة لخدمة أغراض لا علاقة بها بالعقل أو الشريعة السليمة «ففي كل دين نجد أشخاصا يلعبون دور المرجع المسؤول عن شؤونه تفسيرا وتطبيقا».[2]

إنّ المنطق والعقل لا يدين الدين نفسه، إنما أولئك الفاعلين تفننوا في البدع والضلالة وبالأحكام المشبوهة التي لا تمت بصلة إلى الدين، فلم يبق الدين محافظا على معناه الذي يفسر علاقة العبد بالرب بل استخدم لأهداف سياسية حتى غدا الدين مظهرا خارجيا لا روحيا «صار موظفو أسلاك الدولة يلتحقون بأعمالهم في قمصان نعال ويضعون على رؤوسهم عراقيات بيضاء أو كوفيات سوداء و بيضاء ومطلقين ٱللحى».[3]

من هنا يتضح لنا أن الناس يحكمون من اللّباس والمظهر الخارجي على المسلم والكافر وأغفلوا اللّب والأصل في الدين، و قد أدركوا هؤلاء الملتحين والشيوخ أن للدين سلطة قوية تؤثر على الناس سلبا أرادت هي أم إيجابا.

2- سلطة الجنس:

شهدت المجتمعات العربية منذ الأزل هيمنة الثقافة الفحولية، فهي مجتمعات تمجد الرجال بوصفه العنصر الأقوى، أما الأنثى فتهمش ويتصورونها عورة وعارا، والذاكرة العربية حافلة بصور العنف والتهميش في حق المرأة ونذكر على

[1]- صلاح علي نيوف: مدخل إلى الفكر السياسي الغربي، ص 59- 60.
[2] - ناصيف نصّار: منطق السلطة مدخل إلى فلسفة الأمر، ص 145.
[3]- الحبيب السايح: مذنبون لون دمهم في كفي، دار الحكمة،2008، ص190.

سبيل المثال لا الحصر صورة شهريار وكيفية انتهاكه كل ليلة الأنوثة ليقتلها صباحا.

ظلت المرأة في نظر الرجل محصورة في قالب الزوجة والأم و سعى جاهدا لإخضاعها لكونها ضعيفة في نظره والثقافة والمجتمع وقد عالجت الرواية الجزائرية قضية تهميش المرأة في العديد من نصوصها الأدبية:([1])

-« تصرفاتك لا تعجبني وخروجك يقلقني.

- إنني في سن تسمح لي بأن أميز.

- فقال أخي، نحن في مجتمع يطلب استفساراتك عن تصرفاتك.

- وأنا لست مجبرة على إعطاء تقرير بمواعدي...

لم أتمم كلامي لأن أخي صفعني و لم يبح ذلك لنفسه إلا لكونه ذكرا».

تهمش الفتاة منذ ولادتها ويشعرونها أنها مختلفة عن الولد فالولد يستقبل بالفرحة ومجيء الأنثى مدعاة للانزعاج، وهذه العقلية للأسف الشديد سارية المفعول في أغلب المجتمعات العربية لوقتنا الحالي «على الرغم من مرور أكثر من أربعة عشر قرنا هجريا على عصر الجاهلية ومن أننا تتنسم روائح الفرد الحادي والعشرين مازالت الأنثى تستقبل وهي تطلق صرخاتها الأولى في الحياة ككائن غير مرغوب فيه... وعلى عكس الذكر الذي يتلقفه الجميع في فرحة عارمة، وكأنما حمل كل الخير بمولده».[2]

3- سلطة الاستعمار:

إذا ما حولنا تعريف الاستعمار بمفهومنا البسيط يمكن القول بأنه سيطرة دولة قوية على دولة ضعيفة بغرض نهب خيراتها وطمس هويتها، وهذا ما فعلته

---

[1]- فاطمة برهوم: بيت النار، أصوات المدينة، ط1، قسنطينة، 2004، ص 17.

[2]- نبيل فاروق: المرأة مشكلة... صنعها الرجل، المبدعون للنشر و الإعلام، ص25.

بالتحديد فرنسا مع الجزائر، إذ أنها مارست على الشعب الجزائري العنف بشتى أنواعه.

فهي عمدت إلى طمس الهوية الجزائرية من خلال استبدال اللّغة العربية بالفرنسية في مجال التعليم، وغرس قيم وطنية مغشوشة ومشوهة الأصل، فهذا العنف الرمزي لمسناه بشكل واضح في رواية محمد ديب " الدار الكبيرة"

- سأل المعلم:«من منكم يعلم معنى كلمة وطن...».

رفع إبراهيم بالي إصبعه، ها إذن هو يعرف لا غرابة إنه يعيد السنة فلا بد أن يعرف

- قال إبراهيم:«فرنسا هي أمنا الوطن».[1]

بالإضافة إلى العنف الجسدي من ضرب وقتل واغتصاب وتجويع، وقد صورت لنا الدار الكبيرة هذا في أحد مشاهد الرواية «السكان يندفعون من غرفهم مسرعين، متلاحقين، يتجمعون في فناء البيت، وشوشات صيحات مفاجئة وبكاء أطفال صغار ووقع أقدام»،[2] هذا المشهد هو مشهد تفتيش الشرطة للدار الكبيرة بحثا عن حميد سراج، إذا أوقعوا الذعر بالسكان في الصباح الباكر.

يعتبر الاستعمار الفرنسي نموذجا للاستعمار الاستيطاني إذ يشكل أبشع أنواع الاستعمار، ومارس العديد من الجرائم في كل الجوانب فمن الناحية السياسية مثلا: «وأول ما يبدأ به الاستعمار ممارسته القمعية في حق الشعوب وما يمكن تسميته سلب إرادتها السياسية، وذلك إما بتحويل ساستها إلى خدم له ولمصالحه، أو إزاحتهم وإحلال ساسة جدد بدلهم، أو بتنصيب نفسه حاكما سياسيا عليهم».[3] ويراد الإشارة هنا إلى أن الاستعمار يجعل من السيد عبدا ليحل محله ويتصرف

---

[1]- محمد ديب: الدار الكبيرة، تر سامي الدروبي، دار الوحدة للطباعة والنشر- لبنان 1985، ص19.

[2]- المرجع نفسه، ص 21.

[3]- نور الدين بولحية: الاستعمار الكلاسيكي وجرائمه في حق الشعوب- الاستعمار الفرنسي للجزائر نموذجا، مجلة أفاق علمية، ج10، ع01، جامعة باتنة، 2018، ص11.

في شؤون البلاد والعباد فهو يقمع حق الشعب في حريته وتقرير مصيره، كما أنه لا يتوان في الاستحواذ على ثروات الوطن ونهب خيراته «لا شك أن من أهم أهداف الاستعماري استعمار هو الاستيلاء على مقدرات الأمم و ثرواتها»،[1] فالمستعمِر لم يقدم على فعل الاستعمار والاستيلاء إلا لفطنته للخيرات الطائلة التي يمتلكها البلد المستعمَر وطمعه الشديد فيها، فيحاول الاستيلاء على نعم البلاد وجعلها من نصيبه.

ويمكننا القول في الأخير أن الاستعمار مارس كل أنواع الجرائم في حق الشعوب المستضعفة سياسيا واقتصاديا، دينيا وثقافيا وحتى اجتماعيا «بدءا من مصادرة قرارها السياسي وانتهاء بتجويعها وتفكيكها ومصادرة خيراتها».[2]

4- سلطة الدولة:

تتمع الدولة بالسيادة، إذ لا تعلوها سلطة أو هيئة أخرى، فهي سلطة سامية تعلو جميع السلطات باعتبارها السلطة الآمرة التي تفرض إرادتها على الجميع، داخل حدود الدولة، وهي السلطة المحافظة على سيادة الدولة وتوفير الأمن الاجتماعي والسلمي وإرساء أشرعة العدالة.

وقد تمارس الدولة سلطة صالحة تخدم مصالح المجتمع، وإما قد تمارس سلطة فاسدة توقع المجتمع في الحضيض «وما الدولة إلا ظاهرة من ظواهر الاجتماع لقانون تولدها، وظهورها كانت طبيعية، أي معقولة لذا لا ينشأ تناقض بينها وبين المجتمع، أو بينها وبين الفرد، إذا حصل تناقض فلسبب غير طبيعي ناتج عن خطأ إنساني متعمد، وفي تلك الحال تنشأ الدولة الاستبدادية الظالمة. الدولة إما طبيعية وهي صالحة وإما فاسدة لأنها غير طبيعية»،[3] فالدولة الصالحة تخدم المجتمع، تحافظ على الأمن وترسي معالم العلم والثقافة وتسعى لتحقيق

---

[1]- نور الدين بولحية: الاستعمار الكلاسيكي وجرائمه في حق الشعوب، ص 12.

[2]- المرجع نفسه، ص 26.

[3]- العروي عبد الله: مفهوم الدولة، ط10، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب،2014، ص17.

الرفاهية للمواطن، أما الدولة الفاسدة فهي التي تسعى لاستعباد الناس، وتمارس العنف عليهم، وترسي معالم الجهل فهي دولة للسطو والنهب لا تخدم المجتمع.

أما ناصيف نصّار فهو يرى أن سلطة الدولة إرادة متعارضة مع كل إرادة خاصة «إنها إرادة تواصل مستمر، وإرادة عيش مشترك، وإرادة توحيد عميق وإرادة استقلال، وإرادة مصير واحد»،[1] فهي تحمل الفرد على التواصل والترابط مع غيره من الأفراد، فالفرد نواة الدولة، ويقول أيضا أن الدولة هي «في الأساس المجتمع السياسي المستقل قبل أن ينقسم إلى حاكم و شعب».[2] فالدولة ينطوي تحت لوائها الشعب الذي يترأسه حاكم.

- ناصيف نصّار: منطق السلطة مدخل إلى فلسفة الأمر، ص58.[1]
- المرجع نفسه، ص75.[2]

أ/: دور المثقف في المشرق العربي:

لقد أسرفت الأدبيات العربية في الحديث عن دور المثقف، وتحولت إلى مقولات لا يتوقف الكلام فيها وعنها، إذ لم يسبق لهذا المثقف أن وضع على المحك كما يحصل الآن في ظل التحولات التي تشهدها المنطقة العربية مع انتهاء العقد الأول من القرن الواحد والعشرين، ولم يسبق لمقولاته وقضاياه وآلياته أن تعرضت لاختبار وامتحان المصداقية كما تتعرض إليه الآن، فالمثقف صاحب رسالة إنسانية يستعمل مكانته العلمية والمعرفية، ويستغل رصيده الفكري والثقافي وقدراته الإقناعية للدفاع عن قيم ومبادئ، وضروريات وطنه فهو بمثابة جهاز استشعار من مهامه الكشف عن الخبايا والأسرار والإشارة إليها للبحث عن حلول وهذه القضية تناولها العديد من الأدباء والمفكرين سنحاول أن نقدم لمحة بسيطة عن أراء المفكرين العرب حول هذه القضية.

إن الحديث عن المثقف في بلاد المشرق العربي يستدعي استحضار العديد من الأسماء التي كان لها باع طويل في التأثير على المجتمع العربي عموما والمجتمع المشرقي خصوصا، ولا يسعنا ذكرها كاملة في هذا المقام لذا سنكتفي ببعض الأعلام التي كان لها دور بارز في تغيير المشهد السياسي والثقافي والاجتماعي.

إن الناقد طه حسين قد أطلق صاروخا في وجه الخاصة قبل العامة حتى واجه صراعا مريرا طيلة حياته، وهذا مآل كل مثقف في بلادنا العربية، فهو لم يترك الجهل ينهش ضمير الأمة، فدور المثقف حسب رأيه أن يفهم حياة الناس ومن حوله ويعرف موضع حاجتهم، فالذي يعيش بين الناس ولا يتعمق في حياتهم الاجتماعية والسياسية عاجز كل العجز أن ينفعهم، وأن يكون لهم هاديا ينير سبيلهم، فهذا الباحث سعى جاهدا إلى إلغاء الفروق التي توجد بيننا وبين الغرب، فهم ليسوا أحسن منا بالتأكيد وباستطاعتنا التفوق عليهم فيقول:«نعم أريد كما يريد

كل مصري مثقف محب لوطنه حريص على كرامته ألا نلقى الأوروبي فنشعر بأن بيننا وبينه من الفروق ما يسمح له الاستعلاء علينا والاستخفاف بنا ويضطرنا إلى أن نزدري أنفسنا ونعترف بأنه لا يظلمنا فيما يظهر من الاستطالة والاستعلاء»،[1] فهو يريد منا بكل تأكيد أن لا نقدم أية فرصة للأخر كي يستعلي علينا بسبب ما وصل إليه من مقام، فإمكاننا أن نبلغ مقامه ذاك أو نتعداه.

يرى ادوارد سعيد أن المثقف هو ذلك الشخص المكلف برسالة معينة عليه أدائها، وهو صاحب موقف يقيم علاقة مع الجمهور ليوصل صوته إليهم بواسطة اللغة، و هو شخص لا يُستعاب من طرف المؤسسات والحكومات، يسعى إلى تحقيق التغير، فالمثقف فرد يدرك دوره في المجتمع تمام الإدراك يقول سعيد: «لا يمكن اختزال صورته بحيث تصبح صورة مهني مجهول الهوية، أي مجرد فرد كفء ينتمي إلى طبقة ما ويمارس عمله وحسب...مهمته أن يطرح علنا للمناقشة أسئلة محرجة ويجابه المعتقد التقليدي والتصلب العقائدي بدلا من أن ينتجهما».[2]

فالمثقف الحقيقي هو ذلك المثقف الذي يمثل كل شرائح المجتمع وفئات الناس، والقضايا المهمشة التي يغفل أمرها واستنطاق المسكوت عنه، إنما يجب الدفاع عليها فتلك هي وظيفة المثقف ورسالته كصوت حر غير مقيد في هذا العالم، وحسب إدوارد سعيد فإن المثقف عليه أن يتمتع بالحرية الداخلية التي تتيح له فرصة النقد فهي وحدها من تسمح له بتكوين وعي أخلاقي شفاف لم يقع في ضغوطات الواقع المادي ولا النفسي، الأيديولوجي والقومي والديني إذ أنها تكبل رؤية المثقف وتحرف مساره.

---

[1] - طه حسين: مستقبل الثقافة في مصر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر- القاهرة،2012، ص14.

[2] - إدوارد سعيد: المثقف والسلطة، ص 43.

يضيف سعيد «أن دور المثقف عموما جدلي ومتناقض وهو أن يكشفوا ويوضحوا الصراع وأن يقهروا الصمت المفروض بالقوة والهدوء المطيع للسلطة الخفية أينما وكلما كان ذلك ممكنا»،[1] وكأن إدوارد سعيد في قوله هذا يحاول أن يخبرنا عن هؤلاء المثقفين الذين يعانون من السكوت الذي فرض عليهم بالقوة، فالسلطة قيدتهم وحاصرت حرياتهم الفكرية والتعبيرية، وكأنها دعوة صريحة منه لهذه الفئة من أجل التحرر من القيود التي كبلتهم ويسمعوا صوتهم للمجتمع بلا خوف ولا قيد.

ويقول في مفهومه للمثقف «فمفهومي لمصطلح المثقف أو المفكر يقول إنه في جوهره ليس داعية مسالمة، ولا داعية اتفاق في الآراء، ولكنه شخص يخاطر بكيانه كله باتخاذ موقف الحساس، وهو مثقف الإصرار على رفض الصيغ السهلة والأقوال الجاهزة المبتذلة، أو التأكيدات المهذبة القائمة على المصطلحات اللّبقة والاتفاق مع كل ما يقوله وما يفعله أصحاب السلطة، وذوو الأفكار التقليدية، ولا يقتصر رفض المثقف أو المفكر على الرفض السلبي، بل يتضمن الاستعداد للإعلان عن رفضه على الملأ»،[2] فالمثقف الحقيقي هو من يتمسك بآرائه ومبادئه ويصر على مواقفه ويدافع عنها حتى وإن كانت مخالفة لمتطلبات السلطة ومساعيها.

والمثقف الحقيقي هو المثقف الذي لا يكتفي بالإشارة إلى المشكلة وتعينها إنما وجب عليه تعينها مع الإشارة إلى الحلول والبدائل الممكنة انطلاقا من وعيه أو مستفيدا مما عمل به الذين سبقوه، فيقول: «لا يجوز أن يقتصر عملنا كمثقفين على تحديد الوضع فقط، إنما إدراك إمكانيات التدخل الفعال أيضا سواء بإيجاز ذلك بأنفسنا أو بقبولنا به عند الآخرين الذين سبقونا وعملوا عليها مسبقا، المثقف

[1] - إدوارد سعيد، خيانة المثقفين- النصوص الأخيرة، تر اسعد الحسين، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، سوريا- دمشق،2011، ص297.

[2] - إدوارد سعيد، المثقف والسلطة ، ص58-59.

كرقيب وحارس»،[1] فالمثقف هو السراج المنير الوهاج الذي ينير بثقافته وعلمه مجتمعه، وينتشله من الظلام الذي وقع فيه.

أما الدكتور علي الشرعيتي فقد شبه المثقف اليوم بالدور الذي كان يقوم به الأئمة والقادة، والأنبياء والرسل فيما مضى إذ يحمل المثقف في جعبته رسالة توعوية ثقافية حضارية، لتحقيق ما هو أفضل للمجتمع.

لقد ازدادت مسؤولية المثقف العربي اليوم وقد بات لزاما عليه بحكم سلطته الثقافية وخلفيته المعرفية أن يكون رائدا لأمته وقائدا لها فالمثقف حسب الشريعتي هو: «ذلك الذي لا يتصف بالتقيد والتوقف ولا يفكر بجمود عقائدي بل يفكر بوضوح وسعة أفق، يميز عصره والأرض التي يقف عليها وموقع البلد الذي ينتمي إليه والمشاكل التي تطرح في مجتمعه، ويستطيع تحليلها وتقديم الأدلة لها وإفهامها للآخرين ».[2] فالمثقف تلقى على عاتقه مسؤولية عظيمة، تتمثل في طرحه للمشاكل التي يعاني منها أفراد مجتمعه والإشارة إليها.

إن غاية المثقف هي بناء الحقيقة وقولها بشجاعة فعليه أن ينبش في الأسباب التي دفعت بالمجتمع إلى الوقوع والانحطاط والركود لينبه بعده أبناء جنسه الغافلة اللّاواعية الخاملة بحجم المأساة التي غرقوا فيها، لينير في الأخير المسار الذي يؤدي إلى النور والرفاهية، وهذا ما أشار إليه علي الشريعتي في قوله: «أعظم مسؤوليات المفكر في مجتمعه هي أن يجد السبب الأساسي والحقيقي لانحطاط المجتمع، ويكتشف السبب الأساسي للركود والتأخر والمأساة بالنسبة لمواطنيه

[1] - إدوارد سعيد، خيانة المثقفين- النصوص الأخيرة، ص304.

[2] - علي الشريعتي، مسؤولية المثقف، تر إبراهيم الدسوقي، دار الأمير، ط1، بيروت- لبنان، 2005، ص 52.

وجنسه وبيئته، ثم يقوم بعد ذلك بتنبيه مجتمعه الغافل الغائب عن الوعي إلى السبب الأساسي لمصيره وقدره التاريخي المشئوم»[1].

وفي سياق آخر يرى الشريعتي أنه ليس كل إنسان دارس أو عالم ذو إيديولوجيات عديدة أن يكون مثقفا فصفة المثقف ليست حكرا على العلماء وأصحاب المعرفة، إذ لا يستطيعون أن يحركوا المجتمع، ويأخذوا على عاتقهم مسؤولية مفكر، وأن يقوموا بمنح المجتمع الإيمان وبث الوعي فيهم، لكنهم ببساطة الأمر بدراستهم لهذه المدارس والأيديولوجيات وفهمها أصبحوا علماء متخصصين فيها، فـ علي الشريعتي يرى «أن المثقف هو إنسان يفكر بطريقة جديدة، وإن لم يكن متعلما وإن لم يعرف الفلسفة فعسى أن لا يعرفها ، وليس فقيها ولا يهم، وليس عالم طبيعة أو كيميائيا أو مؤرخا أو أديبا لا يهم، لكنه يحس عصره ويفهم الناس ويفهم كيف يفكر الأخر، و يفهم كيف ينبغي له أن يحس بالمسؤولية على أساس هذه المسؤولية يكون مستعدا للتضحية»[2]. فمن خلال هذا القول يتضح لنا أن الشريعتي يعتبر المثقف ذلك الشخص الذي ينصهر داخل كيان مجتمعه ويذوب فيه ليحس بالآلام وأزمات الناس، ويفهم مشاكل المجتمع ويشير إليها، فيشعر بمسؤوليته كناقد ومحلّل ومشّرح يهدف للتغير.

ومن سمات المثقف نذكر الشجاعة التي تمكنه من الوصول إلى الحقيقة، فهي أمر بالغ الأهمية، فبالشجاعة يكتمل طريق النضال والسعي إلى التغير وبلوغ واقع جديد أحسن بكثير مما هو عليه الآن: «قد تظهر شجاعة المثقف من خلال تحمل المخاطر التي تتضمنها عملية البحث عن الحقيقة الخالصة وتحمل الحملات الهجومية من جانب ذوي المصالح الثابتة أو القابضين على زمام السلطة في

[1]- علي الشريعتي، مسؤولية المثقف ، ص130.

[2]- المرجع نفسه، ص 110.

المجتمع، لذا عدا كانط أن البحث عن المعرفة بشجاعة وتجِد هو السّمة المميزة للمثقف».[1]

ومن أبرز الوظائف التي يؤديها المثقف في المجتمع هي وظيفة النقد، فالمثقف يتحلى بصفة النقد، فقد ورد في كتاب "المثقف العربي بين العصرانية والإسلامية" لعبد الرحمن الزبيدي أن جمال الدين الأفغاني قد عرف المثقف «بأنه الذي يتمتع بالروح الفلسفية النقدية ويستخدمها في مراجعة ماضيه والتأمل في حاضره، لكي يفسر النبل الإنساني ويضيء الطريق لأبناء أمته، ويرشدها سواء السبيل»،[2] فالمثقف هو من يتمتع بحسّ النقد، ينقد ذاته، وينقد مجتمعه، وينقد ماضيه وكذا حاضره وهو الذي يملي أحسن السبل لأمته، وهذه الأشياء تتأتى عن طريق النقد لا غير«فمجال النقد لدى المثقف هو واقع مجتمعه، أو أمته وتاريخه، والتراث الإنساني الذي يريد أن يتعاطى معه ونقد ذاته هو بصفته مثقفا، نقد سماته الثقافية وآلياته، ومسيرته في العمل الثقافي نحو ذلك».[3]

هذا النقد ينبثق من صميم الواقع الاجتماعي، ومن تاريخه وتراثه، فالمثقف يتعامل مع هذه الأمور بدقة، باعتباره شخص لا يقبل الواقع، حتى وإن تحسن ذلك الواقع إلا أنه لا يكتفي بذلك، بل يتطلع إلى ما هو أحسن وأفضل «فليس من طبيعة المثقف الحقيقي الركون إلى المهادنة وتقبل الأفكار الجاهزة، والولاء المخدر لحس النقد لديه، ونزعة الرضا الدائم لسلطة التراث أو لسلطة الحضارة السائدة، أو لضغط فكر زمني، أو لما يريده الجمهور، أو لأضواء سياسية أو لغير ذلك»،[4] إذ أنه يرفض الجاهز ولا يقبل كل ماهو حالي، بل هو من يبث في أبناء وطنه بذرة

[1] - إسعاف محمد، المثقف العربي: إشكالية الدور الفاعل، مجلة جامعة دمشق، م30، ع4+5، ص 348.
[2] - عبد الرحمن بن زيد الزبيدي: المثقف العربي بين العصرانية والإسلامية، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ط1، المملكة العربية السعودية - الرياض، 200، ص40.
[3] - المرجع نفسه، ص40.
[4] - المرجع نفسه، ص40.

المستقبل الأفضل، ليلتقطوها هم بدورهم ويختاروا التربة الملائمة لها، وتبقى «وظيفة المثقف هي صياغة المشاريع، وتقديمها للناس والتجند والتجنيد لتحقيق تبنيها في المجتمع».[1]

المثقف الحقيقي هو المثقف الملتحم مع قضايا أمته، المنخرط في الاشتباك بمواجهة القوى التي تستهدف ماضي وحاضر ومستقبل الأمة العربية، وتهدد هوية وفكر الإنسان العربي، نحتاج ذاك المثقف والكاتب والمفكر للتصدي للمخاطر التي تدمر أوطاننا.

ب/: المثقف في المغرب العربي من الاستعمار إلى الاستقلال:

أدت الظروف التاريخية التي عرفها المغرب العربي من احتلال واستعمار، ونهب للإنسان والأرض معا، ولمحاولة طمس الهوية الوطنية والدين الإسلامي، إلى ظهور نخبة من المثقفين من مختلف الاتجاهات عاملين على بلورة الوعي وكشف زيف وألاعيب الاستعمار الفرنسي، باعتباره العامل المشترك بين دول المغرب العربي، فمن هم هؤلاء المثقفين، وهل كان لهم نفس الدور ونفس الوسائل والآليات في مجابهة الاستعمار؟

1-المثقف في الجزائر ودوره في حركة التوعية والإصلاح:

منذ الوهلة الأولى التي وطأت أقدام الاستعمار على أرض الجزائر شرعوا باحتلال أراضيها وطمس هويتها ودينها الإسلامي، كما حاولوا أن يجعلوا الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا، فسعوا بكل الطرق على احتلالها والبقاء الدائم فيها، إذ حولوا المساجد إلى كنائس وهدموا المنازل والأسواق، وقاموا ببناء محلات وفضاءات محلها. «وشمل الطّمس تغيير الشوارع وأسمائها وتهديم المنازل والأسواق القديمة وإحداث الساحات مكانها، كما جرى تحويل المساجد إلى كنائس

[1] -عبد الرحمن بن زيد الزبيدي: المثقف العربي بين العصرانية والإسلامية، ص49.

ومخـازن ومستشـفيات».[1] والهـدف مـن وراء هـذا هـو القضـاء علـى الثقافـة الأصـلية وإحـلال ثقافـة المسـتعمر مكانهـا، وخيـر دليـل علـى ذلـك هـو عنـدما حاولـت فرنسـا تجريـد الجزائـر مـن قوتهـا وصـلابتها وذلـك عنـدما قامـت بـ «نقـل المـدفع بابـا مـرزوق مـن الجزائـر إلـى فرنسـا»،[2] فهـو رمـز القـوة والفحولـة والصـلابة والأصـالة، فهـو لـم يكن مدفعا عاديا.

زيـادة عـن كـل هـذا فقـد قـاموا بتأسـيس جماعـات أو فـرق لا تعـرف معنـى الإنسـانية مطلقـا مهمتهـا الوحيـدة القتـل والنهـب، الجهـل والاغتصـاب والغطرسـة. ومـن أشـهرها نـذكر فرقـة «اللفيـف الأجنبـي التـي تألفـت سـنة1833، مـن نفايـات كـل الأمـم وكانت لا تشترك في شيء إلا القتل والنهب والاعتداء».[3]

و كـرد فعـل عـن هـذه السياسـة الاسـتعمارية وهـذه الجـرائم المرتكبـة فـي حـق الجزائـريين ظهـرت ثُلـة مـن الشـباب تصـدّت لهـم وناضـلت وحاربـت العـدو بشـتى الوسائل المتاحة آنذاك، وكان أكثرها حضورا السيف والقلم.

1-1- المثقف الجزائري أثناء المقاومة:

1-1-1- الأميـر عبـد القـادر: يعـد الأميـر عبـد القـادر مـن أهـم مثقفـي المقاومـة الشـعبية ومـن أبـرز المسـاهمين فـي نشـر الـوعي فـي أوسـاط المجتمـع الجزائـري، ولقـد كـان أشـد ضـراوة بسـيفه وقلمـه ضـد العـدو، وكـان عالمـا وشـاعرا وبطـلا محنكـا، كمـا أنـه يعتبـر مـن أحـد رجـال الـدين وفيلسـوفا وسياسـيا، فهـو « مؤسـس الدولـة الجزائريـة

[1]- أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900 ج1، ط1، ،دار الغرب الإسلامي بيروت – لبنان، 1992، ص66.
[2]- المرجع نفسه، ص67.
[3]- المرجع نفسه، ص 69.

الحديثة ورائد مقاومتها ضد الاستعمار الفرنسي بين 1832-1847، كما يعد من كبار رجال التصوف والشعر وعلماء الدين».[1]

حفظ القران في سن مبكرة وأحذ نصيبا من علوم الدين واّللغة على يد والده محي الدين، كما أنه كان كثير الأسفار «أجاد حفظ القران واستوعب مبادئ العلوم الدينية واللّغوية بعد ذلك عزم على مرافقة أبيه لأداء فريضة الحج ».[2]

فقد سافر إلى تونس وبلاد الشام، فتطلع فيها إلى العلم والمعرفة، فارتوى من بحر العلم والمعرفة والثقافات المختلفة في هذه البلدان، كما ذهب إلى القاهرة فزار مساجدها كمسجد الحسين وغيرها ...«ومنها إلى مدينة تونس التي أعجب بها الشاب عبد القادر وتعرف فيها إلى الفقيه أحمد المازوزي، ووكيل المغاربة الحاج الحرشي ومنها ركب البحر مع ابنه ومن كان يرافقه إلى الإسكندرية فزار معالمها».[3]

أولى الأمير عبد القادر جانب التعليم كل الاهتمام، إذ يرى أنه لا يمكن إقامة دولة عادية قوية إلا بالعلم فبه ترفع الأمم «اهتم الأمير عبد القادر بالتعليم كثيرا والذي فهمه أنه لا يمكن التقدم و بناء دولة مسلمة إلا إذا تعلم المسلمون واهتموا بقراءة الكتب والتأمل في الكون والطبيعة».[4] فلقد ربط تطور المجتمعات بمدى علمها ومعرفتها لهذا يسعى أن يكوّن مجتمعا مثقفا متطورا، مفكرا عالما بكل ما يحيط به، وهذا ما طبقه في مدينته تلمسان آنذاك « كان التعليم يحتل المقام الأول

[1]- ندوة وطنية حول سيرة الأمير عبد القادر المجاهد الأديب والمتصوف، الخميس 30 أبريل 2005، بقاعة مخبر البحوث والدراسات الاستشراقية في حضارة المغرب الإسلامي، كلية التكنولوجيا، مقر مخابر البحث رقم 12 ص 2.

[2]- ناصر سعيدوني: عصر الأمير عبد القادر الجزائري، راجعه وأشرف عنه الباحث في الأمانة العامة للمؤسسة ماجد الحكواتي،2000 ص، 155- 156.

[3]- المرجع نفسه، ص 156.

[4]- بشير بلاح: تاريخ الجزائر المعاصر من 1830-1989، ج1،دار المعرفة ،2006، ص175.

في دولة الأمير فمثلا أسس في مدينة تلمسان وحدها خمسين مدرسة ومعهدين كبيرين للتعليم الثانوي والجامعي».[1]

كل هذا ساهم في تكوين شخصيته، واعتباره من بين أهم المثقفين الذين تركوا أقلامهم تعبروا عنهم فقد كان «رجل علم وأدب وشعر وحكمة وكلمة وإنساني».[2] كل هذا يوحي لنا أن هذا المناضل المغوار ناضل بقلمه قبل سيفه، فقد نشر الأمن والأمان بين أوساط المجتمع الجزائري، كما نشر الوعي وبثّ في نفوسهم ثقة استرجاع هويتهم، أما عن محاربته بسيفه فنذكر أول مواجهة له مع العدو الفرنسي وذلك «عند أسوار مدينة وهران وهذا ما أهله ليتولى قيادة الجهاد كما استقدم المتطوعين وألف السرايا وجمع القبائل على الجهاد لنصرة العقيدة وتحرير الوطن».[3]

أما عن انتصاراته، فقد هزم الجيش الفرنسي الذي كان تحت قيادة تريزال آنذاك في« معركة المقطع 18 من جوان 1835».[4]

بشجاعته وذكاءه وقوة شخصيته أعجب به الغرب كثيرا، فاخذوا في تأليف كتب ومقالات عنه وكل كتاب من كتب هؤلاء يتحدث عن عظمة الأمير، ومن بينهم «لاسكندر بيلمار" الحياة السياسية ...للأمير عبد القادر" وشارل هنري تشرشل "حياة عبد القادر السلطان السابق لعرب الجزائر" وترجمة" دوجين دوماس له في عدد من كتبه"»،[5] فلم تمض على مبايعته مدة طويلة إلا أنه استطاع أن يحكم ثلاث مدن أساسية آنذاك كما قام بفك الحصار والعزلة على مناطق أخرى

---

[1]- بشير بلاح: تاريخ الجزائر المعاصر من 1830-1989 ، ص 175.

[2]- عمورة عمار: موجز في تاريخ الجزائر، دار ريحانة للنشر والتوزيع، ط1، 2002 ص 132.

[3]-ناصر الدين سعيدوني : عصر الامير عبد القادر، ص158

[4]- المرجع نفسه، ص158.

[5]- أبو قاسم سعد الله: أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج4، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1996،ص 181.

ولهذا أعجبوا به أشد الإعجاب «لم تمض على عبد القادر سنتان في الحكم 1832-1834حتى استولى على ثلاث مدن رئسية هي تلمسان والمدية وملیانة وحاول تحرير وهران ومستغانم وارزيو وشدّ عليها الحصار».[1]

أما عن الأقوال الخالدة فيقول «جاك بيرك: أنه أكثر من قائد سياسي ديني إنّه يحرك مبدأ الوطنيات الرومنطقي ويجمع في شخصيته الفروسية والإلهام والإسلام .

و يقول الجنرال الفرنسي دوفيغي الذي حاربه إن القوة الحقيقية لعبد القادر القوة التي تقاومنا لها جذور في فكره».[2] كما يذهب أحد المحدثين إلى الإشارة أن الأمير من أفضل الشعراء التزاما بقضية وطنه فيقول :«وضع أسس الوطنية الجزائرية وأعطى لغيره دروسا في المهارة والالتزام للدبلوماسيين كما انه ظهر كأفضل شعراء العربية في عصره».[3]

والفكر لا يكون بدون ثقافة وهذه الثقافة بدورها تكون طبقة من المثقفين.

ومن بين أهم أعماله نذكر:

- المقراض الحاد لقطع لسان الطاعن في دين الإسلام من أهل الباطل والإلحاد: كتب الأمير هذا في فترة تواجده في سجن أمبواز، وقد اعتبرها رسالة ردّ على هجومات واتهامات أحد القسيسين المسيحيين للدين الإسلامي، بأنه دين لا يقي بالعهود والوعود، وأن الغدر والخيانة صفة من صفاته، ويتفرع هذا الكتاب إلى مقدمة عن العقل وثلاثة أبواب. الباب الأول يتفرع بدوره إلى ثلاثة فصول، ويتمحور هذا الباب عن فلسفة الأمير مع الحياة وعن الخلق (خلق السماوات والأرض و...).

[1]- أبو القاسم سعد الله :الحركة الوطنية 1830-1900، ص 175.
[2]-عمورة عمار: موجز في تاريخ الجزائر، ص 140.
[3]- أبو القاسم سعد الله الحركة الوطنية، ص 268.

الباب الثاني: ينقسم إلى فصلان، ويتحدث فيه عن إثبات النبوة. أما الباب الثالث فعبارة عن بيان عن ما ورد في الشرع والحث على ترك الغدر والوفاء بالوعد.

- ذكرى العاقل وتنبيه الغافل: جاء في مقدمة الكتاب أن صاحبه رتبه على مقدمة وثلاثة أبواب، وخاتمة. وقد جاءت المقدمة كوعظ وحث للابتعاد عن التقليد و ذمه. أما الباب الاول فخصه للعلم والعلماء. وعرّف فيه العقل ونبه بضرورة إدراكه، كما بيّن فضل إدراك العقل على إدراك الحواس، أما الباب الثاني يتحدث عن العلم الشرعي وإثبات النبوة، ليأتي الباب الثالث ويحمل فضل الكتابة، ويخص فصلا عن كتابات الأمم.
- المواقف كتاب في التصوف، وهو من أشهر مؤلفات الأمير ويقع في ثلاث مجلدات، ويضم هذا الكتاب 372 موقفا. كما نجده يصم عبارات صوفية إضافة إنّه ضمّ مواقف حدثت له في الجزائر خاصة بعد حجه الثاني.

بالإضافة إلى ديوانه المسمى ديوان الأمير عبد القادر وفيه جمعت جل أشعاره

1-1-2 حمدان ابن عثمان خوجة :

يعتبر حمدان بن عثمان خوجة من أهم المثقفين الموجودين في فترة المقاومة، والذي تصدى للعدو بالسيف القلم كما يعتبر،«من أحد أثرياء مدينة الجزائر، تولى مناصب عليا في عهد الدّاي قبل الاحتلال، وكان رجلا مثقفا».[1]

و قد كانت عائلته بمثابة المشجع الأول له، ليكون ملما بكل الجوانب المعرفية والعلمية، فقد حفظ القرآن وتعلم الحساب ودرس أصول الفقه وعلم الحديث، أضف أنه اهتم بمجال الطب والفلسفة، فكان والده المعلم الأول له، إذ أنّ أول علم علمه والده عثمان هو«مبادئ اللّغة العربية ومعارف عصره بالإضافة إلى إدخاله

[1]- عمورة عمار: موجز في تاريخ الجزائر، ص145

مدرسة الكتاب لحفظ القرآن الكريم، وتعلم مبادئ الحساب وأصول الفقه وعلم الحديث».[1] فخوجة استطاع أن يكون مثقفا نيرا.

كما أن سفرياته الكثيرة - أوروبا مثلا- ساعدته في تعميق تجربته الثقافية وتعلم مختلف الثقافات واللغات والعلوم بالتركية التي كان الفضل الكبير لوالده، إذ أنه أرسله «إلى الأستانة وهو لم يبلغ الخامسة عشر من عمره، رفقة خاله الذي كان تاجرا كبيرا»،[2] فمكث هناك ما يقارب السبعة عشر عاما، وتعلم اللّغة التركية من منبعها كما «كان يحب الفرنسية والإنجليزية».[3]

ثم إنّ له رحلات أخرى إلى «البلاد العربية والإسلامية وكذا إلى البلدان الأجنبية، كاسبانيا وايطاليا، وفرنسا وانكلترا سمحت له باكتساب معارف وثقافة واسعة في كل مناحي الحياة الثقافية».[4] وهذا ما سمح له أن يتولى عدة مناصب في الحكومة إذ قام بتعينه «الجنرال دي بورمون عضوا في المجلس البلدي واحتفظ بنفس المنصب في عهد كلوزيل »،[5] كما تولى عدة مناصب أخرى حكومية ككاتب في الديوان وأستاذ، دون أن ننسى تجارته فقد كان أول كاتب «لديوان الداي بالإضافة إلى عنايته بتجارته الواسعة».[6]

ثم اشتغل كأستاذ للشريعة، لكن سرعان ما تخلى عنها واختار التجارة لأنه كان يرى أن التجارة هي التي تكسبه أكثر«جرب وظيفة الأستاذية في الشريعة الإسلامية وربما يعزى هذا التحويل عن التدريس إلى أمر واحد، وهو ضعف إيراد

---

[1]- عمورة عمار: موجز في تاريخ الجزائر، ص20.

[2]- محمد الطيب عقاب: حمدان خوجة رائد التجديد الإسلامي، صدر عن وزراة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007، الطباعة الشعبية للجيش، ص21.

[3]- حمدان بن عثمان خوجة: المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، تصدير عبد العزيز بوتفليقة، منشوراتANEP 2005 ص4.

[4]- محمد الطيب عقاب : حمدان خوجة ، رائد التجديد الإسلامي، ص23.

[5]- عمورة عمار:موجز في تاريخ الجزائر، ص145.

[6]- محمد الطيب عقاب: حمدان خوجة رائد التجديد الإسلامي ، ص25

من المال فرأى أنّ لا كسب إلا في التجارة مع البقاء في مركزه الحكومي كمستشار أول للدّاي».[1]

كل هذا يدل على أنه من أهم المثقفين الذين نموا قدراتهم الفكرية والعقلية والذين تصدوا للعدو ووقفوا أمامهم رافعي الرأس متحديا لهم. ومن بين الذين حاربوا عن وطنهم وهويتهم وسهروا على استرجاع سيادتها ومعالمها، وحتى وإن أجبره الدوق روفيغو على الرحيل إلى فرنسا- نفاه -لأنه كان معارضا لفكرة هدم المساجد وحلّ محلّها مستشفيات وساحات إلا أنّه لم يبق مكتوفي الأيدي، بل استغلّ ذلك النفي ونظم المقاومة السياسية مع بعض مثقفين جزائريين مدافعين عن هويتهم وانتماءهم وأرض أجدادهم.« مواقفه المناهضة للاعتداء على حرمة المساجد جلبت له العداء وأجبره الدوق روفيغو على الرحيل إلى فرنسا وهناك اجتمع مع نخبة من المثقفين ونظم المقاومة السياسية وتولى الدفاع عن القضية الجزائرية بتنوير الرأي العام الفرنسي والعالمي».[2] كما لابد من الذكر أنّ له دور فعال في إنشاء لجنة غرضها التحقيق في القضية الجزائرية « تكوين لجنة افريقية لتحقيق في الجزائر تمّ تشكيلها بأمر من ملك لويس فيليب يوم7 جويلية1833».[3]

ثم انّه تصدى للعدو الفرنسي مدافعا عن أبناء بلده من الظلم والجور، والباطل المرتكب في حقهم وهذا ما أغضب فرنسا فقامت بتجريده من بعض «أملاكه وحكم عليه أن يدفع إلى السيد يعقوب "ما قدره 35.000"من الفرنكات وغيرها من الأعمال المشينة».[4]

أما عن أعماله فقد ترك لنا كتب ضخمة من حيث المعلومة والقيمة، فقد كتب في عدة مجلات ومن بين أهم كتبه نذكر:

---

[1]- محمد الطيب عقاب: حمدان خوجة رائد التجديد الإسلامي، ص25.

[2]- عمورة عمار: موجز في تاريخ الجزائر، ص145.

[3]- المرجع نفسه، ص145.

[4]- محمد طيب عقاب: رائد التجديد الإسلامي، ص36.

1- «إتحاف المثقفين والأدباء في الاحتراس من الوباء ».[1] إذ قدم فيه طرق وقائية للحماية من الأمراض ثم ترجمه إلى «التركية وقدمه هدية إلى السلطان محمد الشاذلي».[2]

2- «رسالة بعنوان حكمة العارف بوجه ينفع المسألة ليس في الإمكان»،[3] وهي عبارة عن مجموعة أفكار وأراء مختزلة للغزالي.

3- «ترجمة لكتاب إمداد الفتاح لمؤلفه حسن الشرنبلاني»،[4] كما أنّ له كتاب آخر أدرجه تحت اسم «المرأة»،[5] وهو كتاب يتحدث عن تاريخ الجزائر.

1-1-3- الشهيد أحمد رضا حوحو:

مثلما حاربت بقية النخبة الجزائرية وحارب الأدباء كربيع بوشامة والعربي التبسي ومفدي زكرياء وغيرهم، على استرجاع انتماءهم وكافحوا العدو الذي أراد استلاب هويتهم، نجد أحمد رضا حوحو يحارب أيضا بكتاباته ومقالاته، وعيه وعقله ،وجسده من أجل جزائر حرة، ولهذا« يعتبر حوحو أحد الأدباء المعروفين بكتاباته الثورية ومواقفه الشجاعة، كما كان على استعداد للالتحاق بالثورة المسلحة بحكم طابعا الثوري».[6]

كما أنه أحد المنخرطين إلى صفوف جمعية العلماء المسلمين، والتي ساهمت بشكل فعال ومميز على الصعيد التعليمي والثقافي الأدبي، ورغم انضمامه لهذه الجمعية الإصلاحية التي دعا بها الشعب إلى الإصلاح والتوعية، إلا أنها لم تقف عائقا

[1]- محمد طيب عقاب: رائد التجديد الإسلامي، ص25.
[2]- المرجع نفسه، ص26.
[3]- المرجع نفسه، ص26.
[4]- المرجع نفسه، ص26.
[5]- المرجع نفسه، ص26.
[6]- سعيد جيلاوي: الصراع الثقافي بين الاستعمار والثورة الجزائرية، دراسة من خلال مجلة الفكر التونسية ،1955-1962 العدد14 اكتوبر2013 ، ص116.

أمامه فقد أبدع في كل المجلات والفنون إذ أنه «مارس الفنون النثرية بأنواعها المختلفة النثر المسرحي... كما أنّه كتب القصة القصيرة، فكان أحد رموزها المؤسسين فقد وعى هذا الفن في وقت ودعا إلى تشجيعه».[1] فقد كان بارعا أيضا في الموسيقى والفن القصصي، وذلك عبر كتابته في عدة مقالات ومجلات إذ اتخذ من مجلة النهل ملجأ لقصصه ومقالاته، «يكتب باستمرار في مجلة النهل، كما نشر مقاله واحدة في مجلة الرابطة العربية المصرية».[2] وللعلم أن حوحو هو المؤسس الفعلي لمجلة النهل.

إضافة إلى المجلات والمقالات فقد كان يكشف عن زيف الاستعمار، وما ساهم من تطوير زاده المعرفي والثقافي ورحلاته التطوعية التي سمحت له ومكنّته من فهم مختلف التيارات الفكرية أو السياسية في مختلف أنحاء العالم، كما منعته من إصدار أحكام قبلية« إن أسفاره الكثيرة إلى الغرب والشرق قد أثرت في تفتح وعيه على العالم وعلى الفن».[3]

وما يدل أيضا على أنه كثير السفر والرحلات هي كتاباته فقد كتب عن رحلته إلى «الإتحاد السوفياتي والذي عنوانه وراء الستار الحديدي، كما نجد المؤتمر الذي عقده في باريس سنة 1949 يظهر جانبا من الاهتمامات السياسية لهذا الأديب».[4] وهذا ما يعني أن رضا حوحو إضافة إلى أنه أديب ماهر، نجده أيضا مقاوم وسياسي بارع إذ أولى الاهتمام لقضية وطنه.

فحوحو يتميز« بالإطلاع الواسع والثقافة المتنوعة ... وصرح في مقدمته الفقراء بأنه تأثر بفيكتور هيغو، وأعلن أنه اقتبس من الفرنسية قصة "سي

---

[1]- أمين الزاوي: صورة المثقف في الرواية المغاربية، ص85-86.

[2]- محمد شريف عباس: من أمجاد الجزائر1830-1962 منشورات المتحف الوطني للمجاهد2009، ص13-14.

[3]- أمين الزاوي: صورة المثقف في الرواية المغاربية، ص87.

- المرجع نفسه، ص83.[4]

زعـرور" وتـأثر تـأثيرا شـديدا بكتـاب الطبـائع(les caractères) للالبروبيـر فاستوحى منه مجموعة نماذج بشرية».[1]

كمـا كتـب «الروايـة الجزائريـة باللّغـة العربيـة»[2]، زيـادة علـى هـذا فقـد كانـت لـه عـدة قصـص، وأعمـال مسـرحية يكشـف بهـا عـن الواقـع وعـن جـرائم الاسـتعمار، فتنوعـت كتاباتـه بـين القصـة القصـيرة، والروايـة والمسـرح وعـدت روايتـه غـادة أم القـرى مـن أهـم الأعمـال الأدبيـة التـي كتبهـا، إذ منحـت لـه أهميـة كبيـرة فـي العمـل الأدبـي الجزائـري أولا وفـي العـالم العربـي ثانيـا، «تعـود أهميـة أحمـد رضـا حوحـو فـي تـاريخ الروايـة الجزائريـة العربيـة إلـى غـادة أم القـرى التـي كتبـت فـي منتصـف الثلاثينـات ولـم تنشر إلا بعد الحرب العالمية الثانية وبالتدقيق سنة 1947 بتونس».[3]

أمـا عـن مضـمون هـذه الروايـة، فنجـدها تحكـي عـن معانـاة المـرأة الحجازيـة، وما يعتريها من الضغوطات المختلفة.

فبطلـة الروايـة زكيـة صـاحبة 18 سـنة، تخضـع مثلهـا مثـل أي امـرأة حجازيـة للتقاليـد وعـادات هـذه العـائلات، فتقـع حـائرة بـين حبهـا لابـن خالتهـا جميـل والركـوع أمـا هـذا الحـب وبـين تقاليـد العائلـة، التـي تـرفض مثـل هـذه الأمـور. لكـن سـيكون الحـظ معهـا وتتم خطبتها لحبيبها جميل.

ومـع مـرور الأيـام تتقـدم عائلـة أسـعد إلـى والـد زكيـة سـليمان طالبـا يـد زكيـة لابنـه رؤوف، فيخبـرهم سـليمان أنّ ابنتـه مخطوبـة لابـن خالتهـا، فيثـور رؤوف غضـبا ويتوعـد بالانتقـام مـن جميـل. كمـا لابـد مـن الإشـارة أنّ عالـة أسـعد معروفـة بجاههـا

[1]- محمد خان: الأدب الإصلاحي في الجزائر: دراسة الأدب حوحو ج2، مجلة العلوم الإنسانية العدد2، جوان 2002، ص35.

[2]- أمين الزاوي :صورة المثقف في الرواية المغاربية، ص85.

[3]- المرجع نفسه، ص87 - 88.

ونفوذها وسلطتها...لهذا نجدها تتهم جميل بالسكر وشربه الكحول ليدخل هذا الأخير السجن ويمكث هناك ستة أشهر مع جلده كل شهر ثمانين جلدة.

وخارج السجن نجد والدة جميل التي تحترق على ابنها الذي دخل السجن زورا، فتقرر الخروج إلى الشارع والاستنجاد بالمارين، آملة في من يمد يد العون لها. فيمر موكب الملك قاصدا الحج فتستوقفه طالبة إنقاذ ابنها وإعادة النظر في القضية، فيقبل الملك طلبها.

يستدعي الملك كل من رؤوف والشاهدين وجميل لإعادة التحقيق، وهم في انتظار جميل يأتي الشرطي ويخبرهم بوفاة جميل.

وفي بيت سليمان، نجد زكية التي يغمى عليها من الحزن والبكاء،ما تكاد تستعيد وعيها حتى تلحق بخطيبها وتكون في ذمة الله. وتنتهي الرواية بوفاة البطلين.

ظل هذا الأديب يحارب العدو بمقالاته وقصصه وأدبه، إلى أن استشهد أو بالأخرى نقول«اغتيل يوم 30 مارس 1956 من طرف المنظمة الإرهابية الفرنسية اليد الحمراء»،[1] تركا وراءه عدة أعمال أدبية تخدم البشرية لأجيال وأجيال طويلة «كصاحبة الوحي، ونماذج بشرية ، غادة أم القرى، مع حمار الحكيم».[2]

[1]- سعيد جلاوي :الصراع الثقافي بين الاستعمار والثورة، ص116.

[2]- محمد شريف عباس: من أمجاد الجزائر 1830-1962، ص 16.

2- المثقف الجزائري قبل الثورة:

2-1- مالك بن نبي:

ولد ابن قسنطينة «مالك بن الحاج عمر بن الحضري بن مصطفى ابن نبي في 1 جانفي 1905م»،[1] المعروف باسمه المختصر مالك بن نبي.

يعد مالك بن نبي واحدا من بين أهم المثقفين وأكبر المفكرين الإسلاميين الجزائريين قبل الثورة التحريرية المجيدة، فهو يسعى دائما لبناء دولة متقدمة ومجتمع متحضر واع، لهذا كان يأخذ بكل ما يؤدي إلى التطور والتحضر والثقافة فقد كان ذو«عقل مبدع صاحب دين ...وصاحب علم ونظرية علمية ...وصاحب فكر وفلسفة، عقل يعتبره بعض المفكرين المعاصرين همزة وصل بين النهضة والصحوة جمع بين الماضي والحاضر والمستقبل، صاحب نسق فكري متكامل في التعاطي مع مشكلات الحضارة دينيا وفكريا وثقافيا وعلميا واجتماعيا وماديا واقتصاديا»،[2] وهذا ما يعني أنّ هذا المثقف كان على دراية بكل ما له علاقة بالثقافة والتحضر فيكون بذلك أحد المثقفين المميزين في كل مجالات الحياة.

كما أنّه نـدد بظلم الاستعمار وبشاعته مستعينا قلمه وأفكاره في التعبير عما يختلج ثناياهّ، رغم أنه لم يخض حربا ضد الاستعمار الفرنسي، إلا أنّه دافع عن وطنه الجزائر بكتاباته وأفكاره، وأكبر دليل على ذلك كتبه التي تحمل عناوين تدل عن رفضه للاستعمار كقابلية الاستعمار و أنقذوا الجزائر و غيرها من الكتب، وما صرح به في كتابه مذكرات شاهد للقرن والتي هي عبارة عن سيرة ذاتية لحياته فنجده يقول في هذا الكتاب: « ما زلت أعبر عن أفكاري الإصلاحية

[1]- جيلالي بوبكر: البناء الحضاري عند مالك بن نبي،دار المعرفة الجزائر، 2010، ص 17.
[2]- المرجع نفسه، ص16.

وأفكاري الوطنية، وأجهر بموقفي ضد الاستعمار».[1] كما أنه أفرد كتابا واحد ضمّ فيه ستة وعشرين مؤلفا أدرجه في عنوان رئيسي " مشكلات الحضارة " فعالج فيه وضع بلده والوضع المزري للبلدان المجاورة المهمشة والتي وقعت تحت وطأة الاستعمار، وجعلتهم في تخلف وتراجع ملحوظ. إنّ المثقف الحق هو ذلك الإنسان الذي ينقد ويحلّل ويطرح آرائه دون خوف ولا حرج من أي سلطة أو حزب أو مجتمع أو حتى استعمار، بل يتعمد إفضاء ما في جعبته علنا فمالك بن نبي كتابه "مشكلة الثقافة " في ظل وضع بلد محتل يرزح تحت نير الاستعمار غير مبال بما قد يصيبه ولا مكترث بسلطة وهيبة ذلك الاستعمار الغاشم، يقول في إحدى صفحات كتابه هذا:« عندما افتتح الرئيس جمال عبد الناصر العيد الذهبي لجامعة القاهرة وجه الخطاب إلى مستمعيه من الطلبة والأساتذة قائلا: إني جئت لأضع على كاهلكم مسؤولية المستقبل».[2] وهذا ما يجعله مثقفا شجاعا قويا غير خاضع لإرادة الاستعمار.

ثم إنّه من بين أهم المشاركين في« تأسيس مركز لتوحيد الصف بين طلبة شمال إفريقيا، لكن الدوائر الاستعمارية لم تغفل عن هذا فحاربته وعملت على القضاء عليه».[3] كما نجد أنّ السلطات الفرنسية منعته من السفر خوفا من أن يقوم بإقناع الجالية الجزائرية في محاربة الاستعمار، لكونه استطاع أن يجيد اللغتين " العربية والفرنسية كما استطاع الحفاظ على أصالته وموروثة العربي الإسلامي فلم

[1]- مالك بن نبي: مذكرات شاهد للقرن، القسم الأول: الطفل 1905-1930، القسم الثاني: الطالب 1930-1939 ، ط1984 2، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر بدمشق، ص226.

[2]- مالك بن نبي: مشكلة الثقافة، تر عبد الصبور شاهين، دار الفكر المعاصر، ط4، بيروت- لبنان، 1984، ص 36.

[3]- جيلالي بوبكر: البناء الحضاري عند مالك بن نبي، ص17.

يتـأثر بـالغرب ويقـول عـن هـذا:« لقـد أرسـلوني إلـى المدرسـة الفرنسـية إل أننـي فـي الوقت نفسه ثابرت على التردد على مدرستي القديمة لتعلم القرآن».[1]

استطاع هذا المفكر أن يترك لنـا زادا معرفيـا قويـا يخـدم أجيـالا طويلـة مـن جهـة، ويسـاهم فـي تطـور الـدول وازدهارهـا وتحضـرها مـن جهـة أخـرى وذلـك لكـون رعـى كـل مشـكلات المجتمـع وأخـذ كـل أسـباب التطـور والتقـدم ودعـا إلـى العمـل بهـا ومـن بين أعماله البارزة نذكر:

- شـروط النهضـة: وهـو ثـاني كتـاب يقـوم بتأليفـه باللغـة الفرنسـية، إذ تـرجم لعـدة لغـات عالميـة. ويتضـمن بـابين، البـاب الأول يتحـدث عـن كـل مـا لـه صـلة بالحاضـر والتـاريخ، فـي حـين ضـمّ البـاب الثـاني كـل مـا لـه علاقـة بالمسـتقيل ومـا يـوحي الـى نهضة الأمم.
- الظاهرة القرانية: عرض فيه تفسيره العلمي للقران الكريم.
- مشـكلة الثقافـة وفيهـا أعطـى مفهومـا جديـدا للثقافـة وعرضـها فـي صـورة تحليليـة تسـتدعي البحـث عـن اكتشـاف الحقـائق والمصـطلحات. فهـو طـرح مشـكلة الأفكـار فـي العالم الإسلامي.
- أنقذوا الجزائر.
- قابلية الاستعمار.
- رولية لبيك – حج الفقراء والتـي قـال عتهـا الـزاوي أنهـا قائمـة علـى فهـم نهضـوي اصـلاحي كمـا أنهـا تـدعو إلـى العقيـدة والعلـم لأنهمـا بالمنقـذ مـن التخلـف و الاستعمار.
- مذكرات شاهد للقرن: عبارة عن سيرة ذاتية لحياته بكل التفاصيل.
- ميلاد مجتمع، وبين الرشاد والتية، ومن أجل التغير وغيرها من الكتب والمؤلفات.

[1]- مالك بن نبي: مذكرات شاهد للقرن، ص24.

ختامـا نقـول أن هـذا المثقـف الشـجاع حـافظ علـى هويتـه ودينـه وأصـالته ودعـا الـى الثقافـة والتحضـر وتـرد الاسـتعمار، ورغـم أنـه لـم يعـش ولـم يسـاند أبنـاء بلـده فـي الثـورة بحكـم أنـه كـان خـارج الجزائـر فقـد غادرهـا إلـى مصـر رفقـة زوجنـه الفرنسـية ،ولـم يعـد إالا بعـد الاسـتقلال إلا أنـه تـرك حبـر قلمـه يعبـر عـن إحساسـه وخلجـات صدره لهذا لا يسعنا إلا أن نقول أنه كان«مفكرا متميزا»[1] شجاعا متدينا أصيلا.

3- المثقف الجزائري أثناء الثورة:

3-1- فرحات عباس رجل الدولة والسياسية:

إذا ذكرنـا زعمـاء الحركـة الوطنيـة الجزائريـة، أو أحـد مناضـلي ومثقفـي الثـورة التحريرية، يتبادر إلى أذهاننا شخصية الزعيم الوطني والسياسي فرحات عباس.

يعـد فرحـات عبـاس زعيمـا وطنيـا وسياسـيا، ومـن أهـم الـذين خاضـوا حربـا ضـد الاسـتعمار، إذ أنّـه «بـدأ حياتـه السياسـية صـغيرا عنـدما كـان طالبـا، وكـان مـن مؤسسـي جمعيـة الطلبـة المسـلمين لشـمال إفريقيـا فـي الجزائـر».[2] وبعـد ثـلاث سـنوات انتخـب رئيسـا لهـذه الجمعيـة ، إلـى جانـب نشـاطاته داخـل الحـرم الجـامعي بـدأ يخـوض تجربـة أخـرى مـن أجـل وطنـه، إذ شـرع بالكتابـات فأسّـس عـام 1944 صـحيفته الخاصـة وهـي أكبـر صـحيفة آنـذاك مـن حيـث الكـم والمضـمون، فقـد عـالج فيـه القضـية الجزائريـة وكتـب فيهـا مقـالات عـدة، كمـا أدرج قضـية المـرأة التـي كانـت محـور اهتمـام أو جـدل آنـذاك، فوضـع هـذه الصـحيفة تحـت اسـم «المسـاواة égalité التـي سوف تتخذ1948اسم الجمهورية الجزائريةla publique algérienne».[3]

أُلقـي القـبض عليـه وأُدخِـل السـجن ومكـث فيـه 10 أشـهر بتهمـة ارتكـاب جـرائم دمويـة، فقـام بكتابـة تصـريح أو وصـية أو رسـالة تبرئـة تبـرهن أن لا علاقـة لـه بكـل

[1]- جيلالي بوبكر: البناء الحضاري عند مالك بن نبي، ص12.
[2]- علي تابليت: فرحات عباس رجل دولة، ط2، منشورات ثالة الجزائر 2009، ص3 .
[3]- فرحات عباس: غدا سيطلع النهار، تر حسين البراش، وزارة الثقافة، ص12.

الجرائم فيقول:«أؤكد بشرفي وأقسم أمام الله وأمام بلدي وأمام جميع الفرنسيين أن يدينا نظيفة تماما من كل دّم بري».[1]

وبعد خروجه من السجن مكث ما يقارب ثلاثة أشهر ليبدأ بتأسيس «حزب أحباب البيان والحرية، وبقي يمارس نشاطه السياسي داخل الحزب إلى سنة 1945».[2]

لم ينظّم هذا الزعيم المثقف إلى صفوف الثورة التحريرية عند بداية اندلاعها، وإنما التحق بها بعد مضي عامين عليها وذلك في تاريخ «25افريل1956»،[3] ورغم هذا التأخر إلا انه ساعد أبناء وطنه ووقف وقفة الرجال مع جبهة التحرير الوطني، وقد صرح بهذا في جريدة l'actionالتونسية عام 1956وقال فيها «سأقدم أنا وحزبي الدعم الكلي للقضية التي تدافع عنها جبهة التحرير الوطني ودوري الآن هو الوقوف إلى جانب قادة المقاومة المسلحة».[4]

بالإضافة إلى نضاله فقد قام بتقديم مساعدات مالية وأدوية مجانية لمعطوبي الثورة، «قدم مجموعة حقائب مليئة بالأدوية ومبلغ مالي قدره 5000.00ف».[5]

والحق أن المثقف والزعيم فرحات عباس يعتبر من الأوائل الذين لهم فضل كبير في تأسيس الحكومة المؤقتة، وذلك باتفاق كل من لجنة التنسيق والتنفيذ إذ أنها لم يتم الإعلان عنها إلا بعد مشاورات واجتماعات بين أصحابه القادة المسلحة، وبين أعضاء بلدان المغرب العربي، وقد توصلوا إلى اتفاق آن تاريخ 9 سبتمبر 1958تاريخ البداية الفعلية لهذه الحكومة.« وفي 9سبتمبر1958جددت لجنة التنسيق والتنفيذ في القاهرة في الاجتماع الذي ترأسه عباس نهائيا وبالإجماع

---

[1]- غيلان سمير طه، سامي صالح السادة : فرحات عباس ودوره في السياسة الجزائرية 1899-1985 مجلة جامعة تكريت للعلوم، مجلد 19، العدد1، كانون الثاني، ص369.

[2]- علي تابيلت : فرحات عباس رجل دولة، ص 5.

[3]- المرجع نفسه، ص5.

[4]- علي تابيلت: فرحات عباس رجل دولة ، ص6

[5]- المرجع نفسه، ص6.

تشكيل حكومة على أساس رئيسين للوزراء، نائبين لرئيس الوزراء، أربعة عشر وزير وثلاث كتاب دولة.»[1] ولكفاحه من أجل هذه الحكومة أصبح يمثل رمزا للفخر والسيادة، إذ أصبح «المجاهدون يرددون في الجبال اسم سي عباس كقائد سياسي لهم».[2] وبسبب انضمامه المتأخر إلى صفوف الثورة - بعد مضي عامين على اندلاعها- نجده متخوفا بعدم قبول الوفد الخارجي له، وبأنه التحق هو وأتباعه بالثورة متأخرين أو على حد قوله: أخذنا القطار وهو يسير، وهناك طمأنه عبان رمضان وقال إن الثورة ملك للجميع وجبهة التحرير ليست لأحد دون أخر«...فطمأنه عبان رمضان بقوله: إن جبهة التحرير ليست ملك لأحد أنها ملك للشعب الذي يناضل».[3]

أخيرا نقول أن رغم مخاوفه وتقلبات آراءه إلا انه فكر بالجزائر وفكر بالشعب، فقد كان رجلا مسالما ورافضا للعنف، وبسبب السياسة الاستعمارية تحول من مناضل مسالم إلى مقاتل مسلح، فقاتل من أجل حرية وطنه واسترجاع أصالته.

2- المثقف التونسي ودوره في الثورة:

لكل بلد تاريخ عريق، وتاريخ تونس حافل بالإحداث، فمثله مثل باقي البلدان فقد تعرض للاستعمار الفرنسي الذي حاول نهب شخصيتهم واغتصاب وطنيتهم، وسحق شعوبهم، فظهرت بذلك نخبة من المثقفين الذين تصدوا لهذا الإجحاف والظلم فرفعوا شعار تحقيق الأمن والسلام لبلادهم، ومن بين هؤلاء نذكر أبو قاسم ألشابي الملقب بشاعر الحرية.

ولد أبو القاسم الشابي في أسرة متشبعة بالعلم والمعرفة، فقد كان أبوه قاضيا ورجلا صالحا ومهنة القضاة لا يمتهنها إلا من كان في قلبه حبا لوطنه، ولهذا نجد

[1]- علي تابليت: فرحات عباس رجل دولة، ص7.
[2]- غيلان سمير طه، سامي صالح السادة: فرحات عباس ودوره في السياسة الجزائرية، ص379.
[3]- المرجع نفسه، ص376.

أن الشابي ورث هذا الحب والفداء لوطنه عن والده. كما أن طواف والده حول تلك البلدان لإتمام مهنته أثرت على حياة ابنه في جميع النواحي فقد«أكسبه خيالا متوثبا وغذى ذاكراته بصورة البيئة التونسية المتنافرة وعمق تجربته الشعرية».[1]

ثم نجده قد ذهب إلى العاصمة التونسية، أين غذى نفسه بالعلم والمعرفة وقام بتطوير موهبته الأدبية والشعرية، «فنضج ذوقه سريعا وقال الشعر مبكرا، فدرس النحو والصرف والبيان والأدب ...والأساليب القديمة وحصل على شهادة التطويع بعد أن تخرج 1928».[2]

كتب الشابي عدة قصائد فتنوعت موضوعاتها بين الحب والحرية والوطن، فقد كان «من أولئك المقاومين الذين تمثلت معالم المقاومة في شعرهم »،[3] وتغنوا بعدة قصائد عن حب الوطن والتضحية من أجله «فجهروا بأنهم جنوده الذين يبذلون دماءهم رخيصة في الدفاع عنه ونادوا بما ينبغي أن يكون عليه المواطن الغيور من الصفات».[4]

ومن بين القصائد التي تغنى فيها عن حب الوطن قصيدته المشهورة "تونس" إذ وصف فيها الاستعمار بالّليل ويقول فيها:

«لست أبكي لعسف ليل طويل***أو لربع غددا العفا مراحه

كلما قام في البلاد خطيب***موقظ شعبه يريد صلاحه

وفيها نرى صدق عاطفة الشاعر وإحساسه العميق بحب الوطن.

---

[1]- مجيد طراد: ديوان أبي القاسم الشابي ورسائله، ط2، دار الكتاب العربي بيروت، 1994، ص9.

[2]- رقية رستم يور ملكي، أمير فرهنك نيا: ملامح المقاومة في شعر أبي القاسم الشابي، مجلة دراسات في دراسات اللغة العربية وآدابها، ع4، 2014، ص2.

[3]- المرجع نفسه، ص2.

[4]- المرجع نفسه، ص9.

كما نرى حبه الكبير لبلده من خلال قصيدة وطنية يدعوا فيها الشباب لكسر القيد المتمثل في الاستعمار الذي حاول أن يمحي هوية وطنه ويستهلها بقوله:

«إذا الشعب يوما أراد الحياة***فلا بد أن يستجيب القدر

ولا بد لليل أن ينجلي ***ولابد للقيد أن ينكسر».[1]

فالشابي حارب الاستعمار بلسانه وقصائده حيث استطاع من«خلال أشعاره الوطنية أن يلعب دورا فاعلا ويكون داعيا لحركة إصلاحية تجاه أبنائه وشعبه».[2]

أخيرا نقول أن الشابي اتخذ من شعره وسيلة للتعبير عن معاناة شعبه من الظلم والإجحاف والاضطهاد، فهو واحد من أولئك الذين لا يملكون أية آلية للدفاع عن وطنه إلا لسانه، فأراد التحرر والاستقلال بكلماته ورغم أنه فارق الحياة صغيرا إلا انه استطاع أن يزرع في نفوس الشباب الوطنية والتضحية.

3- علال الفاسي المثقف المغربي الذي قارع الاستعمار:

إن تاريخ المغرب الأقصى حافل بالبطولات، كغيره من البلدان المجاورة له كما أنه يربطه تاريخ ونضال مشترك ضد العدو الفرنسي، ولقد ظهر في المغرب أبطال أشاويس وعلماء و مفكرين، ساهموا في استرجاع السيادة، ومن بينهم علال الفاسي الذي يعتبر«أبا لاستقلال المغرب ورائد للنهضة المغربية في العقود الأخيرة من تاريخ هذا البلد».[3]

[1]- مجيد طراد: ديوان أبي القاسم ألشابي ورسائله، ص10.

[2]- رقية رستم يور ملكي، أمير فرهنك نيا: ملامح المقاومة في شعر أبي القاسم الشابي، ص10.

[3]- عبد الحميد المريسني: الحركة الوطنية المغربية من خلال شخصية الأستاذ علال الفاسي إلى أيام الاستقلال، مطبعة الرسائل، الرباط -المغرب1978، ص9.

نشأ علال الفاسي في أسرة متشبعة بحب الوطن والتضحية في سبيله فقد، «كانت أسرته من الأسر الحاملة للواء والمعرفة»،[1] فتعلم المبادئ والعلوم وحفظ القران في سن صغيرة، كما ظهرت موهبته باكرا سواء في الشعر أو الحكمة وغيرها. فقد استطاع أن ينظم الشعر وهو في العقد الثاني من عمره وبعد ذلك انتقل إلى جامعة القيروان حيث تم تعليمه الثانوي والعالي».[2]

بفضل مثابرته واجتهاده المتواصل وسهره الطويل «نال جائزة العالمية منها سنة1930 وعمره لا يتعدى عشرين سنة».[3] حتى بعد تخرجه ظل هدفه الأسمى هو بث الروح الوطنية في نفوس شعبه، فكان يستنهض النفوس الخاملة والضمائر النائمة بأفكاره النيرة قصد مجابهة الاستعمار كما أنه خاض الكفاح ضد العدو على مرحلتين:

المرحلة الأولى: بدأت بإنشاء الحركة الوطنية، «وتشمل السنوات الأولى من حياته إلى غاية صدور الظهير البربري1930»،[4] ثم تأتي المرحلة الثانية والتي تكون فترة «الكفاح ضمن إطارات جماعية منظمة وتمتد من 1930-1937، وهي السنة التي نفي فيها إلى الغابون».[5]

لقد كان علال الفاسي بطلا فذّا ضد العدو من اجل استرجاع الهوية الوطنية المسلوبة فوهب نفسه فداء لوطنه، ومن بين أعماله النضالية عندما كان طالبا في الجامعة هو «تأسيس أول جمعية وطنية سرية سنة 1925، ومدارس لنشر الوعي»،[6] ولم يكتف نضاله عند هذا الحد فقط بل كان من دعاة الحركة السلفية التي تهدف إلى بث روح السلفية والدعوة إلى مقاصد العقيدة الصحيحة والسير

[1]- عبد الحميد المريسني: الحركة الوطنية المغربية ، ص21.
[2]- المرجع نفسه، ص22.
[3]- المرجع نفسه، ص22.
[4]- المرجع نفسه، ص29.
[5]- المرجع نفسه ، ص 29.
[6]- المرجع نفسه، ص33.

على طريق الإسلام، وذلك بواسطة «الخطب والمقالات، وعن طريق حلقات الدروس التي كان يعقدها في جامع القرويين، لأنّه اعتبر أن هذه الحركة نقطة الانطلاق نحو التحرر من العبودية».[1] فالاستعمار عندما علم أن الشعب متمسك بدينه ووطنيته وانّ اتحادهم يكمن في سيرهم عن مقاصد الدين الإسلامي لهذا عمل العدو على طمسه.

كما آمن هذا المثقف بالمبدأ الذي يقول أن ما أُخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة، فالاستعمار دخل بالسلاح ولن يخرج إلا بالطريقة التي دخل بها، وهي رفع السلاح والقتال ضدهم.« لم يكن احتلال المغرب عن طريق السياسة ولكنه احتل بالسلاح ولذلك لا يمكن أن يخرج إلا بالسلاح».[2]

على الرغم من أن علال الفاسي الزعيم السياسي والمصلح الديني والاجتماعي، لم يكن محبا للعنف إلا أنّه كان يحب التحدي، هذا ما جعله يرى أن«مواجهة التحدي هو السبيل الذي اتبعه في تفكيره السياسي مع الاستعمار»،[3] كما أنه حارب بكتاباته إذ قام مع مجموعة من أصدقائه بإنشاء «مجلة شهرية سرية باسم أم البنين، كانت تصدر بانتظام في أربعين صفحة».[4] وكانت تهدف إلى بث الروح السلفية في نفوس الطلبة خاصة والشعب عامة، والعمل على تنوير الرأي العام.

إنّ تحديه وإصراره على فرض أفكاره السياسية على المستعمر جعله يكون من «بين أعضاء الوفد الذي قدم دفتر مطالب الشعب المغربي لجلالة الملك وللإدارة الفرنسية سنة1934»،[5] وهذا ما أكسبه ثقة شعبه ليكون زعيما لحزب الاستقلال وهو الاسم الجديد للحزب الوطني .

---

[1]- عبد الحميد المريسني: الحركة الوطنية المغربية، ص36.
[2]- عبد الكريم غلاب: ملامح من شخصية علال الفاسي، مطبعة الرسالة، 1974، ص40.
[3]- المرجع نفسه، ص41.
[4]- علال الفاسي: الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ط6، الدار البيضاء، ص159.
[5]- عبد الكريم غلاب :ملامح شخصية علال الفاسي، ص202-203.

أخيرا نقول، أن علال الفاسي بأفكاره وشجاعته استطاع أن يحارب العدو الفرنسي، واسترجع سيادة وطنه بمبادئه وقناعته وشجاعته، «شجاعة في التفكير وشجاعة في العقل وشجاعة في ارتياد الأفاق، وشجاعة ما كان يؤمن به من كلمة حق».[1]

فقد كان مقتنعا بفكرة أن رقي الأمم وتطورها لا يكون إلا بالعلم والمثابرة، فمنذ كفاحه أخذ بهذا المبدأ الذي استمدته من ثقافته التي كانت في«بدايتها ثقافة إسلامية».[2] كما نجده يلح على ضرورة تعليم جميع أفراد الشعب المغربي وتثقيفهم حتى يصبحوا أهلا لتحمل المسؤولية. فهو رائد من رواد النهضة الحديثة، كما أنّه ساهم في بناء وتطور وتقدم وطنه متخذا النهضة الفكرية كشرط أساسي لتقدم المجتمع.

ج:/ صراع المثقف المغاربي مع المستعمر وموقفه منه:

حاول المثقف المغاربي بكلّ قوّته الجسدية والفكرية أن يطرد الاستعمار الذي نهب هويته وتجريده من وطنيته، بدءا بالمقاومة بالسلاح إلى المحاربة بالعقل والقلم، فظلّ في صراع دائم وتشابك معه دون أن يرف له جفن أو أن يستسلم للحظة واحدة، فقد كان له دور كبير في تحقيق الاستقلال واسترجاع السيادة الوطنية، وذلك من خلال نشرهم للوعي والأمان داخل المجتمع، كما أنّهم قاموا بتحرير عدّة جرائد ومقالات ومجلات قصد إيصال رسالتهم للعالم أجمع وللرّأي العام الفرنسي، وهناك نخبة أخرى كان لها موقف آخر إزاء هذا الظلم والإجحاف الذي أرتكب في حقّ أبناء وطنهم وشعبهم. فذهبوا إلى الكتابة للتعبير عن آلامهم وآمالهم بلغة غير لغتهم " الأمّ " فاتّخذوا لغة العدو بديلا عن لغتهم الأصلية، قصد رصد الواقع وتأزّمه فشاركوا في الثورة بكتاباتهم ومن أمثال هؤلاء الأدباء نجد

[1]- عبد الكريم غلاب :ملامح شخصية علال الفاسي، ص64.
[2]- المرجع نفسه، ص64.

محمد ديب، مولود فرعون، كاتب ياسين، مالك حدّاد، أسيا جبّار، مولود معمري، رشيد بوجدرة في الجزائر، أمّا في المغرب نجد إدريس الشرابي، عبد الكريم غلاّب، الصفراوي، محمد زفزاف، أمّا في تونس نجد ألبير ميمي وهالة باجي، علي الدواعجي وبشير خريف والمطوي و..

أجمع معظم النقاد والباحثون أن تاريخ ظهور هذا الأدب الناطق باللغة الفرنسية إلى تاريخ الحرب العالمية الثانية، لكونها أثّرت في نفوس معظم الأدباء والشعب آنذاك خاصة وأن الشعب الجزائري هو الشعب الوحيد الذي عان من الاحتلال، فقد شارك فرنسا ثورتها ضد النازية ليعود مرة أخرى ليخوض معركة أخرى في بلده ضد فرنسا بعد أن ساندها ضد ألمانيا.«وقد ظهرت الرواية الجديدة بعد الحب العالمية الثانية التي خلفت الدمار وأمام تلك المحنة القاسية التي مرّ بها الإنسان فكر طائفة من الكتّاب في شكل جديد للكتابة فقد أصبح العالم عندهم تلك الحقيقة القائمة والصعبة الاستيعاب باللّغة... كما أنّ ميلاد الرواية الجديدة قد اقترن بحرب التحرير الجزائرية».[1] فهذه الناقدة ربطت ظهور الرواية الجديدة بالحرب العالمية الثانية أولا، ثم بالحرب الجزائرية ثانيا.

ويذهب أمين الزاوي في هذا الاتجاه ليحدّد فترة « ازدهار الخطاب الرّوائي الاندماجي مابين 1920 - 1945، وفيها ظهرت أصوات روائية حاولت محاكاة الآخر أدبيا وتريد أطروحاته الاندماجية سياسيا».[2]

وهذا ما يؤكد لنا أن معظم الأدباء الجزائريين شاركوا في الثورة بأفكارهم وكتاباتهم، واتّخذوا من لغة المستعمر وسيلة للدّفاع عن وطنهم قصد إيصال رسالة الاستقلال والحرية ومطالب الشعب إلى النخبة الفرنسية من جهة، ومن جهة أخرى

[1]- غنية كبير: النّقد الأكاديمي الغربي وتلقيه للرواية الجزائرية التأسيسية والتأصيلية، اليوم الدّراسي الوطني الثالث حول السرد" فالسفة السرد" يوم 10-04-2016، فرع ولاية برج بوعريريج، ص 3.
[2]- أمين الزاوي: صورة المثقف في الرواية المغاربية، ص 91.

لأنّ هـؤلاء الكتّـاب لا يتقنـون اللّغـة العربيـة فقـد كانـت مهـارتهم فـي التعبيـر وإيصـال المعنـى باللغـة الفرنسـية أقـوى وأشـدّ عمقـا وتـأثيرا« فتـأخر الثقافـة العربيـة فـي الجزائـر أوجـد تخلّفـا فـي اللغـة العربيـة، ممّـا أوجـد فجـوة كبيـرة فـي الحصـول علـى أسـلوب لغـويّ مميّـز، فكـان مـن البـديهي أن يلجـأ الكتّـاب الجزائريـون إلـى اسـتخدام الأداة الأجنبيـة لمـلء الفـراغ ».[1] ومنـه اعتبـر الكتـاب الجزائـريين أنّ اللغـة الفرنسـية هـي غنيمة حرب أو منفى على حد قول مالك حداد.

فهـم ذهبـوا ليكتبـوا الواقـع والمعانـاة والآلام بلسـان أجنبـي، «فكانـت الروايـة الجزائريـة المكتوبـة بلغـة الآخـر تكتـب الواقـع بلغـة الآخـر التـي لـم يملـك الكاتـب غيرها».[2]

ولعـل هـذا الواقـع الـذي تحـدث عنـه معظـم الأدبـاء والنقـاد، هـو واقـع المجتمـع الجزائـري إبـان الاسـتعمار، ومـا عاشـه مـن ذل وحرمـان وظلـم وجـور، فهـو واقـع الـدم والخـراب، والآلام والمعانـاة، فهـذا الأدب أوجـد لظـروف معينـة فـي وقـت معـين وقـد أشـار مبـروك قـادة إلـى هـذا بقولـه:«إنّ الأدب الجزائـري المكتـوب باللغـة الفرنسـية قـد أوجـد لظـروف وأسـباب فـي مرحلـة معينـة وهـو إن كُتـب بلغـة أجنبيـة، فإنـه عبـر عـن مضـمون جزائـري وواقـع وطنـي الأمـر الـذي يجعـل منـه أدبـا محليـا وطنيـا».[3] لهـذا نجـد أن هنـاك فئـة مـن البـاحثين أرجعـوا وأقـروا أنّ سـبب ظهـور هـذا النـوع مـن الفـن الجديـد لـم يكـن مـن العـدم بـل قرنـوا مـيلاده بحـرب التحريـر والثـورة متفقـين مـع الناقـدة غنيـة كبيـر، وقـد أكـد ريمـون جـان هـذا بقولـه:«إنّ مـيلاد الروايـة الجزائريـة صـادفت حرب التحرير في الجزائر».[4]

---

[1]- مبروك قادة: إشكالية الانتماء القومي للأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية، المخيال والأدب، العدد 9 سبتمبر- ديسمبر 1999، ص 6.

[2]- غنية كبير:النقد الأكاديمي الغربي وتلقيه للرواية التأسيسية والتأصلية، ص2.

[3]- مبروك قادة: إشكالية الانتماء القومي للأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية، ص8.

[4]- عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية، العدد240، دار المعرفة، ص53.

أمـا الفئـة الثانيـة فقـد خالفـت أصـحاب الـرأي الأول، وذهبـت لترجـع أنّ ولادة الأدب النـاطق باللغـة الفرنسـية كانـت بداياتـه الأولـى تعـود إلـى سـنة 1912 وأن الروايـة المكتوبـة باللغـة العربيـة هـي التـي تُعـدُ حديثـة النشـأة.«...الروايـة باللغـة العربيـة حديثـة العهـد وأمـا الروايـة باللغـة الفرنسـية فهـي عريقـة، وتعـود أول محاولـة لهـا إلـى نهايـة القـرن الماضـي حيـث كتـب أحمـد بـوري سـنة 1912روايتـه مسـلمون ومسيحيات».[1]

وعلـى غـرار هـؤلاء، نجـد أحمـد منـور الـذي يـرى أنّ الروايـة الجزائريـة حديثـة العهـد ولا تتجـاوز تاريخهـا أربعـين عامـا، بينمـا حـدد تـاريخ الروايـة المكتوبـة باللسـان الأجنبـي إلـى سـنة 1920، وهـذا مـا يعنـي تـأخر الروايـة العربيـة عـن نظيرتهـا. ثـم يشـير إلـى أنّ رغـم التـأخر هـذا إلا أن الروايـة العربيـة عامـة والروايـة الجزائريـة خاصة واكبت قرينتها بفضل مهارة واحترافية كتابها .

وأمـام كـل هـذا الجـدال والنقـاش، يـذهب أمـين الـزاوي ليطلـق علـى هـذا المثقـف المفـرنس والـذي يحـارب ضـد سـلطة الاسـتعمار بقلمـه وروحـه وأفكـاره، وكتاباتـه التـي تكـون موجهـة إلـى النخبـة الاسـتعمار قصـد فهـم معانـاتهم ومعانـاة شـعبهم بـالمثقف السـفير، ونجـد هـذه التسـمية واضـحة فـي كتابـه صـورة المثقـف ويقـول فيـه «ويمكـن إطـلاق تسـمية المثقـف السـفير ambassadeur intellectuelعلـى المثقـف الـوطني المفـرنس نظـرا للوضـعية التاريخيـة وللـدور الـذي تبـوأه خـلال فتـرة الحـرب التحريرية ذلك لأن خطابه كان موجها للخارج في أغلب الأحيان».[2]

مـن خـلال كـل مـا قـدمناه سـابقا، أصـبح بالإمكـان أن نقـدم بعـض نمـاذج عـن المثقـف السـفير- المثقـف المغـاربي- الـذي يعبـر عـن قضـيته بكتاباتـه فـي كـل مـن الجزائـر وتونس والمغرب.

[1]- أمين الزاوي :صورة المثقف في الرواية المغاربية، ص85.

[2]- المرجع نفسه، ص61.

أولا: المثقف الجزائري واللّسان الفرنسي:

1- مولود فرعون: يعد مولود فرعون من أهم الروائيين الذين برزوا في هذا المجال الأدبي، إذ أنّه آمن بالثورة ورفض واقع شعبه وظلم الاستعمار، فحاول أن يعبر عما في جعبته بواسطة اللغة الفرنسية التي لم تكن إلا نتيجة حتمية لهذا الواقع. وعكس الكثيرين الذين تهربوا من هذه اللغة، فهو جعل منها سلاحا يدافع به عن هويته وخصوصيته وانتمائه لأرض الجزائر، فنتيجة الاستعمار والظروف القاهرة التي عاشها شعبه جعلته يردد جملته المشهورة:«أكتب بالفرنسية وأتكلم الفرنسية لأقول للفرنسيين إني لست فرنسيا».[1]

استطاع هذا المثقف إيصال رسالته للعالم وللنخبة الفرنسية من خلال كتاباته، كما أنه ساهم في تثقيف شعبه ومعاصريه، قبل أن يسقط ضحية على يدي غدر المستعمر فقد اشتغل في عدة مناصب في قطاع التربية، من معلم إلى مدير ثم مفتش وغيرها «...وهي بقرية توريرث موسى التي التحق بها معلما سنة1946 وبعد ذلك بسنة1952مديرا لإحدى الإدارات التعليمية، أما في عام 1957فقد التحق بالجزائر العاصمة مديرا لمدرسة نادور، كما عين في 1960 مفتشا لمراكز اجتماعية».[2] وأثناء اجتماع المعلمون لأمور إدارية تعليمية هجمت منظمة من الاستعمار الفرنسي المدعوOAS ف«أشار القائد إلى الجنود على رشاشتهم فتهاوى المعلمون في دمائهم وكان من بينهم مولود فرعون أحد أهم أدباء الجزائر المعاصرون».[3]

كتب هذا المثقف عدة روايات تتناول موضوع الاستعمار ومعاناة الشعب الجزائري آنذاك، فمعظم أدبه كان تعبيرا عن ثقافة وطريقة عيش سكان القبائل

[1]- مولود فرعون: ابن الفقير، تر نسرين شكري، ع2097، ط الأولى 2014، المركز القومي للترجمة، ص7.

[2]- المرجع نفسه، ص 1.

[3]- المرجع نفسه، ص 11.

لكونه ينحدر من هذه المنطقة، وتعتبر روايته ابن الفقير أو المعروفة نجل الفقير والتي هي أقرب إلى السيرة الذاتية، من أهم الروايات الناطقة بلغة العدو، فقد صدرت قبل اندلاع الثورة، إذ أنها تحكي معاناة الشاب "فورولو منراد"، معاناته النفسية والاجتماعية لكونه من طبقة فقيرة وكيف حارب الظروف بغية العلم، ثم نجده في صراع أخر إذ يحاول أن يكون جزءا من الفرنسيين مع ملاحقة هاجس الطرد من الثانوية.

لكن مع كل هذا استطاع أن يحارب العدو بلغته وأفكاره النيرة، كما أنه كتب عدة روايات أخرى نابعة من عمق الألم الجزائري تحت وطأة الاحتلال الفرنسي، فقد كتب عن ظلم وإجحاف شعبه وآلامهم، ومحاولة العدو الأجنبي طمس الهوية فكتب«الذكرى، الدروب الوعرة، الأرض والدم، وكلها تتناول المعاناة الجزائرية في ظل قهر الاستعمار والمحاولات العديدة لطمس الهوية».[1]

فمولود فرعون قال لاستعمار الفرنسي لا للنهب وطمس الهوية الوطنية الجزائرية، ولا للظلم والإجحاف الذي مارسه المستعمر ضدهم.

2- محمد ديب: صنف الباحثون محمد ديب رائد الرواية المكتوبة باللغة الفرنسية، إذ أنه كتب ثلاثية "الدار الكبيرة، الحريق، النول شبيهة بثلاثية نجيب محفوظ وكلاهما قام برصد واقعهم أثناء الثورة، وتعد «ثلاثية الجزائر كما سماها لويس أراغون L'ARAGON»،[2]من بين أهم الروايات التي تناولت أوضاع الشعب الجزائري قبل الثورة وفي الثورة فمثلا روايته الأولى التي أطلق عليها «الدار الكبيرة قد نشرت عام 1952، أي قبل قيام ثورة الجزائر»،[3] علما أن هذه الرواية ما هي إلا محاولة كشف الستار عن معاناة الشعب الجزائري، فقد جاءت كتمهيد

[1]- مولود فرعون: ابن الفقير، ص1.
[2]- أمين الزاوي :صورة المثقف في الرواية المغاربية، ص93.
[3]- محمد ديب: ثلاثيته:الدار الكبيرة الحريق ،النول، ص13.

لاندلاع الثورة، وهذا ما أشار إليه موريس نادو في مقدمة ثلاثية محمد ديب ويقول: «إنّ كتاب الدار الكبيرة يهزّ النفس هزّا قويا، بإيجازه وتناوله الأمور تناولا مباشرا نافذا، إنّه يؤثر في القلب بأبسط وسيلة، وهي ذكر الحقيقة عارية كل العرى بغير صراخ ولا دموع».[1]

أما الجزء الثاني من الرواية والموسوم"الحريق" فإنها كتبت أيضا قبل الثورة، لكنها لم تكن تمهيدا للثورة وإنما هي محاولة لرصد تحركات الثورة وردود أفعال الشعب الجزائري، ففيها نرى «أصايف الثورة تتحرك فرب ناقد يقرأ الصفحات التي تصف تمرد الفلاحين على الأوضاع القائمة بمناقشات واعية».[2]

أما الجزء الثالث من الثلاثية فقد عنون باسم النول وهي تقوم بسرد ردود أفعال الشعب وتحركاته أثناء قيام الثورة.

استطاع محمد ديب من خلال أعماله وكتاباته الكشف عن ألم الشعب، وأن يكون الرائد الفعلي لهذا الفن الناطق باللسان الأجنبي، ثم إنّه استطاع أن يحظى بفرصة الفوز«بجائزة FENON الأدبية عام1953».[3]

3- مولود معمري والرواية السياسية: سار مولود معمري على خطى ديب، فكتب بدوره ثلاثية لكن لم يتعمد لذلك فقد كانت ثلاثيته عشوائية :"الربوة المنسية، النوم العادل، الأفيون والعصا." فهذه الروايات الثلاثة تعكس ثلاث مراحل متتالية لشعب أراد التحرر والاستقلال كما « تجيء أهمية روايات معمري من أنها روايات سياسية في المقام الأول ليس فقط لأنها تقف ضد الاستعمار بل لأنها تهاجم الأفكار الغربية»،[4] فقد مثلت روايته الأولى الربوة المنسية والتي كتبها عام 1952محاولة

[1]- محمد ديب: ثلاثيته: الدار الكبيرة، الحريق، النول، ص8.
[2]-المرجع نفسه، ص 8.
[3]- المرجع نفسه، ص9.
[4]- محمود قاسم: الأدب العربي المكتوب بالفرنسية، الألف كتاب الثاني ع233، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1966، ص116.

لتشـريح القلـق، فـي حـين كانـت روايـة نـوم العـادل أو سـبات العـادل1955 بمثابـة خطـوة ثانيـة فهـي تكشـف عـن آليـات الاسـتعمار والقطيعـة، أمـا عـن روايتـه الأخيـرة الأفيون والعصا 1965ماهي إلا ملخص لالتزام الشعب الجزائري بقضيته.

«نشـر مولـود روايتـه الأولـى التـل المنسـي La colline obliée عـام 1952ثـم جـاءت روايتـه الثانيـة نـوم الرجـل العـادل le sommeil du juste عـام 1955، وبعـد عشـر سـنوات جـاءت روايتـه الثالثـة الأفيـون والعصـا l'opiume et le baton».[1]

علـى عكـس هـؤلاء فقـد ذهـب كاتـب ياسـين باتجـاه آخـر لـيس مـن حيـث اللغـة لكـن فـي كونـه كسـر أطـر الروايـة التقليديـة المألوفـة، وقـام بخـرق القواعـد المتبعـة فقـد أحـدث ثـورة كبيـرة علـى تقاليـد الكتابـة، فكانـت روايـة "نجمـة "مـن أكبـر الروايـات التـي حـدثت صـدى و«قطيعـة أدبيـة جماليـة مـع تقاليـد الكتابـة البلزاكيـة فـي الأدب الروائـي الجزائـري بالفرنسـية».[2] فهـي غيـرت الـنهج الكلاسـيكي والتقليـدي مـن جهـة ومـن جهـة أخـرى فهـي مـن أكثـر الروايـات «تعبيـرا عـن الواقـع الجزائـري فـي زمـن الاحـتلال الفرنسـي، كانـت الأجـدر بالدراسـة والتحليـل، لمـا تزخـر بـم مـن طبقـات ومسـتويات هامشـية ومركزيـة».[3] فهـذه الروايـة إذا ذهبـت لكشـف سـتار عـن آلام الشـعب الجزائري وأوجاعه من هذه الثورة.

فنجمـة هـي كـل شـيء لكاتـب ياسـين هـي الأم، الـوطن والأرض، الماضـي والحاضـر ويمكـن أن تكـون حتـى المسـتقبل، فهـي كرامـة كـل مناضـل يحـاول استرجاع هويته ووطنه.

---

[1]- محمود قاسم: الأدب العربي المكتوب بالفرنسية، ص115.

[2]- أمين الزاوي: صورة المثقف في الرواية المغاربية، ص95.

[3]- علي رحماني، ناجي صالحي: الهوية وجدلية المركز والهامش في رواية نجمة لكاتب ياسين، مجلة المخبر، العدد العاشر2014، ص156.

ثانيا: المثقف المغربي ومجابهته للاستعمار:

مثلما أحدثت رواية نجمة لكاتب ياسين قطيعة أدبية جمالية، وصدى عميقا في العالم المغاربي عامة والنخبة المثقفة خاصة، نجد كل من الصفريوي وإدريس الشرايبي يتألقان بكتاباتهم ورواياتهم، إذ أنهما كشف عن واقع المجتمع المغربي في زمن الاستعمار.

تأثر الصفريوي بالكتابات ذات اللسان الفرنسي، حيث قام باستعارة اللغة الأجنبية للتعبير عن حاجياته وحاجيات شعبه، كما أنه قام بتسليط الضوء على واقع وطنه، لكنه رفع قلمه ليعبر بصورة متخفية، فكان عكس أولائك الذين جهروا بصوتهم فداء هذا الوطن. إذ كثيرا ما نجده يقف موقف المتفرج الذي يكتفي بالمشاهدة، وكأنه عاجز عن ما يحدث لأبناء أمته فاكتفى بتصوير الحياة العادية اليومية، متناسيا معاناة الشعب ومعاناة الطفل مع المستعمر، وهذا ما أشار إليه أمين الزاوي في كتابه صورة المثقف.

فالصفريوي يرى أن هذه اللغة مكنته من الكتابة كثيرا، إذ بها يستطيع التعبير متى شاء، وهذا ما يدل على امتلاكه القوة والجزالة والتعبير والتأثير في النفوس، وقد وصل به الأمر ليصف هذه اللّغة بباب علي بابا ويقول في ذلك:«انفتحت لي اللغة الفرنسية كما انفتحت أبواب علي بابا».[1]

كم استطاع آخرون الوصول أيضا إلى مقاصدهم والدفاع عن حاجياتهم عن طريق كتاباتهم فكانت بمثابة رسائل تعبيرية، ومن بين هؤلاء نذكر إدريس الشرايبي الذي تألق بروايتيه "الماضي البسيط" و "التيوس ".

تحتل رواية الماضي البسيط للروائي المغربي مكانة مميزة في الأدب المغاربي المكتوب باللغة الفرنسية، إذ أنها عالجت عدة قضايا مختلفة، كالقضايا الاجتماعية

[1]- أمين الزاوي: صورة المثقف في الرواية المغاربية، ص106.

والأسرية خاصة ظاهرة التسلط الأبوي كما أنها تناولت الواقع المغربي في زمن الاستعمار. فقد انفردت عن الروايات الأخرى، بموضوعاتها وخرقها للثابت والمقدس كما أنها صدرت عام 1954 قبل الاستقلال بعامين وبذلك تمكنت من رصد الواقع المغربي المهمش في تلك الحقبة، فقد«جاءت الماضي البسيط لتكشف لنا روائيا موهوبا، يضع عينا على الواقع بكل أمراضه...».[1]

ساهمت هذه الرواية في خلخلة بنية السرد التقليدي المتتابع لتعوضه بتقنية سردية جديدة، وبهذا استطاع هذا للروائي أن يتفق مع كاتب ياسين بطريقة عفوية لينتجا كليهما أدبا روائيا مميزا.

وبعد هذه الرواية يتألق الروائي مرة أخرى بجرأة أكبر وببغض أكثر، فبعد أن كشف في روايته السابقة كرهه للعالم المغاربي الإسلامي وقام بانتقاده، نجده يكشف في روايته التيوس عداوته وكرهه للغرب.

قام الكاتب في هذه الرواية كشف الوجه الحقيقي لأوروبا وكيفية معاملتها لفئة المهاجرين المغربين، فكانت روايته هذه بمثابة بقعة الضوء المسلط على البطل في خشبة المسرح، لكن هو لم يسلطها على البطل المسرحي، وإنما سلّطها على فئة المهاجرين ومعاناتهم وطريقة استغلالهم واستفزازهم من قبل المستعمرات الفرنسية، فهو ذهب في هذه الرواية لانتقاد علاقة فرنسا مع هذه الفئة التي تركت أراضيها وأجبرت على المغادرة والعمل في أراضي غربية، أراضي العدو لا غير.

[1]- أمين الزاوي: صورة المثقف في الرواية المغاربية، ص109.

«سيكتب الشرايبي روايته الثانية التيوسles boucs عام 1956، سيعري همجية الرأسمال الغربي وزيفه وذلك من خلال تصوير معاناة الطبقة العاملة في فرنسا، وتكشف الرواية عن كراهية كبيرة لهذا الغرب».[1]

ولان هذه الرواية كشفت عن المستور والمحجوب أطلق أمين الزاوي مصطلح الجرأة على أسلوب وكتابات هذا الروائي.

ولم تقف المغرب على هذا النوع من الكتابات ذات الأداة الفرنسية في التعبير فقط، وإنّما استطاعت أن تثبت جدارتها وسلاسة تعبيرها باللغة العربية أيضا والتي« لم تكن تائهة في المغرب مثلما حدث في الجزائر، وعليه فإن أديبين مثل شرايبي وسفريوي كانا يجيدان اللغة العربية الفصحى مثلما يجيدان اللغة الفرنسية»،[2] وهذا ما يبرهن أن المغرب استطاعت المزج بين نوعين من الروايات، النوع الأول الروايات المكتوبة بلغة الأصل العربية، أما النوع الثاني فهي ذات اللسان الفرنسي كالتيوس والماضي البسيط.

وقد أُرجع أن سبب حفاظ المغرب على الرواية باللغة الأصلية - اللغة العربية- يعود إلى «جامع القرويين الذي ظل خزانا للانتلجنسيا* المغربية المعربة».[3]

انطلاقا من كل هذا نتوصل للقول أن الوطنيين المغربين أكثر حظا من غيرهم في البلدان المجاورة - الجزائر خاصة- إذ أنهم أجادوا التعبير بلغتين، دون استثناء أو تفضيل واحدة على أخرى، فهم لم يحسوا بالعجز الذي أحسه كل من مولود فرعون ومولود معمري وغيرهم..، فالروائي المغربي كتب واقعه باللغتين وبذلك استطاع أن يصل مقصديته لشعبه أولا، وإيصال رسالته للعالم والنخبة الفرنسية ثانيا.

---

[1]- أمين الزاوي: صورة المثقف في الرواية المغاربية، ص110.

[2]- محمود قاسم :الأدب العربي المكتوب بالفرنسية، ص151.

[3]- أمين الزاوي: صورة المثقف في الرواية المغاربية، ص106.

ثالثا: المثقف التونسي والأداة الأجنبية:

اتفق معظم النقاد والباحثين أنّ إنتاج الأدباء التونسيون باللغة الفرنسية محدود للغاية، مقارنة مع الجزائر والمغرب، وذلك راجع للظروف التاريخية والسياسية وحتى الثقافية، فحظوظ البلدين السابقين أكثر من تونس. وإن كان حضور الأدب واللغة الفرنسية أقل بكثير من اللغة العربية، إلا أنّه لم ينعدم كليا، وأن هناك روائيين انفردوا بكتابتهم واتخذوا من لغة العدو أداة تعبيرية، فعبروا عن واقعهم ومآسيهم من جهة، ومن جهة أخرى ظهرت جماعة نخبوية أجادت التعبير باللغتين فكانت أكثر ارتياحية من غيرها.

حاول الاستعمار الفرنسي أن يدحض معالم الهوية الوطنية والعربية وعمل جاهدا على أن يجعلها في طي النسيان، وأن يغلق كل مدرسة تكون السبيل في تطور هذه اللغة، إلا أنهم لم يتمكنوا من «تهديد أو إلغاء الأبجدية العربية، وذلك لأن تونس من الناحية"الجغرافقافة" تعد بوابة مشرق النهضة الحضارية والأدبية في المغرب»[1] أولا،أما ثانيا فيعود الفضل أيضا إلى المدارس العربية التي لم تتوقف عن العمل ولا عن تعليم أبنائها، ومن بين المدارس التي زاولت نشاطها نذكر على سبيل المثال«مدرسة صديقي، ولعبت جامعة الزيتونة دورا بارزا في تعليم العربية والاحتفاظ بها».[2]

فكلا هاتين المدرستين ساهمتا كثيرا في صون الموروث الأدبي، والمحافظة على «التوازن الثقافي، فلم يحصل للثقافة العربية اجتثاث أو اغتراب في تونس».[3]

*الأنتلجنسيا: كلمة روسية استخدمت للإشارة إلى المثقفين الذين كانوا يمارسون النقد الفكري لزمانهم ومجتمعاتهم، ويرفضون النظام القائم ويدعون إلى تغيره ويلتزمون الأفكار الثورية التي يقدمونها.

[1]- أمين الزاوي: صورة المثقف قي الرواية المغاربية، ص113.

[2]- محمود قاسم: الأدب العربي المكتوب بالفرنسية، ص174.

[3]- أمين الزاوي: صورة المثقف في الرواية المغاربية، ص114.

حتى مع دخول المستعمر ظل الأدباء التونسيون يفضلون اللغة العربية على نظيرتها الفرنسية، علما أنهم أجادوا وبرعوا في كلا اللّغتين وكان ألبير ميمي واحد منهم. لكن سرعان ما تغيرت الموازين وظهرت جماعة أخرى اتخذت اللّسان الفرنسي لمجابهتهم فالحديد مع الحديد يفلح، والمستعمر لا يفهم إلا بلغته، فأخذت تدافع عن مستقبل الوطن بالقلم الفرنسي. لكن لم يرق هذا النوع من الكتابات كثيرا، ولم يكن متطورا كتطوره في الجزائر والمغرب، ومع كل هذا فلا أحد يحاول إنكارها.

«لا أحد ينكر وجود حركة روائية تونسية بالفرنسية، إلا أن هذه الحركة لم تكن متطورة ولا ذات وزن أدبي وسياسي في الداخل أو في فرنسا كما هو حال الحركة الروائية الجزائرية أو المغربية».[1] صحيح أن هذه الحركة ليست متطورة لكنها ليست أقل شأنا من جارتيها، فقد اتخذ مثقفو هذا الوطن كل من الرواية والشعر وسيلة وأداة وآلية لكشف عن جرائم الاستعمار فواجهت هذه النخبة العدو بالرواية والشعر أو القصة وغيرها من الفنون.

يعد علي الدواعجي من أهم الروائيين الذين سالت أقلامهم في سبيل الوطن، وحارب الأخر بلغتهم دون أن يقع في فخ التأثر والاندهاش والإعجاب الذي وقع فيه آخرون كمنصف غانم مثلا ويشير أمين الزاوي إلى هذا بقوله:«علي الدواعجي الذي يعد المؤسس الفعلي لإنشاء سردي روائي متميز تمكن من وضع لمسات لفضاء روائي تونسي حضاري، يحاور الغرب دون أن يقع في فخ "الاغتراب" أو" الانسحاق" أو "الدهشة"».[2]

كما استطاع صاحب كتاب "جولة بين حانات البحر المتوسط" وأبو القصة في تونس، بأسلوبه الساخر الفاكهي أن يكون لنفسه أسلوبا خاصا به وأن ينفرد عن

[1]- أمين الزاوي: صورة المثقف في الرواية المغاربية، ص112.

[2]- المرجع نفسه، ص117.

غيره، فقد نوع في الأساليب فتارة ما تجده يستخدم أسلوبا فكاهيا، وتارة أخرى يلجأ إلى الأسلوب الجزل المتن والقوي. وكل هذا بغية محاربة الاستعمار.

كما يجب ذكر كل من إسهامات بشير خريف و المطوي وغيرهم في إثراء هذا الفن وترقيته إلى أعلى المراتب، لكنهم ذهبوا في معظم أعمالهم إلى رصد المجتمع وطريقة عيشهم أما عن ذكر الاستعمار فكانت مجرد ومضات.

أما عن الذين اتخذوا الشعر والحكمة سبيلا وسلاحا، لإيصال المكممون والمخفي في ثناياهم نذكر«الشاعر عبد المجيد طلا طلي الذي جمع في شعره بين الحماس والحكمة فكرس شعره من أجل كراهيته الدم والتسلط والعنف».[1]

استطاع هذا الشاعر أن يترك في نفوس المناضلين الحماس والقوة والشجاعة لمواجهة الاستعمار والوقوف أمامه بكل شجاعة وجدارة. فكان شعره رسالة توعية وإصلاح واطمئنان، ودعوة إلى التحلي بالصبر والشجاعة لمجابهة مصاعب الحياة في زمن الاستعمار.

رغم التفاوت الثقافي واللغوي والسياسي بين تونس والجزائر، تونس والمغرب إلا أن تونس استطاعت أن تترك تراثا أدبيا متنوعا - الرواية والشعر والقصة -لأبنائها يحكي عن صراعها و موقفها من المستعمر والتي ستبقى شهادة خالدة عن نضال هذا الشعب وكفاحه لاسترجاع هويته وانتمائه.

أخيرا نقول، لا تهم الطريقة التي يكافح فيها المثقف الوطني، فهناك من رفع السلاح وهناك من اتخذ القلم أداة للتعبير سواء عبّر بلغته أو لغة العدو، المهم أنهم حاربوا، ناضلوا ونشروا الوعي بين شعوبهم و«لم ينفصل الروائيون الوطنيون

[1]- محمود القاسم: الأدب العربي المكتوب بالفرنسية، ص175.

بوصفهم قوة سياسية واجتماعية عن المعركة التحريرية التي خاضتها شعوبهم في منطقة المغرب العربي».[1]

د:/ صراع المثقف المغاربي مع مجتمعه:

نحن نعرف جيدا أن الخطاب حول وظيفة المثقف في المجتمع، هو موضوع متكرر بشكل مدهش لكونه موضوعا ذو أهمية بالغة، ومما لا شك فيه أن تكرار مثل هذا الموضوع مرتبط بالإلحاح الذي لا يمكن إنكاره ولا بد من تفعيل هذا الدور الذي لا يزال المجتمع في حاجة ماسة إليه، فالمثقف ليس فوق المجتمع وفوق الطبقات بل هو وليد الصراع الطبقي، ويعتبر نتاج أوضاع تمثل مرحلة تاريخية من تطور المجتمع الذي يعيش فيه، فهو كالشعلة المنيرة التي تضيء زمن العتمة، وتنير الطريق وترشد المناضلين فالمثقف هو ابن الشعب. والمثقف المغاربي له دور ومسؤولية تجاه مجتمعه كغيره من المثقفين في أي مجتمع كان، فهو دائم الصراع مع النظام الحاكم والسلطة ليضمن لأبناء شعبه حياة مستقرة، إذن فما يتمثل صراع المثقف مع مجتمعه يا ترى؟

1- *المثقف في الجزائر*:

لقد كان المثقف الجزائري حاضرا في مجتمعه، وقد خاض معه غمار الأحداث من الاستقلال إلى وقتنا الحاضر، فالمثقف زمن الاستعمار حاول جاهدا إذكاء روح الوطنية في أبناء الشعب، وذكروا مساوئه وأفعاله الشنيعة، فهذا مفدي زكرياء على سبيل المثال لا الحصر كان شاعر الثورة التحريرية، والمدافع عن أبنائها والمنكل بالعدو.

لقد وصف كاتب ياسين المثقف بـ «الشقي البائس القوي إذ يقول فشقاؤه أو مشقته في أن يرى ما لا يراه الآخرون أو لا يريدون رؤيته، ويستمد قوته من

[1]- أمين الزاوي: صورة المثقف في الرواية المغاربية، ص68.

شقائه ويستمد شقائه من قوته»[1] والمجتمع بدوره يثق في هذا المثقف فهو شمعة تحرق نفسها ليعيش الآخرين، فثقتهم هذه تعمل على تحفيز المثقف ليقدم أحسن ما عنده وهذا ما أشار إليه رشيد ميموني بقوله «أثق في المثقف كموقظ للوعي والدافع للرذائل الإنسانية».[2]

استمر دور المثقف حتى بعد الاستقلال فيقول بشير مفتي عن المثقف أنه «كمنتج للفكر المنير لمن أراد أن يستنير يكمن دوره في نقده البديهيات»،[3] فالمثقف هو الناقد المحلل لأحوال المجتمع وبديهياته حسب بشير مفتي.

لقد عانى المثقف الجزائري معاناة شديدة مع السلطة التي أبت أن تتغير منذ ستين سنة تقريبا، أي من وقت الاستقلال إلى يومنا ويتطلب الأمر شجاعة الصمود أمام المخربين والمفسدين وأهل الرشوة والتعصب والجهلاء، فالسلطة عملت على قمع المثقف والحد من تدخلاته التي أقلقتهم وزعزعة مكانتهم يقول الله تعالى «إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون».[4] فما أقرب السياق القرآني من سياق المفسدين في بلادنا الذين أبو وبشكل قطعي التنازل عن الحكم.

حصرت السلطة المثقف وسدت في وجهه أبواب الحرية في النقد، فانكمش دور هذا المثقف فازدادت الأوضاع الاجتماعية سوءا يوما بعد يوم، فمّل الشباب والمفكرون من سياسة الجزائر، ولطالما حلموا بواقع أفضل وأحسن مما هم فيه من تردي في التعليم، وسوء في الصحة، وانتشار البطالة، فظهرت الهجرة، أفليست الهجرة التي تأبى الجزائر الرسمية أن تستسلم لواقعها شكلا من الردة:

---

[1]- زهية منصور:المثقفون بين الصراع الإيديولجي ولعبة المصالح الشروق اليومي، ع2006 1296، ص 106.

[2]- زهية منصور: المثقفون بين الصراع الأيديولوجي ولعبة المصالح، ص105.

[3] - المرجع نفسه، ص 106.

[4] - سورة النمل، الأية34.

هجـرة الأدمغـة أو هـروب رأس المـال البشـري، ذلـك النـزوح الكاسـح ذهنـا وفكريـا وبـالأحلام لعـدد غيـر قليـل مـن أفـراد المجتمـع المتميـزين نحـو أوروبـا أو أمريكـا وفـي قـوارب المـوت أحيانـا نحـو عـالم المجهـول فـالمثقف قـد فقـد الثقـة فـي السـلطة وإن تـداعيات عـدم الثقـة هـذه تظهـر عيانـا وخيمـة، انعكسـت فـي ردود أفعـال أفقـرت الجزائـريين مـن تراثهـا «تتجلـى فـي شـكل نزيـف للأدمغـة، أكثـر مـن 80000 حامـل لشـهادة جامعيـة غـادروا الـوطن منـذ 1970، حـوالي 3000 إطـار يهجـرون أرض الوطن سنويا، أكثر من 400 إطار منهم جامعيون في الصنف العالي».[1]

قـد مـرت الجزائـر بعشـرية داميـة أرهقـت نفـوس الجزائـريين وعطلـت عجلـة التطـور والنمـو فعرفـت ظـاهرة الإرهـاب الـذي يشـوش علـى الأمـن وينشـر التفرقـة والتطـور ثـم يفجـر نفسـه ويقتـل مـن حولـه إذا لـم يـتمكن مـن تلويثـه، إلا أن المثقـف بإمكانه أن يعريهم أمام المجتمع ليرى الشعب زيفهم وعوراتهم النتنة.

إن الأوضـاع المزريـة والتصـدعات والصـراعات مـع السـلطة وغيرهـا، لـم تغفـل عنهـا الروايـة فقـد كـان الروائيـون ينقلـون كـل مـا هـو حينـي وظرفـي، فراحـت الكتابـة الروائية تواكب الأزمة وتتبع مسارها خطوة بخطوة.

تعـرض روايـة الأزمـة الصـراع بـين المثقـف والسـلطة السياسـية مـن جهـة وبـين المثقـف والجماعـات الاسـلاموية مـن جهـة أخـرى، ليكشـف عـن معانـاة المثقـف خـلال هـذه الفتـرة ووقوعـه بـين المطرقـة والسـندان بـين نـار السـلطة وجحـيم الإرهـاب. ومـن أبـرز الـروائيين الـذين جعلـوا روايـة الأزمـة مـادة دسـمة لأعمـالهم الأدبيـة نـذكر(طاهر وطـار فـي روايـة الشـمعة والـدهاليز، مـرزاق بقطـاش فـي دم الغـزال، ابـرهيم سـعدي فـي فتـاوى زمـن المـوت، بشـير مفتـي فـي بخـور السـراب، محمـد سـاري فـي روايـة الورم...).

[1] - زهية منصور: المثقفون بين الصراع الأيديولوجي ولعبة المصالح، ص114.

إن السلطة لم تتوان ولو لمرة واحدة في اغتيال المثقفين الأحرار والذين لم تفلح في مهمة إغرائهم للالتحاق بها والانضمام إليها، فاغتيل العديد من المثقفين والصحفيين الذين ينقلون الأحداث كما وقعت دون زيف وتغيير، والذين كانوا يتهجمون على رجال السلطة كلما أتيحت لهم فرصة ذلك ففي 26 ماي 1993 اغتيل الطاهر جاووت أمام مقر سكناه برصاصتين في الرأس، ويسمينة دريسي اغتيلت في 12جويلية 1994، و هي أول امرأة إعلامية تمتد إليها أيادي الغدر، فقد اختطفت ووجدت في ضواحي خروبة مغتالة ذبحا بالسلاح الأبيض، اشتغلت أستاذة في اللّغة الفرنسية في ثانوية رويبة، وعملت كمصححة في جريدة le soir d'Algérie «انطلاقا من عقدة الخوف من المثقف حارب النظام في الجزائر المستقلة شاعر الثورة الأول مفدي زكرياء صاحب النشيد الوطني الرسمي فمات بالمنفى بتونس العام 1977...ومات المفكر الكبير محمد أركون بفرنسا، ولطالما شجع نظام الرئيس الشاذلي بن جديد الأخوان المسلمين وعلى رأسهم يوسف القرضاوي والشيخ محمد الغزالي اللّذان كان يقيمان بالجزائر على تكفيره ومطاردته وتحقيره في عيون الجزائريين، مات محمد أركون العام2010 دون اهتمام يذكر من قبل السلطة ودفن بالمغرب، ومات محمد ديب بفرنسا 2003 ودفن فيها بصمت وهو أكبر روائي مغاربي رشح لمرات عديدة لجائزة نوبل للآداب... ».[1]

2- *المثقف في المغرب*:

لقد عانت المغرب بدورها من استعمار غاشم، وذاقت مرارته شأنها شأن البلدان المغربية الأخرى وقد أدرك المثقف آنذاك الدور المنوط إليه، وبحث عن سبل ومسالك للحفاظ على الهوية الأصلية، وحماية وطنه وضحى بالنفس والنفيس في سبيل التخلص من هذا الأجنبي الذي استوطن في الأرض المغربية، فالمثقف

[1] - أمين الزاوي :الجزائر من فوبيا المثقف إلى الشعوبية القاتلة، جريدة العرب،ع 2019 11270.

كان دائم الصراع ربما قبل الاستعمار، وأثناء الاستعمار، ولا يزال يناضل إلى وقتنا الحالي «فالمثقف رغم أنه ليس في جميع الأحوال صاحب مشروع جاهز للتغير، إذ ليست تلك مهمته، فهو ذلك الشخص الذي يمتلك بصفة حصرية كل الكفاءات التي تسمح له بتوقيع سيناريوهات ممكنة للمرور إلى المستقبل».[1] فالمثقف وإن لم يكن يملك حلول ومشاريع جاهزة للتغير، إلا أنه يستطيع أن يشير إلى أسباب الأوضاع المزرية للمجتمع، وتشخيص مشاكله، فهو شمعة تضيء الطريق المظلمة للخروج إلى النور الذي تفتقر إليه جلّ المجتمعات العربية إن صح القول «فالمثقف هو الذي آمن بالمسألة الوطنية كقضية أولى لا يجب أن تمس، ومطالب هؤلاء المثقفين تتركز أساسا على ديمقراطية الحياة الثقافية والتعليمية وحرية الرأي والمعتقد، دون المس بالوحدة الوطنية».[2] فالا يمكننا أن نقول على الشخص الذي يقف في كفة غير التي يتواجد فيها مجتمعه مثقفا، فالذي لا يحس بألم مجتمعه والذي لا يدعو إلى التغير إلى أفضل للقضاء على هذه الآلام لا يمكن أن يكون مثقفا بأي شكل من الأشكال.

استطاع المثقف المغربي بعد الاستعمار، الذي بمثابة رجة لأركان الواقع المغربي وخلخلة تلك المسلمات، أن ينزع لنفسه دورا يفرض لنفسه صوتا، فقام بتشريح واقع المجتمع المغربي لمعرفة وتشخيص الداء واقتراح الدواء، ورغم الصعوبات والمصاعب التي عانى منها ولازال أفراد هذه الفئة، فقد استطاع بعضهم وبدرجات متفاوتة وضع أصبعه على الجرح، وتشخيص داء المجتمع المتمثل في تأخره التعليمي وتبعيته الاقتصادية واستبداده السياسي وما إلى ذلك، إلا أن الطريق سدّت في وجه هذا المثقف، فتم قلب الحقائق وإلصاق التهم بمن هو بريء وذلك لفتح المجال للقوى الإسلامية.

[1] - فريد لمريني، مفهوم المثقف المغربي، جريدة هسبرس الالكترونية، ع12، المغرب،2016.
[2] - أمين الزاوي : صورة المثقف في الرواية المغاربية ، ص 57.

«قد تميز الجانب الثقافي بالنسبة للمغرب الأقصى في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين بقوة نشاط الزوايا وظهور وانتشار الطرق الصوفية التي اعتبرت آنذاك أكثر المؤسسات الثقافية شيوعا»[1]

لقد عانى المثقف المغربي بدوره من استبداد السلطة الحاكمة وكان دائم الصراع معها، رغم الأساليب القمعية أو الإغرائية التي استعملتها مع هذه الطبقة إلا أنه لم يستسلم وظل يصارعها حتى آخر رمق من حياته في بعض الأحيان، والمثقف المغربي هو المثقف الوحيد من بين البلدان المغاربية الذي وقع تحت سلطة الحكم الملكي لا الديمقراطي فمن الصعب تغير هذا النظام رغم استبداده وطغيانه، فإن صاحب السلطة والقرار يقيس أهمية المثقف بقدر فعاليته وتفاعله، وبقدر طواعيته بل يتوجس منه ويصل به الأمر في أغلب الأحيان إلى اتهام ثقافته بأنها ثقافة نظرية وفقط.

3- المثقف في تونس:

لقد أحس المثقف التونسي مذ الوهلة الأولى للاستعمار بضرورة المقاومة، فتميز بوعيه ويقظته الاجتماعية والسياسية فأدرك أهمية المكانة الاجتماعية التي يشغلها، وعرف حجم المسؤولية الملقاة على عاتقه «يبدو المثقف في صدارة الصراع مع الآخر من أجل فك الوعي وافتكاك الحرية»،[2] فالمثقف في هذه المرحلة قد خاض الصراع للخروج من الأزمة وذلك بمقاومة المستعمر الخارجي والغريب أولا وبمقاومة المؤسسات المحلية التي تعمل على الإبقاء على هذا الوضع ثانيا وهذه الظاهرة مثلتها رواية "من الضحايا" لمؤلفها محمد العروسي المطوي.

---

[1] - زينب نجيب: الموسوعة العامة لتاريخ المغرب، ج3، دار الأمير للثقافة والعلوم، ط1، بيروت، 1937، ص205.

[2] - أمين الزاوي : صورة المثقف في الرواية المغاربية، ص207.

أما بعد الاستقلال فقد أدرك الرئيس الأول للجمهورية التونسية الحديثة مدى أهمية المثقف فأراد لاستعان بالمثقفين الرائدين الذين ساهموا في النضال ضد الاستعمار، فأراد وضع قائمة للمثقفين الذين يستعين بهم في تشكيل الحكومة وبناء المؤسسات، فامتدت علاقة هؤلاء المثقفين مع بورقيبة لمدة أكثر من 30 سنة أثناء فترة حكمه، لكن بعد الانقلاب البوليسي الأبيض وتولي بن علي للرئاسة، خشي الخطر الذي يمكن أن يأتيه من المثقفين فسارع باستمالتهم عبر المناصب والأوسمة والشهادات، فأصبحت علاقة المثقف بالدولة في عهده علاقة الذليل التابع المجبور على السكوت خوفا من التنكيل.

إنّ حال هوية مثقف اليوم هي وليدة سنوات التهميش التي عاشها النظام التعليمي والرقابة الثقافية إبان العهد البائد ومن محاولات لتغيير قيم الشعب وأسس الهوية الثقافية للبلاد، فبن علي وعصابته واعين بخطر الثورات التي تكمن في مدى تأثير المثقف على الشارع، إلا إنه علينا الاعتراف أن التدخل العسكري الفرنسي في تونس قد ساهم «في ولادة مجتمع جديد نتيجة للاحتكاك الحضاري والذي أفرز نموذجين نخبويين لكل نموذج مشروعه الثقافي الحامل لمواقف تتبع للمرجعية الفكرية التي تحكم كل طرف».[1]

ويبقى المثقف هو ذلك الشخص الذي لا يتحمل الظلم والظلام ليس على نفسه فحسب، بل حتى على الآخرين، فيطلق صرخة بوجه الظلم ويقرع نواقيس اليقظة ويلقي بأفكاره النيرة ليهدي من حوله، وقد يدفع ثمن هذا الواجب الإنساني حياته «فمن الضروري استقلال كل مثقف عن السلطة، بمعنى عدم الارتباط بقيود تحد من تفكيره أو توجه مساره وأفكاره مهما تكن هذه الأفكار»،[2] فالسلطة تقمع حرية المثقف، وتقتل فيه روح الاتقاد، وتمنعه من وضع النقاط على الحروف، باعتباره

[1] - بلقزير عبد الإله: الانتقال الديمقراطي في الوطن العربي، العوائق والممكنات في علي خليفة، الكواري وآخرون، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2002، ص143.

[2] - إدوارد سعيد: المثقف والسلطة، ص11.

إنسان متعلم يسعى للتغير وإيجاد البديل، فلا بد من «استمساك المثقف بقيم عليا مثل الحرية والعدالة له ولغيره، وعدم قبوله الحلول الوسطى فيما يتعلق بهذه القيم».[1]

4- المثقف في موريطانيا:

كان المثقف الموريطاني في منتصف القرن الماضي غائبا الجسد حاضر الروح، تتمثل في سلطة الميت على الحي، هو الذي يتحكم في العلاقات الاجتماعية والنفسية إنه (الوالي الصالح) الذي يتحكم في الأمراض والعقر والجنون، وفي الطبيعة من قحط ومطر، وفي العلاقات الاجتماعية من زواج وانفصال، فقد كان هؤلاء الناس يؤمنون بسلطة هذا المثقف الاجتماعي البدائي، وهي ظاهرة شائعة في الدول المغاربية بكثرة وحتى في الدول العربية بشكل عام.

المؤسسة الثقافية الأولى كانت الزاوية والكتاب «في مهمتهما يقوما بما يشبه الترويض الفكري لمواجهة الواقع القبلي بمنظور ديني»[2] وتعد رواية "القبر المجهول" لكاتبها ولد عبد القادر أحسن مثال إذ رسمت شخصية المثقف الناتج عن هذه المؤسسات الزاوية وكذا الكتاب إذ تقومان بتعليم القرآن الكريم وتفسيراته، والنحو والمنطق، والتاريخ وعلم البيان...هذه المؤسسات التعليمية استطاعت أن تؤسس في عمق كيان الفرد الموريطاني حصانة ضد الاغتراب والتشويه والذوبان أمام مغريات الاستعمار.

لكن سرعان ما تحول المجتمع البدائي إلى مجتمع وطني، وتحولت سلطة الايدولوجيا القبلية إلى سلطة الايدولوجيا الوطنية وهذه التغيرات رصدتها رواية "الأسماء المتغيرة" إذ قدم الكاتب الواقع الاجتماعي والتاريخي والسيكولوجي بأمانة «لقد كان المثقف في كل هذا التحول، يقود عملية التلحيم الأيديولوجي إن في

[1]- إدوارد سعيد: المثقف والسلطة ، ص11.

[2] - أمين الزاوي: صورة المثقف في الرواية المغاربية، ص140.

البنيـة الاجتماعيـة القبليـة أو فـي بنيـة مـا بعـد القبليـة (الوطنيـة) وفـي هـذه العمليـة تكمـن سلطته وتكمن طبيعته المستمدة من جوهر عمله هذا»[1].

عرفـت موريطانيـا كغيرهـا مـن البلـدان فـي المغـرب العربـي الكبيـر الاسـتعمار الظـالم بشـتى أنواعـه، إذ عمـل هـذا الأخيـر علـى طمـس هويـة وثقافـة هـذا البلـد، وحـاول اسـتقطاب العديـد مـن المثقفـين (الزوايـا) إلـى صـفه لإدراكـه مـدى أهميـتهم وتـأثيراتهم البالغـة علـى المجتمـع، إلا أن المثقـف الموريطـاني فـاق مـن سـباته، ومـزق ذلـك الكفـن الـذي وضـع عليـه منـذ أزل «وأول علاقـة يحققهـا المثقـف الـوطني الجديـد مـع العامـة فـي ظـل مجتمـع لا يـزال لـم يـتخلص نهائيـا مـن الإيـديولوجيا القبليـة، هـي الدهشـة، إذ يفاجـأ المجتمـع بتلـك الممارسـات الغريبـة التـي تظهـر المثقـف ذا اليـدين النـاعمتين متخليـا عـن برجـه العاجي...فممارسـة الأعمـال اليدويـة هـي مـن اختصـاص السـوقة الـدهماء، إذ مـن العيـب أن يلـوث المثقـف يـده التـي تحمـل قلـم القصـب الإيرانـي المضـمغ سـعقا بأوسـاخ الحيـاة الفانيـة»[2] نعـم فقـد كـان للمثقـف فـي تلـك الآونـة مكانـة مرموقـة ومقدسـة وهـذا مـا جعـل العامـة تسـتغرب كيـف يتـرك المثقـف حيـاة النعـيم والهـدوء التـي عرفهـا فـي "الزاويـة" ليـدخل الصـراع ضـد فرنسـا، فهـو بهـذا يتـرك القلـم ويسـتبدله بالبندقيـة، إن هـذه الدهشـة تـدل علـى صـفحة جديـدة فـي تـاريخ الشـعب الموريطـاني إذ انتشـر الـوعي وعـم أرجـاء موريطانيـا الحديثـة والمعاصـرة «لقـد اتضـح للعامـة أن المثقـف لـيس معلقـا مـن قلمـه فـي الهـواء، وأنـه لـيس فـوق الطبقـات ولا فوق الصراع الاجتماعي، بل هو جزء من الحاكمين أو المحكومين».[3]

مـن خـلال الطـرح السـابق نتوصـل إلـى القـول أن جـلّ البلـدان المغاربيـة وقعـت تحـت وطـأة الاسـتعمار، وأن مصـير المثقـف المغـاربي دائـم الصـراع مـع مجتمعـه فـالمجتمع المغـاربي اليـوم فـي أمّـس الحاجـة إلـى الأصـوات المثقفـة النزيهـة والمسـتقلة

[1] - أمين الزاوي : صورة المثقف في الرواية المغاربية، ص 143.
[2] - المرجع نفسه، ص 147-148 .
[3] - المرجع نفسه، ص148.

والقادرة على لجم أطماع خفافيش السلطة والفساد وردعها للعودة إلى الاختباء داخل جحورها فالمصيبة كما يقول داعية الحقوق المدنية مارتن لوثر كينغ، ليس في ظلم الأشرار وفساد المفسدين، إنما هي كذلك في صمت الأخيار وسكوت المثقفين.

هـ:/ المثقف وموقفه من الصراعات السياسية والنظام الحاكم:

اعتبر المثقف ابن مجتمعه ومدافع لحقوقه، فهو قوة المجتمع ومناضلهم ومنير دروبهم، باعتباره من أولي الألباب، هذا ما جعل علاقته بالسلطة الحاكمة علاقة يشوبها التوتر والقلق فهو دائم الصراع معها، فالعلاقة بينهما هي علاقة لا تفاهم، وهي علاقة يحول فيها القوي السلطة أن يتسلط ويفرض آرائه، ويحاول الضعيف المثقف المدافع عن استقلاليته، فالسلطة تحاول استقطابه وتدجينه حاكمة سياسية كانت أم إسلامية.

إشكالية المثقف والسلطة تكاد تكون محورا أساسيا في الثقافة العربية، والرواية لم تكن يوما بعيدة عن هذا الهاجس في خوضها غمار التاريخ والسياسة، ويعتبر الخطاب الروائي بصورة ما عن تمثلات المثقف وتجلياته ويقدم صورة تعكس واقعه وعلاقته بالنظام الحاكم و الاسلامين، فعليه سنحاول ذكر نماذج ولو بشكل سطحي عن الروايات المغاربية التي عالجت هذه القضية في كتاباتها الروائية، الاشتراك البلدان المغاربية نفس المعاناة ونفس المصير تقريبا.

1- رواية جزائرية (الشمعة والدهاليز للطاهر وطار):

عاشت الجزائر في مطلع التسعينيات أزمة دموية حقيقية إلى حد الحرب الأهلية والتي هددت بنسف أركان الدولة وتحطيم أسس المجتمع مما أحدث صدمة عنيفة في الوعي الشعبي، هذه التحولات بمختلف أشكالها دفعت الكاتب إلى كتابة شهادة

استعجاليه لتسجيل الراهن الجزائري وواقع المثقف خلال عشرية الدم والإرهاب، فهذه الرواية تؤرخ لمأزق السلطة زمن الإيديولوجيا الدينية السلفية.

اختار وطار لروايته شخصية الشاعر ليعبر بها عن المثقف يقول: «ليكن إذا، شاعر باللّغة الفرنسية، مهندس أدرس علم الاجتماع».[1]

تصور لنا الرواية معاناة المثقف وتهميشه، وليس هذا فقط بل وتحويله من فعالية وظيفته الاجتماعية والثقافية على شخص معزول عن المجتمع برمته «رجل هنا في الغرفة المظلمة،رجل هناك في القاعة...المكان منعدم الزمان منعدم»،[2] فالسلطة تكبل المثقف بأغلال وثيقة الرباط وتمنعه من التحرر، فالصراع بين السلطة والمثقف ظاهرة متراكمة ومتعارف عليها عبر حقابات زمنية مختلفة، فالحرب لا تهدأ بين هذين العنصرين، وهي التي توصل المثقف لأنه ضعيف حيال السلطة إلى الاغتراب ثم الجنون، ليس الجنون العادي الذي نتوهمه، إنما هي حالة جنون لم تفقد وعيها بالكامل، وهذه الحالة هي التي تسمح للمثقف المجنون أن يمارس انتقاده وانتقامه دون الخوف من السلطة «أنا المجرم الذي تتمثل جريمته في فهم الكون على حقيقته وفي فهم ما يجري حوله، قبل حدوثه أتحول إلى دهليز مظلم متعدد الجوانب والسراديب والأغوار، لا يقتحمه مقتحم»،[3] فالسلطة مارست الضغط على الشاعر حتى عزل نفسه عن العالم، فقد وضع حاجزا بينه وبين الآخرين وألقى بنفسه إلى عمق دهليز لا يمكن الولوج فيه.

السلطة الغاشمة تطالب البطل المثقف وهو مواطنها إلى تأييدها وتبرير وجودها على الأقل، وتسعى بكل إمكانياتها على استقطاب المثقف ليكون دعما لها وتضمن به هدوء الشعب وهذا بالضبط ما سعت إليه شخصية عمار بن ياسر فقد

[1] - الطاهر وطار:الشمعة والدهاليز، موفم للنشر، الجزائر، 2007، ص30.
[2] - المرجع نفسه، ص 76.
[3] - المرجع نفسه، ص12.

حاول لفت انتباه الشاعر لقيام الدولة الإسلامية، وأراد أن يقف في صفهم ويعمل على نشر أفكارهم باعتباره إنسان مثقف بإمكانه ولوج العديد من الدهاليز بلغة الكلمة فنجده يحاور الشاعر بقوله: «تعالى معي إلى مكتب الحركة نشرب القهوة ونتفق على كيفية تعاملنا، لن أسلم فيك أيها الشاعر الحكيم على الأقل ليس قبل أن تنظم قصيدا في الدولة الإسلامية»،[1] فقد وجد الشاعر نفسه أمام إغراءات عديدة قدمت له من طرف الملحدين بالتحديد من عمار بن ياسر الذي أخذ يتحدث عن الدولة الإسلامية وكيفية قيامها، وكيف أنها تعتبر شمعة ستنير دهاليز المجتمع الجزائري «ينبغي قيام الدولة الإسلامية، الإسلام هو الشمعة الوحيدة القادرة على إنارة كل الدهاليز والسراديب»،[2] فقد أراد وطار في هذه الرواية أن يبين طريقة تعامل السلطة مع المثقف الجزائري والسياسة التي تتبعها في ذلك فتلجأ أحيانا إلى سياسة الليونة والجذب خطوة بخطوة حتى تكسب المثقف لصالحها، فعمار بن ياسر حاول إقناع الشاعر لينضم إلى صفوف الدولة لإسلامية «أنت رجل محترم وينذر أن يصادف المرء مثلك، وإذا لم تخب ظنوني فيك فإنك واحد ممن تحتاج إليهم دولتنا الفتية».[3]

لقد أخذ الشاعر ينهل من نبع الدولة الإسلامية بعد قيامها وذلك بفعل إلحاح عمار بن ياسر، فعين وزيرا للفلاحة بعد عرضه لجميع كفاءاته العلمية والثقافية التي أهلته لهذا المنصب لكن ذلك لم يخفف من قلق الدولة الإسلامية اتجاه هذا الشاعر المتعلم رغم أنها حاولت وضعه في منصب عالي كثير المهام لينشغل ولا يلتفت إلى شؤون الدولة الإسلامية، إلا أنها لم تأتمنه وازداد ارتباكها اتجاه هذا المثقف وسعت إلى التخلص منه، فوجهت إليه تهم باطلة مفبركة وأعلنت عن إعدامه فاغتيل الشاعر في ظروف مبهمة من طرف جماعة من الملثمين، يصور

[1] - الطاهر وطار: الشمعة والدهاليز، ص95.
[2] - المرجع نفسه، ص14.
[3] - المرجع نفسه، ص27.

الطـاهر هـذا المشـهد بطريقـة دراميـة مثيـرة يقـول: «كانـت فوهـات الرشاشـات الأوتوماتكية موجهة إلى صدره ورأسه».[1]

اغتيلـت شـمعة العلـم وضـياء المجتمـع فـانطفئ نورهـا بمـوت الشـاعر، فالكاتـب فـي روايته هذه أراد أن يصور لنا كيف تعامل السلطة المثقف في المجتمع الجزائري.

ب- رواية تونسية (الطلياني لشكري المبخوت):

حتـى المثقـف التونسـي لـم يكـن بمنـأى عـن الصـراعات التـي كانـت تحتـدم بينـه وبـين النظـام الحـاكم أو مـن الإسـلاميين، فقـد ذاق مـن نفـس الكـأس المـرة التـي غـرف منهـا المجتمـع المغـاربي ككـل، هـذا مـا دفـع بالكاتـب التونسـي شـكري المبخـوت إلـى كتابـة روايته "الطلياني" فقد نبه إلى الأزمات التي كان الشعب التونسي يتخبط فيها.

تـدور أحـداث روايـة "الطليـاني" فـي فتـرة زمنيـة محـددة مـن التـاريخ التونسـي الحـديث، وهـي أواخـر عهـد الـرئيس الحبيـب بورقيبـة وبدايـة عهـد الـرئيس زيـن العابـدين بـن علـي، تصـف لنـا هـذه الروايـة قصـة الرمـق الأخيـر لآخـر جيـل عربـي تصـنعه الشـعارات والانتمـاءات الحزبيـة سـواء كانـت يمينـا أم يسـارا، لقـد تـوفي كـل شـيء وهـا نحـن نشـهد مراسـم الـدفن بـل كانـت مجموعـة عظيمـة مـن المصـطلحات والشـعارات السياسـية هـي التـي تـدفن بعـدما رمـى بهـا المـواطن العـادي فـي فعـل القمامة.

لقـد شـعر المثقـف التونسـي بـدوره، وأدرك ضـرورة تدخلـه وإشـارته إلـى الأوضـاع المزريـة التـي لحقـت بـالمجتمع التونسـي بفعـل السـلطة الغاشـمة والنظـام الفاسـدين وهـذا مـا أشـار إليـه شـكري المبخـوت فـي إحـدى صـفحات روايتـه علـى لسـان شخصـية زينـة «المثقـف عنـدي مـن ينقـد دون حسـابات ينقـد كـل شـيء، يطلـق النـار علـى كـل مـا

[1] - الطاهر وطار: الشمعة والدهاليز، ص194.

يتحرك...يطرح الأزمة بالسؤال والاستفهام ليخلخل السائد»،[1] فالمثقف التونسي يدعوا على الحرية والاستقلالية في شخصه وذاته وفكره دون قمع ولا ردع «أنا لست مستعدا أن أكون عبدا لأي كان».[2]

لقد حملت الرواية في ثنايا طياتها طريقة ممارسة النظام سلطته على المثقف، وأبرزت كيفية تعامله معه، فقد عانى هذا المثقف التهميش والعنف والقتل كل ذلك من أجل ردعه وإيقافه، فكانت تمارس الرقابة على كل مثقف، وتتبع خطواته إذ لا تشعر بالأمان اتجاه هذه الفئة بتاتا «كانت الساعة تشير إلى الثامنة مساء، الموعد المحدد للاجتماع في شقة نجم الدين بحي"الزهروني" الشعبي، كلهم يعرفون ما ينبغي اتخاذه من احتياطات أمنية فالحذر واجب خصوصا أن الملاحقات الأمنية كانت على أشدها»[3] فقد وجد مثقف هذه الرواية نفسه مراقبان فعليه أن يتوخى الحذر في عملية نشر وعيه، فقد دسّ النظام عيونا في كل مكان تخبره بأدق التفاصيل عن حياة المثقف وتحركاته ولقاءاته، فإن شعرت بالخطر منه حاولت جاهدة إغرائه بالمناصب العليا والأموال ،وإن لم تفلح في خطتها هذه تلجأ إلى الخطة الثانية وهي القيام باغتياله و إزاحته من الطريق فبطل رواية الطلياني كان مراقبا من طرف النظام الحاكم إذا ينبشون في حياته نبشا دقيقا فلا يهملون أي تفصيل مهما كان بسيط، فأثناء عملية إلقاء القبض عليه من طرف الجهات الأمنية، تركه رجل الأمن وحده فدفعه الفضول إلى معرفة محتوى الدرج المقفول فصدم بما رآه بعدها «فتح أدراج المكتب...كان عبد الناصر يسرع في تقليب الملفات،

[1] - شكري المبخوت: الطلياني، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر، تونس، 2014، ص60.
[2] - المرجع نفسه، ص 43.
[3] - المرجع نفسه، ص43.

مخافة عودة مفاجئة لصاحب المكتب، كانت المفاجأة عندما وجد ملفا متوسطا للتيار السياسي الذي ينتمي إليه»[1].

لقد سردت لنا رواية "الطلياني" الأفعال الشنيعة للرئيس بورقيبة وكيف أنه قمع حرية البربر، وسلب منهم أبسط حقوقهم رغم إداعائه الاعتناء باالمثقف طوال فترة حكمه، فقد «فرض بورقيبة على البربر أن يسجلوا أبناءهم في البلديات بأسماء عربية، فظلت الأسماء البربرية حبيسة التداول في البيوت داخل العائلة».[2] فزينة اسمها كان "أنروز" وهو اسم بربري إلا أنها لم تُعرف به إلا في بيتها وبين أهلها لصرامة النظام الجاحد.

تمثل زينة نموذجا عن المرأة التونسية التي أتت من الأرياف تبحث عن التطلع إلى حياة أرقى في ظل نظام جديد يتيح للمرأة الخروج وخوض الحياة جنبا إلى جنب مع الرجل، كانت زينة بكل آمالها وتطلعاتها التي فاقت كل التقديرات بما تشربت من ثقافة واسعة تتيح لها محاورة كل التيارات اليسارية منها والإسلامية تصل إلى درجة الاستهزاء بل التسفيه، إنها بكل سهولة تناقش كل الأفكار التي تراها خاطئة إذ جل خطاباتها نقد حاد عنيف ضد الحركات الفاشية ذات المشروع الديني الاستبدادي فقد كانت تنقد التيار الإسلامي فتقول «فكركم خلطة ساذجة من إسلام الإخوان والوهابية وتأثيرات شيعية لا تميزون فيها بين البعرة والدرة اذهبوا واقرؤوا يا جهلة»،[3] تقول أيضا في نفس السياق «أنتم تقدسون الأفكار المنحطة، تقدّسون أفكار مدرس تربية إسلامية محدود الذكاء...لا تقدسون الخالق، أنتم أبناء الجهل المغلق بالبحث عن أصل كاذب لم يوجد أبدا».[4]

---

[1] - شكري المبخوت: الطلياني، ص88.
[2] - المرجع نفسه ، ص 49.
[3] - المرجع نفسه، ص57.
[4] - المرجع نفسه، ص57.

عانت الشخصيات المثقفة في الرواية من العنف بأنواعه معنويا كان أو جسديا، فعبد الناصر المدعو الطليان وزينة تعرضوا للضرب والإهانة من قبل رجال الأمن التابعين لنظام الحكم « كان الألم الذي تسببه الهراوات المنهالة على رجليها وكتفها حاد، وجدت نفسها ملقاة أرضا».[1] والطلياني أيضا عنف لحظة استجوابه في مركز الأمن «وقف على يمينه ويساره عونان بزي مدني يحلو لهما أحيانا أن يصفعاه أو يشتماه»،[2] وما هذه إلى بعض من النماذج الواردة في رواية شكري المبخوت التي فضحت طريقة تعامل السلطة التونسية مع مثقفيها.

هذه الرواية ترسم لنا مأساة مثقف منهار، وملهاة تيار يتآكل ويندثر بشكل مرعب، فالروائي يكتب عن مرحلة الثمانينيات المليئة بالصراعات بين اليسار المتعدد والإسلاميين والسلطة، فهي رواية إدانة السلطة وأنواعها والايدولوجيا ودعاتها.

ج- رواية مغربية(القوس والفراشة لأحمد الأشعري):

مثلما ذهب روائيو الجزائر وتونس إلى تدوين أزمتها لتبقى ذكرى عن نضال شعوبها وكفاحهم ضد السلطة الغاشمة، أو الإرهاب الذي زرع الخوف في نفوس الشعب، ذهب الكاتب المغربي أحمد الأشعري في روايته القوس والفراشة التي هي عبارة عن امتداد لرواية جنوب الروح، إلى تناول هذه القضايا.

استطاع الروائي المغربي من خلال روايته هذه أن يطرح عدّة قضايا مهمة هي واقع المجتمع المغاربي عامة، إذ تطرق إلى قضية الإرهاب والتطرف الديني وصراع اليسار مع اليمين و صراع المثقف مع السلطة الحاكمة.

[1] - شكري المبخوت: الطلياني، ص 83.

[2] - المرجع نفسه، ص 85.

تتحدث الرواية عن عائلة الفرسيوي "الأب محمد الفرسيوي الابن يوسف الفرسيوي والحفيد ياسين الفرسيوي." وتبدأ أحداث الرواية بفقدان الابن يوسف وهو بطل الحكاية لحواسه بدءا من حاسة الشم جراء رسالة وقعت بين يديه فهزت كيانه وصدمته، رسالة استشهاد ابنه الوحيد ياسين الفرسيوي، وكانت الرسالة تحمل هذه الجملة الصادمة للأب «أبشر يا أبا ياسين قد أكرمك الله بشهادة ابنك».[1]

هذه الرسالة غيرت حياة الأب يوسف كليا، فقبل أن كانت حياته هادئة يقضيها ما بين زوجته وعمله في الصحافة، تحولت إلى شعور بالفقدان والخراب. وما يدل على أنه كان صحفيا نذكر الاقتباسات التالية: «التأملات التي نشرتها على حلقات في الجريدة التي أشتغل فيها. أنشر عملا أدبيا على حلقات وأنجز تحقيقات وريبورتاجات كل شهر، وأنشر مقالا فنيا كل أسبوع في مجلة متخصصة».[2] فحياته العملية المنتظمة هذه تدل على انتظام حياته فهذه الرسالة كانت العامل الأول في اختلال حياة الأب وما يزيد الطين بلة، ويزيد من اختلالها أكثر صدمته بابنه الذي طالما أراد أن يكون مهندسا بارعا ليجده إرهابيا فدائيا، فهو أرسله إلى باريس ليكمل دراسته لكن ياسين قرر الذهاب إلى أفغانستان ليجاهد هناك، ويقع ضحية عملية إرهابية. من هنا بدا الأب يتساءل بينه وبين نفسه عن الوقت الذي بدأ ابنه في الانضمام إلى هذه القاعدة وهل كان يلعب بالدماء دون علمهم؟

«اختلت حياتي لهذا الحد عندما قرر ابني الوحيد الذي كان يتابع تكوينا لامعا بإحدى أكبر المدارس الهندسية الفرنسية أن يذهب إلى أفغانستان ويجاهد مع مجاهديها إلى أن يلقى الله وقد لقيه فعلا».[3]

---

[1]- محمد الأشعري: القوس والفراشة، ط2011 2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب، ص15.

[2]- المرجع نفسه، ص13.

[3]- المرجع نفسه، ص15.

«ثم متى حصل ذلك، متى نمت تلك البذرة المسمومة؟ قبل أن يولد أو بعد ذلك؟ أيام كان طفلا أو مراهقا، هل كان يلعب بيدين مضرجتين بالدماء، ولم نكن نرى ذلك؟».[1]

كل هذه الاقتباسات من الرواية تدل على وجود ظاهرة الإرهاب في المغرب، فياسين الفرسيوي ابن المثقف الصحفي خاب حلم أبيه، وتركه نصف حي حتى أصبح يتكلم مع نفسه أكثر مما يتكلم مع الآخرين. ثم نجده يشك إذا ما كان وحيده منخرطا إلى هذه الجماعات قبل سفره أو لا «مما يوحي بأن الطرف الأول الذي تلقى النعي هو التنظيم المحلي وهو ما يوحي ضمنيا بأن ياسين كان على علاقة لهذا التنظيم قبل أن يسافر بل وربما كان موفدا من قبل التنظيم نفسه للمشاركة في الجهاد الأفغاني».[2] وما يدل أيضا على توغل وتفشي هذه الظاهر الإجرامية والعمليات الفدائية في الرواية، نذكر عندما حاول عصام وهو متبني إبراهيم الخياطي أن يفجر نفسه، فتدخل يوسف ليمسكه بين ذراعيه ويبعده عن الصهريج ويتحولا إلى رماد .

فيوسف ضحى بنفسه لينقذ الآخرين «انطلقت نحو الشخص الذي كان يصلي بخشوع مغمض العينين لأجمعه بين ذراعي وأندفع به نحو الصهريج، وفي تلك اللحظة الحاسمة التي انفصلنا فيها عن الأرض استدار الشخص برأسه كاملا نحوي، فرأيت في لمح البصر ..وجه عصام مرعوبا كما لم يكن أبدا في حياته، كان ذلك قبل أن تأخذنا غيمة بيضاء باردة في دويها الهائل».[3]

إضافة إلى قضية الإرهاب فقد تناولت الرواية قضية صراع المثقف - يوسف الفرسيوي والمحامي إبراهيم الخياطي- مع السلطة الغاشمة التي كثيرا ما تقوم باعتقالهم دون أي سبب ثم سرعان ما يطلقوا سراحهم، ليسجنوا مرة أخرى،

[1]- محمد الأشعري: القوس والفراشة، ص17.
[2]- المرجع نفسه، ص38.
[3]- المرجع نفسه، ص338.

وغالبا ما يتم الاعتقال لأمور سياسية. فقد اعتقل يوسف بسبب انخراطه للحزب اليساري وتمت محاكمته ليبقي في السجن ثلاث سنوات وهذا ما يعني أن السلطات أرادت قمع حرية التعبير لكونه صحفيا، كما أرادت أن لا يكون للشعب حق الانخراط في الأحزاب. ونجد هذا واضحا على لسان يوسف فيقول: «انخرطت أولا في مجموعة يسارية متطرفة عندما كنت أعيش بفرانكفورت، قادتني إلى جماعة يسارية مغربية منشقة عن الحزب الشيوعي ثم ....انخرطت في حزب يساري معتدل ....الشيء الذي قادني إلى اعتقال أسطوري في درب مولاي الشريف ثم إلى محاكمة لم أفهم منها حرفا واحدا ثم إلى السجن الذي التهم ثلاث سنوات من حياتي دون مقابل».[1] ولم يكن هذا الاعتقال هو الاعتقال الوحيد الذي تعرض له الصحفي بطل الرواية، وإنما اعتقل قبل ذلك من طرف جماعة يسارية لكن دون أن يشمل ذلك الاعتقال صديقه المحامي وذكر هذا في الرواية على النحو التالي:

«عندما اندلعت اعتقالات السبعينيات لم تشمله لكن ظل سندنا الأكثر صلابة».[2] فالسلطات لم تترك المثقف حرا فعلاقتهم كانت دائما متوترة، فأي أمر يقوم به المثقف تتدخل السلطة لمنعه أوسجنه وفي أحيان كثيرة تقوم باستفزازهم بأسئلتهم أو تقوم باستدعائهم لإجراء تحقيقات عن العمليات الإرهابية.

كما نجد الشرطة مارست عنفا معنويا بأسئلتها الاستفزازية على والدي ياسين، خاصة عندما تساءل ضابط التحقيق مرارا وتكرارا مغيرا أسئلته فنجده يقول: «هل توافق على موته هكذا؟ عفوا، أقصد هل كنت تتعاطف مع قضيته؟

[1]- محمد الأشعري: القوس والفراشة ، ص17.

[2]- المرجع نفسه، ص30.

عفـوا، عفـوا، لـم تكـن تعـرف: صـحيح لـم تكونـا تعرفـان شـيئا؟ هـل أنـت حـزين لمـا حدث؟».[1]

أخيـرا نقـول أن هـذه الروايـة هـي روايـة مواجهـة الإرهـاب، روايـة المـوت والخـراب، إذ بـدأت بخبـر مـوت ياسـين الفرسـيوي، لتنتهـي بمـوت الصـحفي يوسـف الفرسـيوي، وكلاهمـا مـات بسـبب الإرهـاب بسـبب العمليـات الفدائيـة، دون أن ننسـى فقـدان شخصـيات أخـرى كـديوتيما الأم الألمانيـة والتـي بـدورها انتحـرت، وهنـا نتسـاءل هـل حـزن يوسـف الفرسـيوي كـان حزنـا علـى مـوت ابنـه الوحيـد إرهابيـا، أو حزنه لما كان معاشا آنذاك أو هم حزن آخر، حزن انتهاء سلالة الفرسيوي.

فـالروائي نجـح بنقـل واقـع المغـرب مـع الإرهـاب إلـى أبعـد الحـدود إذ اسـتعان بهذه العائلة ليضعنا في موقع الحدث، كما أنه كان ماهر في رصد هذه المعاناة.

خلاصـة القـول، لقـد عـان مثقـف البلـدان المغاربيـة كثيـرا مـن الإرهـاب والإسـلاميين مـن جهـة، ومـن ظلـم وإجحـاف السـلطة الغاشـمة مـن جهـة أخـرى، لكـون هـذه السـلطة علـى يقـين أن هـذا المفكـر يسـتطيع التحـرر مـن زيفهـم وألاعيـبهم، كمـا أنّـه يمثـل عقبـة تسـعى دائمـا للبحـث عـن الحقيقـة وكشـفها للمجتمـع رافضـين الاسـتبداد والاستعباد.

[1]- محمد الأشعري: القوس والفراشة، ص16.

عرفت رواية سيدة المقام اصطداما إيديولوجيا لمسناه في ثنايا طيات صفحاتها، والمثقف هو ضحية هذا الاصطدام باعتباره شخصية رئيسية ينبني عليها السرد الروائي، فالشخصيات المثقفة لهذه الرواية عانت من سلطة حراس النوايا، وسلطة بني كلبون، فالراوي نقل لنا هذه المعاناة من خلال أحداث الرواية وفضائها الزمكاني، فهي رواية متعددة الإيديولوجيات مشبعة بمظاهر العنف والتعسف.

أ-الشخصيات دلالتها ووظيفتها الإيديولوجيا:

تدور أحداث رواية سيدة المقام على لسان بطله الراوي، حيث يسرد لنا عالم مريم، فالسرد في هذه الرواية جاء على لسان الشخصية المحورية (الأستاذ الجامعي).

لا يمكن تصور عمل قصصي أو روائي بغياب الشخصيات يقول ايف رويتر (**Ive router**) «كل قصة هي قصة شخصيات»،[1] فلا وجود لقصة أو رواية دون شخصيات تمثل أحداثها وتحرك مسار السرد فيها، فبالشخصية يكتمل السرد ويتطور. وفي السياق ذاته يرى ج- م- آدم (**jean Michel Adam**) «أن الشخصيات تمثل المبدأ الأول في ائتلاف القصة وانسجامها»،[2] فالشخصية هي التي تربط بين عناصر الرواية وتضمن وجود تلاحم بين أجزائها.

يحاول الروائي توظيف شخصيات ليجسد عبرها أكبر قدر ممكن من تجليات الحياة عبر كل نواحيها، اجتماعية كانت أم سياسية لذلك يمكن القول «أن الشخصية الروائية يمكن أن تكون مؤشرا دالا على المرحلة الاجتماعية والتاريخية التي تعيشها وتعبر عنها».[3] وإذا ما رجعنا إلى المدونة التي بين أيدينا سنجد أن كاتبها واسيني الأعرج عمد إلى سرد أحداث الرواية بالاعتماد على شخصيات محورية، وأخرى ثانوية.

---

[1] - مصطفى فاسي: لبناء الشخصية في حكاية عبدو والجماجم والحبل مقاربة في السرديات، منشورات الأوراس، الطبعة2007، ص56.

[2] - المرجع نفسه، ص13.

[3] - أحمد مرشد: البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت- لبنان، 2005، ص34،

1- الشخصيات الرئيسية (مثقفة):

الرواية هي سرد نثري طويل، تحوي شخصيات وأحداث رئيسة، تقوم بدور رئيسي في إنجاز الأحداث، فهي تمثل نماذج إنسانية معقدة، فالشخصيات الرئيسية هي التي تستأثر اهتمام السارد، ويمنحها قدرا من التميز فنجد أن حضورها مكثفا، فرواية سيدة المقام لا تخلو شأنها شأن الروايات الأخرى من شخصيات رئيسية دفعت بوتيرة الأحداث إلى الأمام وهي شخصية الأستاذ، شخصية مريم، وشخصية أناطوليا.

1/1- شخصية الأستاذ:

أستاذ جامعي، تحصل على شهادة دكتوراه دولية في علم الجمال ونقد الفن الكلاسيكي، عمل كأستاذ جامعي في الجزائر، فهو إنسان مثقف ذو أفكار جريئة فقد اتخذ واسيني الأعرج شخصية الأستاذ الجامعي كشخصية تسرد الأحداث حتى يوصل للقارئ عبر لسانه أفكاره، فالراوي يشبه الروائي بحيث يسلكان نفس التوجه المتمثل في التوجه الاشتراكي، وهناك مقطع في الرواية يذكر فيه السارد كيف كانت سياسة الجزائر في التسعينات «بلاد اشتراكية تسير بمواثيق رأسمالية»،[1] فحضور شخصية الأستاذ قوي من خلال سرد الوقائع والأحداث، ساعد على دفع الأحداث إلى الأمام.

تعرف الأستاذ على مريم وهي إحدى طالباته، فأحبها حبا شديدا وهام في عشقها، فكانا يتبادلان المشاعر الصادقة والنقية «أنت تحبني، أخرجها من قلبك أنا كذلك أحبك»،[2] إلا أن موتها كان بمثابة صدمة بالغة الأثر على حياة الأستاذ، إلى درجة أن صحته تدهورت فلازم المشفى، فمريم ماتت وخلفت ورائها سوادا وحزنا يسكن قلب الأستاذ، فكان يناجيها بعد فراقها ويقول: «مريم يا مريم الطريق الذي يؤدي إليك صار قيامة والوحشة في غيابك تزداد ضراوة ما أوحشى فرغاتك وخوفك».[3] درس الأستاذ خارج البلاد وتحصل على شهادة، فظن أنه بإمكانه خدمة وطنه وتقديم الأفضل لكونه مثقفا، إلا أن ظنونه خابت، بعدما أدرك أن هذه البلاد ترفض المثقف وتصده، فتقمع حريته فلا مكان للمثقف بين تلك الذئاب البشرية ووجوده غير معترف به فحراس النوايا كانوا يقولون له « يكفي من الفستي (الكذب) أستاذ الزفت، لا شيء فيك يثبت هويتك التي لم يسأل عنها حتى حراس النوايا. ما

[1] - واسيني الأعرج: سيدة المقام مراثي الجمعة الحزينة، ط1، منشورات الفضاء الحر، الجزائر، 2001، ص64.

[2] -المصدر نفسه، ص108.

[3] - المصدر نفسه، ص107.

معنى الهوية في وطن ليس لك؟ يا رجل مزق ربها وريح».[1] فلا هوية لمثقف قبل بالرفض والردع، ولا وطن يأويه بين كل هذا الخراب والدمار الذي آلت إليه البلاد.

لقد مارست السلطة التعسف على الشعب الجزائري، وخلق الإرهاب ويلات وأزمات عديدة، كل هذه الأحداث عايشها الأستاذ بحسرة وقهر، فقد عاش البؤس والشقاء والحرمان، فالوطن أصبح يحتضر إذ يقول: «مطر من الدم يسقط البلاد تذبح نفسها بنصل صدئ».[2]

لقد رأى المثقف الذي لا حيلة له، فهو مكبل الأيدي، البلاد تغرق يوما بعد يوم وتضيع بين أيدي النزهاء لتستقر بين أيدي بني كلبون وحراس النوايا الذين طغوا في البلاد، ونشروا فيها الفساد، فالرواية صورت لنا مشاهد الهدم والدمار، وأطلعتنا على حال البلاد ومصير العباد فيها فيقول:«كانت البلاد تذبح بقوة وبعناد كبير، الوطن ينتهي ويصير أوطانا، القبائل تتحول إلى مداشر، والمداشر تصغر لتصير غيرنا، الألسن تضيع. وفرسان البلاد القديمة يبحثون عن موتهم خارج النهايات المبتذلة».[3]

لقد همش المثقف وأهين، فالحركات الإرهابية كانت تعامل المثقف بسوء شديد، وتمارس العنف عليه فقد جرت بطل الرواية الأستاذ إلى مخفر الشرطة الإسلامية، فتسأله السلطات عن مهنته، فيقدم بطاقة المعهد العالي الذي ينتمي إليه فيقولون له: «أستاذ الفن والفسق والخلاعة، معاهد الفسق والزنا، يجيء وقت سنمحو هذه الفضلات ونحولها على بيوت خيرية، لوكان ما جاش عندك حصانة أستاذ جامعي كنت مسحت بك الأرض مثل الجرو».[4]حصر المثقف في هذا الوطن الكبير وأنهكوا قواه وعزمه، وألبسوه لباس الذل والهوان، فأشعروه بالإحباط واليأس، فالأستاذ أصبح متعبا وخارت قواه، ولم تعد لديه رغبة في الاستمرار لا في العيش ولا في المحاربة، ولا في مشاهدة مآل البلاد ومصيرها،إذ يقول: «أنا منهك في هذا اليوم، منهك حتى القلب أشعر بأنني لست مواطنا على الإطلاق، لا أنتمي إلى هذا البلد. كل ما يحيط بي يدفعني للانتحار أو العودة إلى البيت، وأغلق على نفسي حتى أندثر مثل الريح».[5]

---

[1] - واسيني الأعرج: سيدة المقام مراثي الجمعة الحزينة، ص231.

[2] - المصدر نفسه، ص238.

[3] - المصدر نفسه، ص239-240.

[4] - المصدر نفسه، ص190.

[5] - المصدر نفسه، ص 191- 192.

لقد قرر الأستاذ أن يضع حدا لحياته ويرحل من عالم مليء بالزيف والقلق، كثير التعسف والهدم والجرائم، لقد ملّ من العنف والاضطهاد، وزاده غياب مريم ورحيلها قهرا وحسرة، فمريم والوطن كانوا ينهشون من قلب الشاعر يوما بعد يوم، فقرر الرحيل وعزم على المغادرة، يقول: «اتكأت على متكأ جسر تليملي الحديدي، تأملت الفراغ كانت الهوة عميقة، ليكن لقد صممت أن أتعرى أمام البياض».[1]

ودّع الأستاذ مدينته ووطنه الذي لطالما أحبه، إلا أن الخيبات التي تلقاها من هذا الوطن لم تكن بالهينة بتاتا، لذا عزم على الرحيل، وهذا ما قاله لحظة وداعه «وداعا يا مدينتي الجميلة فقد كنت أحبك كثيرا،أغادرك وقلبي ما يزال يحمل حنينك وخيبتك...وداعا»،[2] هذا الكلام يدل على أن الأستاذ سئم من مرارة الحياة، فقرر أن ينهي مأساته بانتحاره على جسر تليملي، فليس ثمة ما يدفعه للعيش، فقرر الانسحاب النهائي، فالموت هو الملاذ الوحيد والحل الأنجع لإنهاء أزمة الوجود في الذات والمجتمع، وبذلك تكون شمعة المثقف احترقت وغاب بريقها ونورها في الوجود.

2/1- شخصية مريم:

مريم بطلة الرواية، فالأحداث تدور حولها، وهي طالبة جامعية وراقصة البالي، تميزت بحبها للحياة وتمسكها الشديد بها، طفولتها كانت قاسية فهي يتيمة الأب تربت في كنف زوج أمها. عانت في ريعان شبابها من الزوج المتوحش، فقد عانت طفلة يتيمة، وامرأة متزوجة، عانت من النظام والسلطة اللّذين لم يتقبلا موهبتها وفنها.عمها العباس (زوج أمها)، كان رجل متدين متشدد قمع حريتها، فهو أحد أعضاء الجماعات الدينية، فقد كان «رجل يدخل إلى البيت ثم ينزوي في حجرة نصف مضاءة، يضع نظارته على وجهه ثم يبدأ في تلاوة القرآن بشكل جنائزي، التلفزيون باعه، صندوق الفتنة كما كان يسميه»،[3] هذا الفضاء المغلق المليء بالكآبة والغموض دفع مريم إلى الزواج هاربة من القفص الذي وضعت فيه فتقول:«أريد أن أهرب من هذا البؤس الذي يلاحقني».[4]

[1] - واسيني الأعرج: سيدة المقام مراثي الجمعة الحزينة ص236.

[2] - المصدر نفسه، ، ص236.

[3] - المصدر نفسه، ص87.

[4] - المصدر نفسه، ص87.

تزوجت مريم من حمودة وهو موظف في البريد، إلا أنها رفضته ليلة الزفاف، فكثرت الأقاويل وانتشرت الإشاعات، فلم يتحمل حمودة هذه الحالة فأقدم على اغتصابها، ووصفت مريم هذا الفعل الشنيع في بعض المقاطع تقول: «صرخت لم يسمعن أحد وضع قطعة كتان بيضاء في فمي، شعرت بالاختناق ورأسي يدور، الأرض تدور...رأيت وجهه يكبر ويصغر الألم يمزق بطني»،[1] هذه الحادثة المأساوية دفعت بها إلى طلب الطلاق.

ساعدتها أستاذتها وصديقتها أناطوليا في الانتقال إلى الجزائر، ومنحتها فرصة تطوير موهبتها في الرقص، وعرفتها على الأستاذ الجامعي الذي وقعت في حبه فيما بعد.

مريم كانت دائما تطالب بالحرية والديمقراطية متحدية بذلك حراس النوايا وبني كلبون، فقد وقفت ضد دعواتهم ونواياهم التي ضيقت أفاق المجتمع فتقول: «عندما يتحكم حراس النوايا في المدينة سيحرقون الميت والحي فيها» [2].

مريم هي نبض المدينة وروحها، فمن خلال أفكارها ومشاعرها وعفويتها تفصح هذه المدينة عن مكنوناتها، فالبلد تغير وشهد العديد من التحولات عبر الزمن فتقول: «مدينتنا سرقت مثلما تسرق النجوم، أصبحت قديمة وعتيقة، كأنها ميت يخرج من تحت الأنقاض»[3] فمريم تتأسف لحال المدينة ووضعها المزري، بسبب الصراع على السلطة بين حراس النوايا وبني كلبون.

تتمتع البطلة بذكاء ووعي يمكّنها من الإطلاع على ما يحدث بالوطن، فلم تكن تغفل لا عن صغيرة ولا كبيرة، وفي الرواية مواضيع كثيرة تنم عن هذا «الرصاصة الملعونة التي فككت بني كلبون وجاءت بحراس النوايا إلى الواجهة، أحيانا ألعنها وألعن والديها لأنها كانت بدون معنى وفي أحيان أخرى أقول هذا هو التاريخ يجب أن يتعفن لكي يتحرك».[4]

أصيبت راقصة البالي برصاصة طائشة في رأسها وذلك أثناء محاولتها إنقاذ شاب، انطلقت الرصاصة من مسدس لمجهول، فقال الراوي بخصوص هذه الحادثة

---

[1] - واسيني الأعرج : سيدة المقام مراثي الجمعة الحزينة، ص 97.

[2] - المصدر نفسه، ص34.

[3] - المصدر نفسه، ص 31.

[4] - المصدر نفسه، ص 212.

«رصاصة الجمعة 7 أكتوبر من خريف 1998...رصاصة خرجت من مسدس لا يعرف صاحبه مطلقا إنه هو صاحب الكارثة».[1] استقرت هذه الرصاصة في رأس مريم، وقد حذرها الأطباء من خطورتها، فطلبوا منها أن تقلل من حركاتها أو القيام بأي مجهود ذهني أو بدني، ومنعوها من ممارسة الرقص، إلا أنها أبت التوقف وقررت إكمال مسارها الفني بكل ثقة وعزم.

رغم خطورة إصابتها إلا أن مريم أصرت على تأدية دورها الأخير شهرزاد، فتقول:«شهرزاد من دمنا الميت. سأرقص ولو قطع رأسي سأرقصها هنا، في هذه الأرض المحروقة بتصحرها المزمن»[2]، وقالت أيضا:«شهرزاد أولا وصحتي بعدها»،[3] نستنتج من هذا أن حب مريم للرقص وشغفها بالفن جعلاها لا تأبه بحياتها، فقد عرضتها للخطر رغم تحذير الأطباء.

قدمت مريم رقصة شهرزاد في صالة (الأوبرا الوطني)

أصيبت بنزيف دماغي أدى إلى وفاتها، كل هذا كان من وراء تلك الرصاصة المشئومة التي استقرت في رأسها، رصاصة أطلقتها يد وطنية في احتراق داخلي، رصاصة استهدفت مركز الفكر في الجسد دون سواه، فيقول الأستاذ واصفا لحالة موت وفراق مريم: «لم أقتنع بحالة الموت، إلا عندما بدأت مجموعة من الأطباء والمساعدين من الممرضين والممرضات، ينزعون من أنفها الأنابيب والخيوط الكثيرة...بدأت أقتنع أن شيئا يشبه الموت قد احتل جسد مريم».[4]هذه الرصاصة أصابت الرأس وهو مركز الفكر، فالراوي هنا يحاول القول أن الفكر هو المستهدف الأول من هذه العملية فالمثقف حامل الفكر النير يشكل خطرا على مصالح هؤلاء المجرمين الذين يسعون وراء السلطة، فجرح مريم يعكس جرح البلاد، فالتحول الذي حصل في حياتها، وتدهور حالتها الصحية بعد الرصاصة، يشبه التحول الجذري للمجتمع الذي كان مستقرا.

[1] - واسيني الأعرج: سيدة المقام مراثي الجمعة الحزينة، ص 8.

[2] - المصدر نفسه، ص134.

[3] - المصدر نفسه، ص134.

[4] - المصدر نفسه، ص218.

3/1- شخصية أناطوليا:

أناطوليا روسية الجنسية، أستاذة في الرقص، جارة مريم وصديقتها الأولى، معلمتها وملهمتها ، سيدة عظيمة لا تترك شيئا للصدفة، تقول مريم عنها:«حتى عندما أمرض هي التي تأخذني في سيارتها الخاصة»[1].

لقد قامت السلطات بغلق مدرسة الفنون الجميلة بسيدي بلعباس وصالة الرقص، هذا ما دفع أناطوليا إلى الرحيل إلى العاصمة مصطحبة معها مريم، فتقول هذه الأخيرة:«أقسمت لأمي أن تأخذني معها، وربما تأخذنا جميعا، وعندما استقرت ساعدتنا في الحصول على بيت، دفعت أقساطه سلفا»،[2] فأناطوليا لم تتخل عن مريم، فقد شهدت على موهبتها في الرقص، ولم ترد أن تفرط بها، فقد ربطت بينهما علاقة ود، فمريم قريبة جدا من أستاذتها، فهي تفشي لها أسرارها وتحكي لها عن همومها ومشاغلها، وفي الرواية مواقع كثيرة تنم عن ذلك ومن بينها قول مريم: «أشعر أحيانا أن أناطوليا أعطتني من الحب أكثر مما أعطتني أمي، أشياء كثيرة فتحت عيني فيها معها وبحضورها»،[3] فمريم تشعر أن أناطوليا أكثر شخص قريب إليها يمكنها أن تفضي عن مكنوناتها له، فمقامه حسب مريم ربما كان أكثر من مقام أمها.

لأناطوليا عدة أعمال فنية نذكر منها بالي زواج الفيغار، وباليه شهرزاد، وباليه البربرية في منطقة القبائل، وقد كان هذا العمل الأخير عملا جبارا، إذ دمجت فيه بين حياة آيت عميروش وموسيقى إقربوشن.

هدد حراس النوايا أناطوليا في العديد من المرات إذ وصفوها بالشيوعية الكافرة، فقد تعرضت للسرقة عدة مرات، فقد اقتحم منزلها مرة فكسروا أسطواناتها، وفي المرة الثانية تلقت تهديدا صريحا:«وجدت في صندوق البناية، وتحت باب بيتها الخارجي رسائل تقول:«عودي إلى بلادك أيتها الشيوعية القذرة».[4] لجأت أناطوليا إلى الشرطة إلا أن هذه الأخيرة لم تهتم بالأمر ولم تعط للقضية أية أهمية، فأغلقوا الملف وقالوا لها أن البلاد هكذا واتهموها بالشيوعية وإحداث الفوضى في البلاد.

---

[1] - واسيني الأعرج :سيدة المقام مراثي الجمعة الحزينة، ص79.

[2] - المصدر نفسه، ص80.

[3] - المصدر نفسه، ص 81.

[4] - المصدر نفسه، ص 41.

توالت التهديدات التي كانت أناطوليا تتلقاها، إذ وصل بهم الأمر إلى إحراق سيارتها وقتل كلبتها، فملت هذه الأستاذة المثقفة من وطن كله فوضى وخراب وأدركت انه لا قيمة للثقافة والمثقف فيه، فقررت المغادرة والعودة إلى بلادها، تقول مريم: «نكست رأسها ودخلت قبل أن تنغمس في الإجراءات الجمركية، مدت يدها على فمها ورفعت يدها الأخرى ملوحة تلويحة الوداع»،[1] فقد غادرت أناطوليا البلاد بحزن شديد وهي تتحسر على حالها وحال أحلامها التي سرقت منها في بلد حاولت جاهدة الرقي بالفن والثقافة فيه. لقد شغلت هذه الشخصية جزءا كبيرا في الرواية ووردت في العديد من الصفحات فيه.

كل هذه الشخصيات المحورية تعاني في ظل الصراع السياسي، من أجل السيادة والسلطة، الجريمة الوحيدة لهذه الشخصيات هي أنها مثقفة (أناطوليا أستاذة الرقص التي سترحل إلى بلادها، مريم راقصة البالي التي ستموت بفعل رصاصة طائشة، وأستاذ جامعي دكتور في الفن الكلاسيكي الذي سيلقي بنفسه من أعلى الجسر منتحرا، احتجاجا على الأحوال السيئة التي حلت بالبلاد والعباد، وغربة المثقف في وطنه، وقمع الثقافة) .

2- شخصيات ثانوية:

الشخصيات الثانوية تمثل نماذج إنسانية بسيطة، وتقوم بأدوار محدودة، فهي أقل تعقيدا وعمقا مقارنة بالشخصيات الرئيسية، فشخصيات: سي العباس والأم خضرة وحمودة ...وهي شخصيات ثانوية تقوم بأدوار تكميلية هامشية، إلا أن هذا لا يعن أن سائر الشخصيات الأخرى لا وجود لها، فالشخصيات الثانوية تلعب دورا هاما في بعث الحركة في النص الروائي.

1/2- شخصية سي العباس (العم):

هو عم مريم، وقد تزوج أمها من بعد وفاة أخيه، وأخذها معه إلى سيدي بلعباس، يعمل بوابا بالبلدية، ظن لمدة طويلة أن مريم ابنته، فألح في طلبه بولد ثاني إلا أن زوجته لم ترد خدش كرامته وإخباره أنه عاجز، فطلبت منه إجراء فحوصات، وبعدما علم بعجزه «قضى ليلة بكاملها يبكي... ثم خرج في اللّيلة نفسها ولم يعد إلا بعد أسابيع عديدة، كان ملتحيا ومكتئبا وصامتا»،[2] هذا العجز دفعه إلى الانخراط في

[1] - واسيني الأعرج: سيدة المقام مؤاثي الجمعة الحزينة، ص164.

[2] - المصدر نفسه، ص77.

إحدى الجماعات الدينية، واعتبرها ملجأ أمان له، وأفراد هذه الجماعات كانوا يقصدونه ليلا ليخلوا به في إحدى زوايا البيت تقول مريم:«كانوا يأتونه كل مساء بقشابيتهم البيضاء ونعالات ميكا، ثم يركنون في إحدى زوايا البيت بعد أن يغلقوا كل الممرات، عندما يدخلون يسبقهم هو بطقوسه المعتاد الطريق ديرولهم الطريق، يقصدني أنا وأمي».[1]

لقد صاحب هذه الجماعة الملتحية الذين يحللون ويحرمون حسب عقيدتهم، وقد كثرت دعواته لهم إلى بيته، وهذا ما جعل زوجته تطلب منه أن لا يحضرهم، فعزل نفسه وصار يدخل متأخرا ولا يحاور أحدا «فيخرج المصحف وأهوال القيامة وعالم الجن والملائكة وبعض الكتب الصفراء ينزوي في مكان مظلم ويبدأ بتمتماته وحوقلاته وبسملاته».[2]

تطرفه وغلوه هذا وتدينه المفرط أدى إلى فقدانه الوظيفة في البلدية، فقد وصل به الأمر إلى المطالبة بإنشاء مسجد داخل البلدية، تقول مريم «طالب بإقامة مسجد داخل البلدية وتكوين نقابة إسلامية».[3]

حاول هو والشيخ عثمان اقتحام المحكمة، فأدخل إلى السجن، لكنه وجد نفسه وحيدا، فالجماعة لم تحرك ساكنا لإخراجه ولم تتوسط له، بينما هم خرجوا بالوساطات، وحينما خرج كان الحزن والوحدة يلفانه، فقرر الخروج من هذه الجماعات والتبرؤ منها فقام «بحلق لحيته المتدلية ووضعها داخل غلاف رسالة وبعثها إلى أميره قال له: منذ اليوم لم أعد معنيا بالجماعة».[4]

عمل كخضار بعد هذه الحادثة إلا أنه سرعان ما عادت إليه وساوسه، فعاد إلى كآبته من جديد فحول المنزل إلى مسجد، فمنع على مريم وأمها التلفاز وكل الوسائل الأخرى، تقول مريم في هذا الشأن:«وعندما أراد أن يملي بشروطه مكانش المايدة، مكانش المغارف، الفراشيط، التلفزيون... الصحابة كانوا يأكلون على الحصائر ويمشون حفاة عراة»،[5] فسي عباس أصبح يتحجج بعهد الصحابة لفرض آرائه

[1] - واسيني الأعرج: سيدة المقام مراثي الجمعة الحزينة، ص 81- 82.
[2] - المصدر نفسه، ص 82.
[3] - المصدر نفسه، ص79.
[4] - المصدر نفسه، ص 80.
[5] - المصدر نفسه، ، ص 82.

وشروطه، فقد كان يتذرع بالصحابة وأخذ من طريقة عيشهم حجة له، لذلك أراد أن يطبق ذلك على أهل بيته ونسي أن لكل زمن حاجياته ومستجداته فلا يمكن ربط لوازم حياة اليوم بالحياة الماضية.

لقد شهد رجال الجماعات اعتقالات عديدة في الحي فلجأ إلى الاختباء لفترة، وهذا ما زاده بؤسا وشقاء، فقرر الزهد في حياته تقول مريم:«بدأ يزهد في كل شيء، دخل عمقه المجروح وانكفأ هناك بصمت كبير».[1]

ظلت حالة عباس على هذه الحال فدخل في عزلة وانطواء وصمت رهيب، إلا أنه يمكننا القول أن حالة العم عباس هذه لا يمكن اعتبارها فرط في الإيمان والزهد والتقوى، إنما هي مرض نفسي أصيب به جراء عجزه والذي دفعه إلى الانخراط في الجماعات الإسلامية، لظنه أنها هي الملجأ الوحيد الذي يمكن أن يحتويه ويشعر بالأمان في كنفه، فعزل نفسه عن الحياة العادية والعامة، ودخل في عالم الوساوس والهلوسة.

2/2- شخصية الأم:

امرأة ريفية يتم تزويجها بعد استشهاد زوجها من أخيه الأصغر، هذا الشهيد الذي ترك مريم في رحمها. تزوجت والدة مريم من عباس بحكم العادات والأعراف، دون أن يكون لها قرار أو أي رأي في ذلك، إلا أن المجتمع هو من يفرض ذلك حيث قالت لها «لالة حليمة أرواحي (تعالي) أحتاجك اليوم يجينا خو زوجك كوني امرأة ونص، يسكن المدينة يا بنت الناس. الله يفرج عليك وعليه، هو لم يتزوج وأنت عمرك مازال في النور، أمي عاجزة ومستسلمة..لكن القرية هكذا كانت».[2]

ظن العم عباس أن مريم ابنته من صلبه فطلب بولد ثاني يملئ عليهم البيت بالفرح والسرور فقال لزوجته:«كيفاش نبقى على المازوزية يلزما ولد واحد آخر»،[3] إلا أّنه سرعان ما عرف حقيقة عجزه، فعمت سحابة الحزن والكآبة على حياته، فانظم إلى صفوف الجماعات الدينية.

[1] - واسيني الأعرج: سيدة المقام مراثي الجمعة الحزينة، ص82.
[2] - المصدر نفسه، ص71.
[3] - المصدر نفسه، ص75.

انتقلت الأم مع زوجها العباس وابنتها مريم إلى باب الواد بعدما باعوا مسكنهم بسيدي بلعباس، لقد كانت الأم نموذجا للمرأة البسيطة المطيعة، فهي تبدو مستسلمة للعادات والتقاليد، عكس ابنتها مريم فلا يسمع لها صوت الرفض إلا نادرا، وذلك حينما تواجه عباس متحدية إياه دفاعا على فلذة كبدها فنجدها تقول:«اسمع بنتي تسوى الذهب، اخل بارودك إذا حبيت، دير واش تحب».[1]

لقد شجعت الأم ابنتها على الزواج من حمودة ظنا منها أن الزواج هو أحسن حل لنفاذ ابنتها من عصبية سي عباس، وهروبا من جو البيت المكتئب فقالت لها أحد الأيام «واش رايك لوكاني خطبك حمودة»،[2] وظلت الأم حتى بعد زواج مريم توصيها على الصبر وعلى الاهتمام بزوجها، رغم فشل زواج مريم، فحسب الأم على الزوجة أن تنصاع لزوجها وتطيعه دون نقاش، وتتحمل معه المشقة وعقليته الصعبة، فهكذا كانت أمهاتنا يفعلن سابق، فالأولوية للرجل ثم تأتي بعده الزوجة، فقالت لها في إحدى المرات ناصحة إياها «الرجل رجل يا بنتي، أنت زوجته وحقه عليك كبير».[3]

رغم تفكيرها النمطي هذا إلا أنها ساندت ابنتها بعد طلاقها من حمودة، وكانت ملجأ أمان وحنان لها، فهذه هي الأم لا يمكنها أن تتخلى عن أولادها، فمريم تخبرنا بما قالته لها والدتها بعدما عرفت بقضية الطلاق «ليس هو الرجل الوحيد في الدنيا، قالتها ثم ضمتني إلى صدرها».[4]

3/2- شخصية الزوج حمودة:

هو موظف بسيط في البريد المركزي، متحصل على شهادة اللّيسانس في الحقوق، تعرف على مريم وقصدها للزواج، وقد كان متفهما معها رغم معارضة المجتمع لمهنتها (الرقص) فمريم صارحته منذ البداية أنها تحب الرقص وهي غير مستعدة للتخلي عنه فقالت: «اسمع يا خويا، تعرفني مجنونة على الموسيقى والرقص».[5] تربت مريم في مجتمع لا يقبل الزواج من راقصة البالي، إلا أن حمودة

[1] - واسيني الأعرج: سيدة المقام مراثي الجمعة الحزينة، ص81.
[2] - المصدر نفسه، ص85.
[3] - المصدر نفسه، ص 91.
[4] - المصدر نفسه، ص104.
[5] - المصدر نفسه، ص88.

تفكيره كان مغايرا تماما فلا مشكلة لديه في موهبة مريم ورقصها، فقال: «بالعكس الباليه شيء عظيم وصاف، في سينما الأطلس والأوبرا كنت مدهشة».[1]

تزوج حمودة من مريم إلا أنها أبت أن تسلمه نفسها، فكثرت الأقاويل والشائعات بشأن هذا الأمر، فنفذ صبر حمودة وقرر أخذ حقه بالغصب والقوة، تقول مريم «سحب سكينا، وضعه على الطاولة وهددني، إذا لم أنصع لأمره سيقطع إصبعه».[2] كتم حمودة الكثير في نفسه لأجلها، رغم ذلك لم يستطع أن يصبر أكثر إلى الليلة المشئومة التي اغتصب فيها مريم تقول: «كان انقض عليا مثل الوحش وجرني إلى الفراش»،[3] لقد اغتصبت مريم من طرف زوجها الذي كان يرى أن الرجولة تنحصر في العلاقة الجنسية فحسب، وبعد هذه الفاجعة أدرك حمودة خطئه وندم على فعلته هذه واعتذر من مريم إذ قالت: «جلس بجانبي على السرير قال أعتذر»[4]، إلا أنها لم تستطع أن تسامحه لأنه طعنها في شرفها وشكك فيها، فقد خسر حمودة مريم وطلقها بعد أن اتهمها بالسرقة زورا، فقد رفع دعوة عليها بتهمة تكسير الباب وسرقة أشيائه وصلتها دعوة من الشرطة تقول: «زوجك قدم شكوى ضدك بتكسير باب بيته الخارجي، وسرقة حوائجه الخاصة».[5] انكسرت حياة حمودة بعد ذهاب مريم وتحول من حياته العادية إلى حياة فاشلة مكتئبة.

بالإضافة إلى هذه الشخصيات نجد شخصيات أخرى برزت على الوسط كشخصية عمي موح الذي كان صيادا مسنا، يعشق الشاطئ، فكان يمضي أغلبية وقته في البحر فهو أحسن ملجأ لفض الأحزان والهموم، فقد بقي وحيدا بعد زواج ابنته، وكان يحب الأستاذ ومريم ويأخذهما معه في رحلة على متن القارب، ويقدم لهما ما لذا وطاب من الأسماك يقول الاستاذ: «وعندما تنتهي الرحلة التي كنا نتمناها يودعنا بعينيه. يا أولاد تهلاوا في رواحكم. الله يحفظكم من العين».[6] عمي موح الصياد مات غرقا في البحر، بعضهم يقول أنه انتحر بسبب ابنته التي كان يفتخر بها فتركته لتتزوج أحد رجال الأعمال.

---

[1] - واسيني الأعرج: سيدة المقام مراثي الجمعة الحزينة، ص88.

[2] - المصدر نفسه، ص89.

[3] - المصدر نفسه، ص97.

[4] - المصدر نفسه، ص97.

[5] - المصدر نفسه، ص 102.

[6] - المصدر نفسه، ص 45.

بالإضافة على شخصية عمي مزيان الذي تصدى لحراس النوايا الذين حاولوا إغلاق صالة الرقص. وشخصية الطبيب الفلسطيني صديق الأستاذ والطبيب المشرف على حالة مريم، إذ يعمل في مستشفى مصطفى باشا. وشخصية لالة حليمة جدة مريم التي فرضت على خضرة الزواج من ابنها الأصغر بعد استشهاد لحسن.

يمكننا القول في الأخير أن واسيني الأعرج، قد حرك شخصياته المحورية لتناول الصراع السياسي ذو الأبعاد الاجتماعية. فالشخصيات تنمو وفق تراكم لحظات الزمن المقيد اجتماعيا، وذلك عبر علاقة الشخصيات بالواقع، كما ساهمت الشخصيات الثانوية في تطوير الأحداث وتحريكها.

ب- التوظيف الإيديولوجي لزمن ومكان الرواية:

1-دلالة الزمن الإيديولوجية في الرواية:

لقد كانت العشرية الدموية رحم ميلاد الكتابة الروائية الجزائرية الجديدة، والتي تنقل لنا الوضع المزري للشعب الجزائري خاصة بعد مظاهرات أكتوبر1988. إذ أنها تسببت في قتل العديد من المتظاهرين والأبرياء، كما أنها كانت السبب الفعلي في دخول الجزائر في عشرية العنف والدم بين السلطات الحاكمة الغاشمة، والتي أرادت الاستيلاء على عرش النظام والحكم، وبين الإسلاميين الذين طالبوا بدورهم الحكم وأرادوا الجلوس على هذا الكرسي، فحدث صراع واحتدام بينهما بسبب اختلاف وجهات النظر والأفكار، وبما أن الرواية ما هي إلا مجسم مصغر عن الواقع الذي يكون مرتبطا كل الارتباط بالزمن الماضي والحاضر والمستقبل، والذي يعطي الصورة الحقيقية لمجريات أحداث الرواية فكأنها مرآة عاكسة للواقع بكل ايجابياته وسلبياته، وهذا ما نجده في رواية سيدة المقام لصاحبها واسيني الأعرج.

يعد واسيني الأعرج أحسن من مثلوا الرواية الاستعجالية والزمن الواقعي، حيث أجاد توظيف هذا الزمن الذي استمده من العشرية السوداء ببشاعتها وحاول الكشف عن زيف ونذالة ووضاعة النظام، وخير أعماله التي استلهمت كل هذا نذكر روايته سيدة المقام، والتي ربطها بعنوان فرعي" مراثي الجمعة الحزينة".

يعتبر العنوان الفرعي لهذه الرواية أول زمن يذكر في الرواية، فقد افتتح الروائي عمله هذا بهذا الزمن فنجده يقول: «لست أدري من كان يعبر الآخر، أنا أم الشارع في ليل هذه الجمعة الحزينة».[1] والجمعة التي يقصدها واسيني هي جمعة

[1]- واسيني الأعرج: سيدة المقام مراثي الجمعة الحزينة، ص 7.

موت بطلة الرواية مريم إثر إصابتها برصاصة استهدفت مركز فكرها لا غير، الروائي استخدم زمنين وجمعتين؛ الجمعة الأولى التي ذكرها هي كما قلنا سابقا جمعة موت مريم، في حين ذكر الجمعة الثانية وجاءت كاسترجاع لما حدث وهي جمعة أو يوم إصابتها بإطلاق ناري. فيقول الروائي في هذا الصدد: «ستقولون رصاصة «الجمعة 7أكتوبر من خريف »1998. رصاصة بلا معنى كغيرها من الرّصاصات الكثيرة التي اخترقت صمت المدينة...رصاصة خرجت من مسدس لا يعرف صاحبه مطلقا أنّه هو صاحب الكارثة».[1] فواسيني في هذا المقتطف ذكر زمن إصابة بطلة روايته مريم بالتفصيل، فنجده استعمل اليوم والشهر والسنة مما يعني أنه استعان بالزمن الواقعي لسرد عمله الأدبي. كما أن هذا التاريخ الذي استخدمه هو تاريخ انتفاضات أكتوبر وتأزم الوضع الجزائري، تاريخ خروج الشعب إلى الشارع رافعين أصواتهم جهرا للتنديد عن ما حلّ بهم من قتل ودم وعنف وظلم.

أراد واسيني أن يسلط الضوء على الشعب عامة والفئة المثقفة خاصة، فهو تعمد في روايته أن يقتل كلا المثقفين؛ مريم التي قتلتها الرصاصة والأستاذ الذي استسلم للحكم ومزق أعماله وكل ما يوحي إلى الثقافة ليلقي بنفسه في أعلى قمة من جسر تيلملي. ورحيل أناطوليا أيضا، كل هذا يوحي إلى استحالة الثقافة والمثقف في هذا الوطن الذي وقع أسيرا بين يدي السلطات الفاسدة. فالرواية إذا استهلها واسيني بحادثة مفجعة لتنتهي مرة أخرى بحادثة مفجعة أخرى في زمن واقعي معاش مرت به الجزائر.

أخيرا نقول أن واسيني الأعرج استطاع أن ينقل لنا الأزمة والحقبة البشعة وسنوات الجمر والدّم التي مرت على الجزائر، باستخدامه لليلة الجمعة البائسة كأول زمن ليتبعه أخر زمن وهو زمن انتحار الراوي لأن سبب عيشه قتلتها رصاصة الجمعة. وبهذا ينفرد الأعرج عن الروائيين الأخريين ويجعل من نفسه أحد أهم الكتاب المميزين الذين وقفوا أمام قرارات السلطة بكل قوة رافضا قمعهم واستبدادهم.

[1]- واسيني الأعرج: سيدة المقام مراثي الجمعة الحزينة، ص8.

2- دلالة المكان/الفضاء الإيديولوجية في الرواية:

لا يقل دور المكان عن دوري الزمان والشخصيات في العمل الأدبي، ورغم ظهوره المتأخر مقارنة مع الزمن إلى إنّه استطاع أن يحتل مكانة مهمة في العمل الأدبي، إذ أنه يحدّد مسار الحدث، الزمن، والشخصيات فلا يمكن أن نصور أو نكتب عملا أدبيا دون مكان. فهو إذا «أحد المكونات الحكائية التي تشكل بنية النص الروائي، لكونه يمثل العنصر الأساسي الذي يتطلبه الحدث الروائي والشخصية الروائية في الوقت نفسه، ولهذا يلعب دورا مركزيا داخل منظومة الحكي لأن الحدث الروائي لا يمكن أن يتم في الفراغ بل لابد من مكان يقع فيه».[1] أي أن كل عمل أدبي يشترط وجود عنصر المكان الذي به تسير الشخصيات والحدث والزمن.

استخدم واسيني شكلين من أشكال المكان، فنجده قد وظّف في روايته النوع الأول: الأماكن المفتوحة كالشوارع والأزقة، البحر، الجسر، وصالة الرقص... فهي التي ترتاح فيها شخصيات العمل الأدبي ويحسون فيها بالأمن، الراحة، والسعادة، كما يمكن أن يكون ملجأ لهم للتخفيف من معاناتهم وآلامهم ففيه يزيلون تثاقل هموم الحياة ومصائبها.

أما النوع الثاني فهي الأماكن المغلقة، والتي تتمثل في بيت العباس، مركز الشرطة، ومستشفى مصطفى باشا، وهذه الأماكن تعد مصدر إزعاج وحزن وكآبة شخصيات الرواية، فقد كونت في نفوسهم أثارا سلبية.

2-1- الأماكن المفتوحة:

2-1-1- فضاء الشوارع والأزقة: تعتبر الشوارع أحد أهم الأماكن المنفتحة التي تنعم فيها الشخصيات بالراحة والطمأنينة، كما أنهم وجدوا في هذا الفضاء ملجأ لنسيان همومهم ومشاكلهم، أضف أنها تقدم لنا « مادة غريزة من الصور والمفاهيم لتساعدنا على تحديد السمة أو السمات الأساسية التي تصف كل الفضاءات».[2]

[1]- أحمد مرشد: البنية والدلالة في رواية إبراهيم نصر الله، ص 127.

[2]- حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي،ط1990 1، المركز الثقافي العربي، ص 79.

ذكرت رواية مراثي الجمعة الحزينة العديد من الشوارع والأزقة ومن أهمها نذكر:

«أعبر الزقاق الضيق الوسخ، المؤّدي إلى شارع ديدوش مراد».[1]

نجد الراوي يتساءل عن حال البلد الذي في كل مرة يكون أسوء من قبل وهو يعبر هذا الشارع، فمنذ مجيء حراس النوايا تحولت المدينة إلى غابة يسكنها الوحوش، فقد انعدم الأمن والسلام وانعدمت الحرية فيها، حتى الشوارع لم تنجو من سوء التسيير فقد امتلأت بالأوساخ، فقد حولها حراس المدينة إلى مدينة مجردة من جمالها ومن حيويتها ومن كل شيء جميل فيها.

«الشوارع بدأت تتثاقل بالأوساخ والأوحال، وجمالها يغيب تحت كثافة دخان المصانع الصغيرة التي تنبت في الحارات كالفطر».[2] لم يكتف الراوي بهذه الأماكن فقط، بل تجوّل في عدّة أزقة وشوارع في المدينة، فقد ذكر أيضا شارع محمد الخامس فيقول: « في نهاية شارع محمد الخامس، توقفت205 الفضية. فتحت الباب. نزلت معي..... سأتذكّرها طويلا قبل أن أغرق في ظلمة القبر وصمته».[3] مما يعني أن الأستاذ يسكن في هذا الشارع.

كان الأستاذ غارقا بمريم، بجمالها وأنوثتها فقد أحبها وعشقها وولع بها إلى درجة أن المطر بدأ يتساقط، وهو لم يحس إلى رذاذا ته إلا أن وصل إلى شارع عبّان رمضان.

[1]- واسيني الأعرج: سيدة المقام مراثي الجمعة الحزينة، ص 20.
[2]- المصدر نفسه، ص 38.
[3]- المصدر نفسه، ص 60.

«لم أشعر به إلاّ وأنا أحاول أن أعبر شارع عبّان رمضان».[1] يتحدث عن المطر الذي بدأ بالتهاطل. وكل هذه الأماكن التي ذكرها الروائي والتي سميت بأسماء الشهداء أصبحت خارقة بدم الجزائريين عموما والمثقفين على وجه الخصوص.

كما ذكر كل من شارع باب الوادي وأحياء سيدي بلعباس وباش جراح وغيرها.

«عمل خضّارا في أحياء باب الوادي الشعبية ».[2]

«أعادتني إلى قريتي وإلى أحياء سيدي بلعباس الواسعة».[3]

يذهب الراوي ليصف لنا لحظة تواجده مع مريم، وكل الشوارع التي عبروها وهي نائمة على كتفه كملاك فيقول:

«عندما انتهينا من حافة البحر ودخلنا المدينة، عبر "جميلة" و"عين البنيان"وباب الوادي" كانت قد نامت».[4] نامت مريم قرب الرجل الذي أحبته وهي لم تحس بالشوارع التي عبرتها ربما كان ألم الرصاصة أقوى من أن تبقى مستيقظة مستمتعة مع رجلها الصغير.

ذكر السارد شوارع أخرى أضافها عن كل الأماكن المذكورة سابقا كالساحات والمداخل ومن أمثلة ذلك نذكر:

«وسط كل هذا الفضاء الموبوء لا نجد شرطيا واحدا، ما عدا قوّات التدخل السريع التي أغلقت الساحات في وسط المدينة، وفي النفق الجامعي، ومدخل ديدوش مراد وشاراش وطوقت

[1]- واسيني الأعرج: سيدة المقام مراثي الجمعة الحزينة، ص 58.
[2]- المصدر نفسه، ص 81.
[3]- المصدر نفسه، ص 104.
[4]- المصدر نفسه، ص 173.

الساحات الكبرى. ساحة أوّل ماي ساحة الشهداء...شارع باستور...الذي حول إلى مقر مركزي للحزب».[1]

ويقول أيضا: «أعرف أنّي انتقلت من مستشفى مصطفى باشا مرورا بشارع حسيبة بنت بو علي، ثم صعدت باتجاه ديدوش مراد ولا اعلم بعد الأزقة التي قطعتها».[2]

من خلال استعراضنا لكل الشوارع والأزقة الموجودة في الرواية نتوصل للقول أن المؤلف نجح بتوظيف هذه الأماكن المستوحاة من واقع الجزائر العاصمة فنجد أن كل الشوارع حملت أسماء الشهداء الذين حاربوا الاستعمار تحولت إلى ميادين يقتل فيها الجزائريين. وهذا ما جعل روايته تعبر بشكل كبير عن واقع المجتمع الجزائري آنذاك.

2-1-2- فضاء البحر: يعد البحر من الأماكن المنفتحة لما له من آثار عميق في نفوس شخصيات الرواية، خاصة عند البطلين المثقفين الأستاذ الجامعي وطالبته راقصة البالي مريم، فقد كان البحر مؤنسهم في غربتهم ومزيل همومهم وأتراحهم، فقد كانت أمواجه دواء وبلسما لجرحهم، فكثيرا ما يترددون إليه رغم وسخه فيقول الراوي:

«البحر مزيت ومتسخ كأنه بركة مهملة، كلما هبت عاصفة جلبت إليها كل أوساخ الحارات والشوارع الضيقة».[3]

وما يدل في الرواية أن البحر يهدئ أعصابهما ويخفف توترهما ما نجده جليا على لسان ابن البحر الصياد عمي موح الذي يقول: «ثم نخرج نستنشق رائحة البحر قبل أن نغرق في العمل من جديد وحمل الصناديق».[4] لم يكن عمي موح وحده محبا

[1]- واسيني الأعرج: سيدة المقام مراثي الجمعة الحزينة، ص 125.
[2]- المصدر نفسه، ص 106.
[3]- المصدر نفسه، ص 38.
[4]- المصدر نفسه، ص 48.

للبحر، بل كان معه ثلة من الصيادين الذين وجدوا الراحة فيه، «حتى الصيادون الذين تعودوا على المكان، صاروا يجيدون راحة كبيرة على حافة البحر».[1]

لم يكن الصيادون وحدهم من اتخذوا من البحر ضالة لهم فقد اعتبره كل من البطل - الأستاذ الجامعي- ومريم ملجأ لهما ففيه يحسون بالراحة وينسون همومهم وغربتهم ومتاعب السلطة، فمثلا مريم عندما تركتها اناطوليا وحيدة وعادت إلى بلدها أحست بالكآبة لهذا قررت النزول للبحر الذي يخفف حزنها ونجد هذا في الرواية على النحو التالي:

« قلتُ نعود يا مريم؟ قلت: البحر أفضل من العبث تضييع بقية اليوم داخل البيت...

- أرجوك أريد أن ننزل للبحر.

- لننزل البحر أفضل من الأدخنة الفاسدة.

- البحر والمطر. شيء لا يوجد إلا في القلب والشّعر».[2] وهذا يعني أن البحر محفور في قلب مريم وهو مؤنسها في غربتها. وتضيف أيضا عنه: «البحر صار في جيبي وفي قلبي».[3]

نلاحظ أنّ الراوي استخدم صيغة أفضل في الاقتباس الأول، وهذا ما يعني أن كل من البطلين يجيدان الراحة على حافة البحر. فهو الذي يزيل كل شيء وهذا ما ورد في الرواية على لسان ذلك الفقير المتشرد، الذي يعيد استخدام الأشياء والملابس المرمية في المزابل ويكتفي بغسلها بمياه البحر فقط. فيقول:«غسلته في البحر ثم لبسته. البحر يغسل كل شيء».[4]

---

[1]- واسيني الأعرج: سيدة المقام مراثي الجمعة الحزينة، ص48.

[2]- المصدر نفسه، ص 164.

[3]- المصدر نفسه، ص126.

[4]- المصدر نفسه، ص 123.

من كل هذه الاقتباسات نتوصل للقول أن الرواية لا تخلو من فضاء البحر، فهو أحد الأماكن الأساسية في الرواية. إذ أنّه مركز ومحور مريم فترددها إليه كان أكثر من ترددها لبيت العباس.

2-1-3-الجسر عنوان القتل: الجسر أو كما يطلق عليه بالعامية القنطرة، وهو عبارة عن منشأ مصنوع من الحديد أو الخشب يستخدم للعبور من منطقة إلى أخرى فهو حلقة وصل بين فضائيين ويعرف الجسر بعلوه وصلابته وفي روايتنا هذه نجد أن واسيني وظف «جسر تليملي الحديدي. العالي جدّا»،[1] الموجود في العاصمة ومن المواضع التي ذكر فيها الجسر في الرواية، نذكر:

«الزمن قصير، وللمشي في هذه الشوارع طقوسه. كل شيء صار مبهما وبعيدا. والوصول إلى جسر" تليملي" يحتّم علي مقاومة عنيدة لهذه المياه المتدفّقة بكثافة من سماء تسطّحت وشحّت قبل هذا الزّمن».[2]

أصبح السارد يتردد كثيرا إلى هذا الجسر الذي يجذبه إليه كمغناطيس، ففي كل مرة يذهب إليه شيء ما كالدهشة يبقيه هناك لهذا أصبح مولع به «عندما وصلت إلى جسر تليملي الذي قادني إليه شيء غامض مثل الدهشة».[3] فالسارد صرح بأن سبب تردده إلى هذا الجسر شيء لا يعرفه.

ويقول أيضا: « لقد صرت قريبا جدا من جسر تليملي عجيب هذا الولع الفجائي بالجسر».[4]

كان موت مريم صدمة كبيرة للأستاذ إلى درجة انه أصبح أكثر غربا ووحدة في بلده. لهذا أصبح كثير التردد إلى الجسر وفكرة الانتحار تراوده متذكرا شاعرة البلد

[1]- واسيني الأعرج: سيدة المقام مراثي الجمعة الحزينة، ص 229.
[2]- المصدر نفسه ، ص107.
[3]- المصدر نفسه، ص 236.
[4]- المصدر نفسه، ص 221.

صفية كتو، التي ألقت بنفسها من أعاليه «أشعر بالرغبة الكبيرة للوقوف على الجسر الذي أكل شاعرة هذا البلد».[1] ففي كل مرة يزداد السارد يقينا أن هذه المدينة لا تستحق الفن ولا الفنانين.

ويضيف عن هذا: «تذكرت صديقتي الشاعرة "صفية كتو" التي قتلتها المدينة، فرمت نفسها من أعلى قمة في جسر "تليملي" الذي يربط أسفل المدينة بمرتفعاتها».[2]

معنى الحياة ماتت، وسبب عيشه تركته وحيدا غريبا في هذه المدينة الموحشة، التي لا ترحم أحدا ولم يبق أمامه إلا أن يلحق بحبيبته وسيدة المقام ويؤنسها في قبرها ووحدتها. لهذا أصبحت فكرة الانتحار هي السبيل الوحيد للحاق بها.

فهذا الجسر جسر الموت، نجده لم يشبع من أخذه لشاعرة البلد وها هو الآن يريد أن يأكل الأستاذ الموسيقي الذي يستعد للانتحار على أعاليه. لأنه ملّ الحياة دون نصفه الآخر وما يبرهن على رغبته في الانتحار ثم تنفيذ فكرته ما نجده في الرواية:

«اتكأت على متكأ جسر تليملي تأملت الفراغ، كانت الهوة عميقة».[3]

«أصعد على المقابض الحديديّة. الهوة تزداد أكثر فأكثر والصرخات تملأ الأرجاء».[4] هذان الاقتباسان يبينان المحاولات الأولى لتنفيذ خطته والقضاء على حياته.

ألقي الأستاذ بنفسه على الجسر بعد طرحه لعدة أسئلة قائلا: «شعرت بالآلام الحادة تنتقل من رأسي وجسدي وتتمركز في صدري عند حدود الانحناء على مقبض الجسر الحديدي. كانت هوة الفراغ تزداد عمقا كلما تأملتها أكثر. كم هي مؤلمة درجة الارتطام على الأرض ! أوف مرة واحدة وينتهي كل شيء تذكرت صفية كتو... هي لم تطرح هذا السؤال»[5]. نّفذ

---

[1]- واسيني الأعرج: سيدة المقام مراثي الجمعة الحزينة، ص 196 .

[2]- المصدر نفسه، ص 220.

[3]- المصدر نفسه ، ص 236.

[4]- المصدر نفسه، ص 239.

[5]-المصدر نفسه، ص 238.

السارد فكرته الانتحارية مستسلما لسلطة حراس النوايا التي قضت على طموحاته. فهذا الجسر إذا بعد أن كان حلقة وصل بين المثقف ومجتمعه تحول إلى جسر الموت.

2-1-4- صالة الرقص/ صالة الأوبرا ملجأ مريم: عبارة عن قاعة مخصصة لفن الرقص، وهو المكان الذي تقدم فيه مريم وأناطوليا استعراضهما وتدريباتهما، ففيه تجد مريم راحتها وتستجمع قواها فهو الملاذ والمنقذ والخلاص من الغربة والوحدة وبيت العباس، الذي حوّل حياتها إلى جحيم. فأصبحت تستمد الأوكسجين من هذه الصالة «البيت ضيق مثل الحبس وأنا مجنونة قلبي وذاكرتي وجسدي مليئة بالرقص يملأني من رأسي حتى أخمص القدم»،[1] وهذا ما يعني أن الرقص يسير في دمها هو النبض الثاني لقلبها. حتى طلبة المعهد أصبحوا لا يتنفسون إلا داخل هذه الصالة.« طلبة المعهد بالرغم من أن كل شيء فيهم صار ضيقا لا يتنفسون إلا داخل هذه الصالة في لحظات التدريب»،[2] وهذا ما يعني أن الراحة تكمن في هذه الصالة فكل يعبر عن مبتغاه بطريقته حتى الطلاب شعروا بالراحة في هذه الصالة.

تدربت مريم في هذه الصالة كثيرا من أجل أداء عرض شهرزاد غير مبالية لألم الرصاصة التي استوطئت دماغها، ورغم الخوف والقلق الذي سيطر عليها أياما قبل العرض، إذ نجدها في أقصى درجات الارتباك أو الخوف، أو ربما شيء آخر غير هذا، وهو الخوف من سلطة حراس النوايا أن تقوم بمنع العرض لكن هذا الهاجس ذهب بمجرد أن اعتنقت المسرح ورفع الستار فنجد الأستاذ يصف المشهد بقوله: «عندما رفع الستار العرض، كانت مريم بعيدة عن الأنظار. ...كانت مدهشة تحت شلالات الأضواء الملونة. كانت الوديان القبائلية تنشق داخل المنصة».[3] السارد يصف محبوبته وهي على المنصة لأداء حلمها.

[1]- واسيني الأعرج :سيدة المقام مراثي الجمعة الحزينة، ص 135.
[2]- المصدر نفسه، ص 135.
[3]-المصدر نفسه، ص 55 .

2-2- الأماكن المغلقة:

2-2-1-فضاء البيت"بيت العباس":

ذهب غاستون باشلار"Bachelard Gaston "ليعرف البيت بقوله: «هو ركننا في العالم. إنّه، كما قيل مرارا، كوننا الأول، كون حقيقي بكل ما للكلمة من معنى».[1]

البيت هو المكان الذي يترعرع فيه الإنسان وفيه يشعر بالسعادة، الراحة، الطمأنينة والأمن والسلام. فهو ليس مجرد حيطان وسقف، إنه عائلة وملجأ للإنسان، إنّه عالم الإنسان الأول كما قال باشلار:« البيت جسد وروح وهو عالم الإنسان الأول».[2] وهذه الرواية لا تخلو من ذكر هذا الفضاء.

يعد بيت سيدي بلعباس أول بيت ذكر في الرواية فهو كان مسكن مريم وخضرة وعمها العباس قبل أن ينتقلوا إلى العاصمة رفقة اناطوليا، التي ساعدتهم كثير ا باستئجاره ونجد هذا في الرواية على النحو التالي:

«عندما أغلقت مدرسة سيدي بلعباس للفنون الجميلة، وصالة الرقص انتقلت أناطوليا إلى العاصمة ... وعندما استقرت ساعدتنا في الحصول على بيت دفعت أقساطه سلفا».[3] نبت الرقص عند مريم منذ نعومة أظافرها فبمجرد إغلاق صالة الرقص في سيدي بلعباس تركت المكان قاصدة فضاء أخر تشبع فيه عطشها وحبها لفن الرقص.

يعتبر منزل العباس جحيم مريم فهي لم تلق فيه أي اهتمام أو رعاية، فهو خال من العطف و الحب، لا حنان ولا حب فيه. فلقد حوله العباس إلى بيت بلا روح وكل شيء بالنسبة له حرام إلا ممارسة طقوسه، فتقول مريم عنه: «أريد أن أهرب من هذا البؤس الذي يلاحقني تصور معي هذه الحالة، رجل يدخل إلى البيت. ثم ينزوي في

---

[1]- غاستون باشلار: جماليات المكان، ترغالب هالسا، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسة والنشر والتوزيع، 1984 ص 36.

[2]-المرجع نفسه، ص 38.

[3]- واسيني الأعرج: سيدة المقام مراثي الجمعة الحزينة، ص 80.

حجرة نصف مضاءة. يضع نظّارته ...ثم يبدأ في تلاوة القران بشكل جنائزي. التلفزيون باعه صندوق الفتنة كما كان يسميه».[1] فالعباس حوّل المنزل إلى مكان للدروشة كما كانت مريم تقول، وتضيف أيضا: «الواحد صار يشتاق حتى للتنفس»،[2] أضف إلى كل هذا فقد حرمهم من تنظيف البيت وإزالة شبكة العنكبوت فحسب اعتقاده تنظيفهم يؤذي خلق الله. «حيطان الصالون صارت مثل الهيكل الميت. وعندما حاولت أن أنزع عش العنكبوت الذي ملأ الزوايا قال لي، تقول أمي، هذه مخلوقات الله لها حقها في الحياة مثلما لنا هذه الحق».[3]

فعم مريم لم يستطع أن يكون زوجا صالحا ولا عما تعتمد ابنة أخيه عليه، حتى عندما وقع زلزال العاصمة أبقى زوجته خضرة في المنزل كي لا يراها أحد بينما، كان هو أول من يفر إلى الخارج وتقول مريم عن هذا: «طلب من أمي أن تبقى في البيت خوفا من أن يراها الضائعون في الشوارع...جارنا الذي يسكن في الطوابق العليا أنزل معه ابنه ...وأبقى الأم وبناتها الخمس في البيت داخل موجة الذعر خوفا من سقوط الأسقف والحيطان».[4] وهذا ما يعني أن كل من العباس والجار مارسا عنفا نفسيا على زوجاتهم وبناتهم من جهة ومن جهة أخرى نلاحظ سيطرة الهيمنة الذكورية التي تكون هي الآمرة والناهية في هذا المجتمع.

عانت مريم من أبيها أو عمها كثيرا، وعندما تقدم حمودة لخطبتها قبلت به لأنها كانت تظنه الخلاص والمنقذ من بيت عمها، إلا أن هذا الزوج زاد الطين بلّة وأفقدها لذّة العيش والحياة. وذاقت من كأس المرارة كثيرا وأصبح ذلك البيت- بيت حمودة- كالمقبرة بالنسبة لها، لا تتنفس فيه أبدا حتى تخرج منه، وتقول في هذا الشأن : «عندما أصل إلى الباب الخارجي أتنفس بعمق هواء المدينة، حتى ولو كان مؤكسدا

[1]- واسيني الأعرج: سيدة المقام مراثي الجمعة الحزينة، ص 87.
[2]- المصدر نفسه، ص 87.
[3]- المصدر نفسه ، ص89.
[4]- المصدر نفسه، ص88.

فهو أفضل من البيت الذي يتحول حينما تعمه موجة الصمت إلى قبر كبير واسع جنازة يومية».[1] فمريم تفضل هواء الشارع الملوث على بيت زوجها.

لم تكن أفعال زوج مريم حمودة محمودة، ولم يتحقق حلم مريم فقد كان هذا الزوج نسخة من العباس، إذ أنّه لم يضف إلا الوجع والحزن والكآبة لحياتها، حتى أصبحت لا تستحمل البيت وتراه سجنا .«البيت ضيق كالحبس».[2] لم تستطع أن تتحمل ذلك السجن فتركته مباشرة عندما ألقى يمين الطلاق عليها.

وعلى نقيض ذلك نجد بيت الأستاذ الذي يعد مكانا منفتحا بكل ما للكلمة من معنى، فهو البيت الحقيقي للبطلين، إذ فيه يجيدان الراحة النفسية والجسدية. فهو الفضاء الذي تقضي فيه مريم وقتا جميلا مع صاحب البيت – أستاذها- .ومن المواضيع التي تثبت أن مريم تكون في أغلب أوقاتها في هذا البيت مستمتعة رفقة حبيبها نذكر:

«قالت وهي في الصالون تتفحص اللوحات الحائطية الكبيرة، تمعنت في إحداها باهتمام كبير ...اللون الأحمر يطغى عليها ويتمدد مع الأصفر...».[3]

وتضيف قائلة عن جمال البيت: «بيتك جميل .

-أيّ جمال؟ حجرة نوم متداخلة مع مطبخ صغير لا يوجد إلّا هذا الصالون شكلته حسب ذوقي».[4] أعطى الراوي وصفا هندسيا لبيته الذي كانت لمساته بادية عليه، ورغم عدم اقتناعه بمدى جماله إلّا أنّه اعتبره ملجأه الذي يقدم له السعادة وراحة البال أمام الضوضاء الذي يحدث في المدينة، فيقول مخاطبا مريم: «يجد المرء نفسه في حاجة إلى مكان فيه قليل من الفرح والسعادة، أجد بعضا من هذا داخل هذا المنفى

[1]- واسيني الأعرج : سيدة المقام مراثي الجمعة الحزينة، ص 91.
[2]- المصدر نفسه، ص135.
[3]- المصدر نفسه، ص 60.
[4]- المصدر نفسه، ص 61.

الـذي اسـمه البيـت». [1] فواسـيني الأعـرج اعتبـر بيتـه منفـاه وملجـأ السـعادة والراحـة خاصـة وأنّـه صـممه حسـب ذوقـه، ورغـم اخـتلاف وجهـات النظـر بينـه وبـين مـريم حـول جمالـه إلا أنّ لـه فضـل كبيـر عليـه فقـد أنسـاه همـوم الحيـاة وتثاقلهـا. كمـا أنّـه جمعـه مـع مـريم ليقضـيا أجمـل الأوقـات، ويشـبعا رغباتهمـا الجنسـية. ومـن الاقتباسـات التـي نسـتمدها من الرواية تبين كل هذا نذكر:

«- ناولني لباسي .

- من يناول من؟

ثم بدأنا نتأمّل الألبسة المنتشرة داخل الحجرة الضيّقة. سروالي عند النّافذة. لباس اللّيّناج الأسود فوق الزربية المغربية مكوّما بشكل فوضوي... ».[2] وهذا ما يعني أن كلا البطلين أقضيا الوقت معا محاربين حراس النوايا الذي يعتبر مثل هذه الأفعال مخلة بالحياء وأنها حرام خاصة مريم التي ستأخذ صفة الزانية الفاجرة.

كما نجده يقول في موضع أخر واصفا أفعال مريم معه:« انزلقت ورائي إلى الحمام لغسل وجهي وهي تقبض على خصري ...انحنت رأسها على كتفي ...»،[3] مريم كانت الظل للأستاذ فأينما حلّ كانت هناك فقد أحبته إلى درجة لا يمكنها الابتعاد عنه أبدا فهو الهواء الذي تتنفسه والعكس صحيح، فكلاهما لا يستطيع الاستغناء عن الأخر.

2-2-2 مستشفى مصطفى باشا شاهد على العنف:

عبـارة عـن مكـان لعـلاج المرضـى، إذ يحظـون بالعنايـة اللازمـة والاهتمـام. والمستشـفى المـذكور فـي الروايـة هـو مستشـفى مصـطفى باشـا الـذي يرافقنـا منـذ بدايـة الرواية إلى آخر صفحة فيها.

[1]- واسيني الأعرج : سيدة المقام مراثي الجمعة الحزينة، ص 62.
[2]- المصدر نفسه ، ص 116.
[3]- المصدر نفسه، ص 161.

يعتبر هذا الفضاء المكان الذي عولجت فيه بطلة الرواية مريم التي أصيبت بإطلاق ناري في الرأس، وهو المكان نفسه الذي دمّر حياة الأستاذ وقضى عليها لأنّه سرق منه زهرته " زهرة الأوركيدا" وسيدة المقام وحبيبته. فهو ذلك الفضاء الذي ماتت بداخله مريم.

ويتجلى فضاء المستشفى في الرواية على النحو التالي:

«بدأت أتأمل حيطان المستشفى. مستشفى" مصطفى باشا"، عال،عال، يبحث عن سماء ضيعت ألوانها الأصلية وحالت فجأة مثل خرقة بالية».[1]

ذهب الراوي ليصف المستشفى ويعطيه بعدا هندسيا مبينا صغر حجمه أمامه قائلا: «المستشفى واسع وأنا صغير عند مداخله الخشنة، ...تملؤني الحيطان البيضاء، والوجوه المرتعشة التي تعلق أحلامها على شفتي طبيب أو طبيبة راحة الأدوية والسيروم والمراهم والأنفاس المتقطعة... والأبواب التي تفتح وتغلق بسرعة مذهلة الوجوه التي تدخل وتخرج تاركة وراءها ظلالا من الخوف».[2] هنا ذهب الروائي ليصف المستشفى ويصف أولائك الذين ينتظرون بصيص أمل على لسان الأطباء، إذ كان هو واحدا منهم فقد تمنى أن يدخل مع مريم في إغفاءة الموت.

كما نجد الراوي يضيف عن هذا المستشفى بقوله: «صرت بعيدا عن المستشفى الذي يقتل الناس في المدينة مستشفى مصطفى باشا غاب وسط هذا الفراغ».[3] سببّ موت مريم للراوي صدمة كبيرة، فنجده عمم موتها على كل الناس. واتهم المستشفى بذلك مما يعني أن مريم لم تكن طالبته أو حبيبته فقط، فلقد كانت عالمه الصغير وهواؤه. كما اتهم المستشفى بالقتل ووصفها بالغول الذي يأكل ولا يشبع « مريم أين

[1]- واسيني الأعرج: سيدة المقام مراثي الجمعة الحزينة، ص7.
[2]- المصدر نفسه، ص 7- 8.
[3]- المصدر نفسه، ص 23.

أنت وسط هذه الصرخات المنبعثة من البيوتات الصغيرة داخل هذا المستشفى كفم الغول».[1] فهذا المستشفى مصدر حزن ودموع وكآبة الأستاذ.

2-2-3- مركز الشرطة دلالة على التسلط:

عبارة عن مكان لردع المجرمين بكل أنواعهم رغبة التحقيق معهم. وقد عُرف قديما عن الشرطة أنّها الحامي و المدافع عن الشعب والمضحي من أجله ومن أجل بلده، فطالما سعت من أجل توفير الراحة والأمن والأمان لأبناء وطنها، لكن ما نجده في هذه الرواية العكس تماما، إذ أنها غيرت من مفهومها الأصلي وكونها الحامي المدافع عن البلد لتكون أول من يهدد استقرار وأمن الوطن. حيث نجدها دائما تقف عاجزة أمام أفعال بني كلبون أو حراس النوايا وحتى عندما قامت جماعة من الشباب بسرقة منزل أناطوليا لم تفعل شيئا سوى غلق ملف القضية.

«تعرض بيت أناطوليا للسرقة وتقدمت بشكوى للشرطة قالوا لها البلاد هكذا...عندما نقبض عليهم سنتفاهم معهم ثم أغلقوا الملف».[2] لم توفر الشرطة الحماية اللازمة لها وهذا ما سمح للمجرمين بالتمادي معها، وقتل كلبتها إضافة إلى التهديدات التي تصلها.

تنفذ الشرطة في هذه المدينة أوامر حراس النوايا مباشرة دون أن تسأل وتستفسر عن مجريات الأحداث، إذ نجدها تقوم بإغلاق صالة الرقص مباشرة عندما قامت السلطة بإصدار الأمر. وهذا ما يوضحه السارد الذي يقول: «أوقفت السيارة على الرصيف ..واتجهنا نحو الصالة ...الطريق المؤدي إليها مغلق بالناس والمتاريس التي وضعها المدنيون...الشرطة في بلادنا هذه وظيفتها، كلما تعقدت الأوضاع تتلقى الأمر بإخلاء المكان، حتى صارت تلقائيا تخلى الأمكنة كلما شعرت بالخطر».[3] لم تؤدي الشرطة في هذه المدينة مهمتها الحقيقية المتمثلة في

[1]- واسيني الأعرج: سيدة المقام مراثي الجمعة الحزينة، ص 13.
[2]- المصدر نفسه، ص42.
[3]- المصدر نفسه، ص175.

الوقوف مع الحق وردع كل من يخرج عن القانون أو يتسبب في خلخلة أمن الشعب والوطن. بل نجدها تقف مكتوفة الأيدي أمام سلطة حراس النوايا، وإنّما تعمل على راحتها ومساعدتها، إذ أنها سهلت عمل حراس النوايا ورئيس البلدية وقامت بإخلاء صالة الرقص وتعميرها بضحايا الزلزال، متلقية الأوامر من هذه السلطات. «وصلت سيارة الشرطة كانت ممتلئة بدؤوا يحوّطون المكان من أجل تسهيل مهمة البلدية ورئيسها الذي كان يسبقهم و يعطي التعليمات».[1]

ناهيك عن أنّ الشرطة تتلقى الأوامر من الشرطة الإسلامية أو حراس النوايا، فإنها أيضا تتلقاها من رئيس البلدية كما يمكن أيضا أن تتلقاها من أصحاب النفوذ والجاه. وكل من له سلطة وقوة.

مارست الشرطة الإسلامية - حراس النوايا- عنفا نفسيا وآخر جسديا على الأستاذ الجامعي. ونجد هذا في واضحا على لسان الأستاذ فيقول:

«الكل جمع داخل صندوق السيارة المشبك مثل سيارة الشرطة أنزلونا بعنف كبير

- يا الله بسرعة يا خنازير

.....أدخلني أحد حراس النوايا إلى عمق مكتب الضابط. وجدت نفسي أمام شرطي بلبس مدني.».[2]

ويقول أيضا: «ثم أغلق باب الكوميسارية في أنفي بعد أن دفعني عبر الأدراج بقوة. كدت أسقط على وجهي. عندما رفعت رأسي وجدت نفسي وجها لوجه مع الرجل الذي أوقفني، بلحيته الطويلة السوداء وملامحه اليابسة. تأملني بنوع من الكراهية.

-... شيوعي. خلصت رشوت البوليسي ولهذا أطلقوا سراحك !».[3]

---

[1]- واسيني الأعرج: سيدة المقام مراثي الجمعة الحزينة، ص 178.

[2]- المصدر نفسه ، 189.

[3]- المصدر نفسه، ص 191 .

تعرض الأستاذ الجامعي للعنف والطرد والشتم من قبل رجال الشرطة وحراس النوايا كثيرا، ولم يستطع الدفاع عن نفسه لأن الإسلاميين لا يسمحون بفرصة التكلم والشرح، فهم دائما على حق وأي شيء خارج نظامهم فهو مخالف لشريعة الله.

استطاع الروائي واسيني الأعرج أن ينقل لنا واقع المجتمع الجزائري في فترة العشرية باستخدام أماكن حقيقية مستوحاة من عمق هذا الواقع الأليم.

ج: البعد الأيديولوجي للأحداث:

الأحداث هي سلسلة من الوقائع المسرودة سردا فنيا، وهي ما تقوم به الشخصيات في حدود المكان والزمان، فالأحداث هي مواقف وانكسارات وانتصارات التي تتكون منها الرواية، والكاتب يتمتع بحرية تامة في اختيار اللحظة التي يبدأ منها الحدث، «يعد الحدث في الرواية بمثابة العمود الفقري الذي تقوم عليه بنيتها، فالروائي ينتقي بعناية واحترافية فنية الأحداث الواقعية أو الخيالية التي يشكل بها نصه الروائي، فهو يحذف ويضيف من مخزونه الثقافي ومن خياله الفني ما يجعل الحدث الروائي شيئا مميزا مختلفا عن الوقائع في عالم الواقع».[1]

رواية سيدة المقام تعج بالأحداث الهامة التي تدل على واقع الجزائر، ولكل هذه الأحداث بعدها الإيديولوجي بما أن الفترة الزمنية التي تتناولها هي فترة حرجة عرفها المجتمع بأكمله.«سيدة المقام هي أنشودة من أناشيد الموت والحياة. مرثية ل "مريم" وللسارد بطل الرواية وهي أنشودة الأناشيد ومرثية المراثي الجمعة الحزينة كغيرها من الروايات الجزائرية التي بنت أسسها المرتكزة على وضع البلاد بعد

[1] - بعيطيش يحي: خصائص الفعل السردي في الرواية العربية الجديدة، مجلة كلية الآداب واللغات، ع8، جامعة منتوري - قسنطينة - 2011، ص 06.

الاستقلال، وما عايشه المجتمع من قهر الجماعات المسلحة تحت شعار الإصلاح وإعادة الأمجاد».[1]

تطرق واسيني الأعرج في روايته إلى أحداث تاريخية مهمة، تتمثل في تاريخ الجزائر ما بعد الاستقلال، فقد عرفت الجزائر تحولات وصراعات عديدة وأبرزها الصراع حول السلطة بين أصحاب النظام والجماعات الأصولية.

تدور أحداث الرواية بين مدينتين من مدن الجزائر، مدينة سيدي بلعباس والجزائر العاصمة، فواسيني قد أخذنا في رحلة بين زقاق هاتين المدينتين، وقدم لنا الأحداث في قوالب روائية متمكنة عشنا معها الأحداث الكبرى وحتى الثانوية للرواية، هي أحداث شهدتها الجزائر في بداية التسعينات.

الحدث المركزي هو ما عاشه المجتمع الجزائري في هذه الحقبة الزمنية، حيث سيطرت الجماعات الأصولية على المجتمع وأثرت على واقعه فهدموه، يقول الراوي: «الدنيا تبدلت وغزاها الجراد يأكل الأخضر واليابس».[2]

منذ بداية الرواية وضعنا واسيني الأعرج أمام واقع الجزائر في شقيه: الاجتماعي والسياسي، وهو واقع مرير قد عانى منه الأستاذ وصديقته مريم، فمريم هذه لا يمكن اعتبارها شخصية إنسان وفقط، إنما هي رمز يوحي إلى الوطن (الجزائر) فمريم شخصية محاربة رافضة لأفكارهم ومعتقداتهم وصورة اغتصاب البلاد تمثلت في صورة اغتصاب هذه الفتاة بوحشية، فهي شخصية تمثل أمة وتاريخ وحضارة.

بدأت القضية في يوم 7أكتوبر 1998 حيث أصيبت مريم برصاصة في رأسها يقول الأستاذ:«رصاصة «الجمعة 7أكتوبر من خريف 1998»، رصاصة بلا معنى

[1] - مجموعة من الباحثين: الأدب المغاربي اليوم - قراءات مغربية- ط1، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2006، ص189.

[2] - واسيني الأعرج: سيدة المقام مراثي الجمعة الحزينة، ص133.

كغيرها من الرصاصات الكثيرة التي اخترقت صمت المدينة في تلك الأيام رصاصة اخترقت صمت المدينة في تلك الأيام رصاصة خرجت من مسدس لا يعرف صاحبه مطلقا إنه هو صاحب الكارثة»،[1] تلقت مريم هذه الرصاصة إثر محاولتها لإنقاذ شاب كان ضحية الصراع الذي احتدم بين هؤلاء الأطراف.

أصرت مريم على إكمال مسيرتها الفنية رغم معرفتها خطورة هذا القرار، إلا أنها كانت فتاة محاربة تحدت الموت والصعوبات، ووقفت أمام وجه السلطة الغاصبة المتمثلة في حراس النوايا والذين أقدموا على إغلاق الصالات المخصصة للرقص، وإنما هذا التصرف من قبل الجماعة زاد من رغبة مريم بإتمام مسارها الفني، واسترجاع الحرية والتخلص من هيمنة هؤلاء فقد قالت متحدية: «شهرزاد من دمنا الميت، سأرقصها ولو قطع رأسي سأرقصها هنا في هذه الأرض المحروقة بتصحرها المزمن».[2]

تنتقل الأحداث من مدينة سيدي بلعباس إلى مدينة الجزائر العاصمة أين تنعم مريم بالقليل من الراحة مع أستاذها وصديقتها أناطوليا، إلا أنّ هذه الأخيرة تضطر للرحيل بعد تلقيها للعديد من التهديدات.

موت مريم كان أكثر الأحداث فاجعة في الرواية، فقد تعرضت لنزيف دماغي بسبب عنادها في تأديتها لمقطوعتها المفضلة، فقد أسعفت إلى مستشفى "مصطفى بشا" أين صارعت الموت وكان معها حبيبها الأستاذ لتودعه في نهاية المطاف لتغفوا إغفاءتها الأخيرة فموت مريم يعني موت الوطن وموت جميع الآمال والأحلام في غد أفضل.

«تموت مريم رمز المدينة في النهاية، وتموت بذلك المدينة وتتساقط أوراقها كأوراق الخريف ويغادرها الأبطال مجبرين فارين من كل الندوب التي لحقت بها

[1] - واسيني الأعرج: سيدة المقام مراثي الجمعة الحزينة، ص08.

[2] - المصدر نفسه، ص 134.

وكان ذلك عند الكاتب تعبيرا عن رفض الواقع المعيش، واقع المثقف المليء بالضغوطات من كل جانب، هي ذي المدينة (الوطن) تختزل في مريم في حياتها في مأساتها وفي صراعاتها مع الحياة حتى في موتها».[1] فاغتيال مريم لم يكن مجرد اغتيال لراقصة البالي فحسب، إنما هو اغتيال للوطن بأسره، اغتيال للحرية والتحرر. فقد خلّفت ورائها المعاناة والألم والفقدان.

تنتهي الرواية بصدمة البطل بعد موت رفيقة دربه، وبضياعه في شوارع الجزائر بعد خروجه من مستشفى "مصطفى باشا" أين لفظت أنفاسها الأخيرة، ضياعه هذا يقوده إلى جسر "تليملي" المتواجد في إحدى ساحات المدينة، أين يرمي البطل فصول روايته من فوق الجسر يائسا من جدوى الكتابة في مجتمع لا يقرأ ولا رغبة له في القراءة أصلا، فيلقي الرجل الصغير كما لقبته مريم بجسده المتآكل من أعلى الجسر«جسدي يتدحرج في الهواء. أقبض على المقابض الحديدية بقوة، أكرّ على أسناني، أرفض أن أرى الهوة مرة أخرى، أغمض عيني، ليكن الدنيا تعاش بقوة أو ترمي دفعة واحدة».[2]

إن أغلب أحداث الرواية مبنية على حقائق عاشها أبناء المجتمع الجزائري، كتكفير المجتمع المدني والرغبة ببناء خلافة إسلامية والقضاء على النظام الفاسد الذي يلهث وراء السلطة والسيادة، ويمكننا تقسيم أحداث هذه الرواية إلى نوعان «أحداث رئيسية وأخرى ثانوية فالأولى لا يمكننا حذفها إلا وأحدثت فجوة في البناء السردي، عكس الأحداث الثانوية التي لا يؤدي حذفها إلى أي خلل أو نقص، إنما

[1] - طويل سعاد: المدينة في رواية "سيدة المقام" لواسيني الأعرج، مجلة المخبر، ع4، قسم الأدب العربي، جامعة بسكرة، 2008، ص249.

[2] - واسيني الأعرج: سيدة المقام مراثي الجمعة الحزينة، ص240.

الأحداث الكبرى بفعل رواية تتضمن أحداثا تشكل النواة الأساسية للرواية، وأحداثا أخرى تكون ثانوية وتتداخل مع الأحداث الأساسية لتشكيل نسيج روائي».[1]

1- الأحداث الرئيسة الكبرى:

رواية سيدة المقام رواية تعج بالأحداث، التي نقلت لنا واقع الجزائر في فترة زمنية معينة، أين احتدم الصراع على الحكم والسلطة بين النظام والأصوليون، هذا الصراع نقله لنا الروائي عبر أحداث رئيسية محورية هي من كانت تحرك عجلة تطور ونمو السرد وهي:

1/1- أحداث 7أكتوبر 1998:

في هذا اليوم بالذات أصيبت مريم برصاصة في رأسها إثر الصراع الذي قام بين رجال الأمن والأصوليين، فحاولت إنقاذ شاب إلا أنها أصبحت هي الضحية، يقول الأستاذ:«إنه تاريخك يا مريم اليوم الذي ثقبت دماغك رصاصة. التاريخ الذي كان يفترض أن يكون فيه يوم موتك ولكنه لم يكن، قال لك الأطباء لا خيار لديك سوى أن تتعايشي مع الرصاصة التي اخترقت دماغك».[2] استقرت الرصاصة في رأس مريم متحدية إياها، ومزعزعة لأحلامها وأمنياتها، فالرصاصة تنادي بالموت وتمشي عكس التيار ساكنة في رأسها تتطلب منها البقاء ساكنة خاملة بدون حركة لكي تعيش، ولكنها تعاند الموت بالموت متحدية ظروفها الصحية ولا تبالي بالموت، المهم عندها أن ترقص مقطوعة "شهرزاد".

[1] - أحمد العدوالي: بداية النص الروائي لمقاربة تشكل الدلالة، ط1، المركز الثقافي العربي، النادي الأدبي بريض، 2001، ص 257.

[2] - واسيني الأعرج: سيدة المقام مراثي الجمعة الحزينة، ص10.

2/1- محنة الاغتصاب:

قبلت مريم بحمودة زوجا لها اعتقادا منها أن ثقافته وقلبه الطيب سيشفعان لها وقت الأزمة إلا أنها صدمت بواقع مرير، فالجنس هنا يلقي كلمته ليصبح سبب مأساتها الوجودية، فالمرأة في مثل هذا الوطن لا تصلح إلا لردم الرغبات الجنسية، فالجنس هو الوعاء الذي يعكس ما بداخل حمودة، فهذا المجتمع ينبني على تقاليد تشرع للذكر أن يسيطر على المرأة منذ أول لقاء بينهما، فيندفع الرجل بقوة مغتصبا عروسه، فزوج مريم ربطها إلى السرير وضاجعها بشكل حيواني مقرف، فحمودة اغتصب مريم بكل وحشية حيث تقول:«تحسست جسدي، رأيت بقع الدم وآللزوجة اليابسة تلتصق بفخذي، أغلقت باب الحمام وبكيت بصمت طويلا بدون دموع».[1] هذه الحادثة قد أثرت على نفسية مريم، فهي بصمة يصعب نسيانها أو تجاهلها.

3/1- رحيل أناطوليا:

عانت هذه المرأة الأجنبية من ظلم واستبداد السلطة، فقد حاربوها بكل الوسائل، فبعد قتل كلبتها وتكسير أسطواناتها وتهديدها بالقتل إن لم ترحل «عودي إلى بلادك أيتها الشيوعية القذرة»،[2] فاضطرت إلى العودة إلى بلادها فهذه المرأة الأجنبية لم تسلم مثلها مثل مثقفي الوطن من التهديدات وسوء المعاملة.

4/1- موت مريم:

كانت مريم نموذج للمرأة المثابرة المتفائلة والحالمة، فهي كثيرة العزيمة لم تتنازل عن حلمها رغم إصابتها ورغم إدراكها لخطورة هذه الإصابة، فالرصاصة الساكنة في رأسها لطالما كانت مصدر تهديد وقلق لمريم، إلا أن عنادها حال دون سماعها لنصائح الطبيب المشرف على حالتها، فقد عزمت على تأدية رقصة

[1] - واسيني الأعرج : سيدة المقام مراثي الجمعة الحزينة، ص 98.
[2] - المصدر نفسه، ص41.

"شهرزاد" ولو كلفها هذا القرار حياتها، وهذا ما حدث بالفعل فقد أدت هذه المقطوعة والتي تطلبت الكثير من الجهد والحركة إلى موتها، فقد تحركت الرصاصة في رأس هذه البطلة الشغوفة بالفن والرقص، وسقطت أرضا، أسعفت إلى المستشفى أين لفظت أنفاسها الأخيرة يقول الأستاذ:«الموت يبدو سهلا في هذه البلاد الكئيبة حتى وأنا أرى صديقي الطبيب الفلسطيني ينزع الخيوط التي كانت تعطيك الحياة، كان من العسير علي أن أصدق ما حدث»،[1] ماتت مريم ومات معها الأمل، وانهار الأستاذ بعد فراقها.

5/1- انتحار الراوي وموت المدينة:

بعدما أصبح المثقف في هذا البلد منعزل لا شأن له فمثله مثل القمامة، فقد عرف مثقفو هذه الفترة الزمنية العنف والتهميش، فقرر هذا الأستاذ وضع حد لحياته والانسحاب من هذا البلد التي ضيق حدود وآفاق المثقف، ويأس البطل من هذه الحالة، وازداد يأسه أكثر بعد موت مريم زهرة المدينة كما سماها إذ يقول عنها:«كانت مريم وكانت الدنيا، وردة هذه المدينة وحلمها، وتفاحة الأنبياء المسروقة في لحظة غفلة، رعشة المعشوق»،[2] فمريم في كفة والدنيا في كفة أخرى، وبعد رحيل مريم لم يبق للأستاذ أي أمل في الحياة والاستمرار، فألقى بنفسه من فوق جسر عالي، وقبل أن ينتحر ودع مدينته الجميلة فقال: « وداعا يا مدينتي الجميلة، فقد كنت أحبك كثيرا...وداعا للزرقة وللبحر الذي لم ينس موجه»،[3] فنهاية الأستاذ كانت نهاية مأساوية مماثلة لنهاية مريم.

[1] - واسيني الأعرج: سيدة المقام مراثي الجمعة الحزينة، ص13.
[2] - المصدر نفسه، ص08.
[3] - المصدر نفسه، ص 236- 237.

2- الأحداث الصغرى:

لقد تخلّلت الأحداث الرئيسة الكبرى أحداثا ثانوية صغرى ساهمت هي بدورها في تشكيل النسيج الروائي وبنائه بشكل محكم وهي:

1/2- وفاة والدها:

لطالما ظن لحسن أن لحظة الاستقلال لحظة خالدة، إلا أنها كانت لحظة غدر واغتيال فتقول الرواية «خرج ليلا من يومها لم يعد أبدا، وعندما حاول أن يدخل القرية بعد شهرين قيل له أن الاستقلال على الأبواب، فقتلته المنظمة السرية O.A.S».[1] هذا أحد أوجه الحكاية إلا أن الوجه الآخر يقول أنه انتحر بعد سماعه لقصة تزويج الأهل لزوجته من أخيه (العباس) فـ«عندما عاد وجد زوجته قد تزوجت، وعندما كانت البلاد تحتفل بأعيادها كان هو يتدلى على شجرة الخروب الوحيدة على أطراف القرية».[2] وفي كلتا الحالتين نشأت مريم دون أن تعرف والدها، إذ أنها تربت في كنف عمها الذي تزوج والدتها بحكم الأعراف والتقاليد.

2/2- زواج والدتها من عمها:

حكمت التقاليد على أم مريم الزواج من عباس أخ لحسن الصغير بعد اغتياله من طرف المنظمة السرية، إذ قالت لها حلومة:«هذا مقدورك وزهرك، ادعي الله بالتسخير»،[3] فأم مريم هي نموذج للمرأة النمطية التي تقبل بالواقع وترضخ له، فلا تراها تناقش كثيرا في المسائل، فعاشت معه ورضخت لطلباته وتحملت مزاجه المتقلب، حتى أنها لم تتركه بعدما انظم إلى صفوف الجماعات الإسلاموية أين أصبح شخص متعصب وزاهد حتى في أساسيات الحياة

[1] - واسيني الأعرج: سيدة المقام مراثي الجمعة الحزينة، ص71.
[2] - المصدر نفسه، ص 78.
[3] - المصدر نفسه، ص 72.

ولوازمها. بالإضافة إلى هذا الحدث هناك أحداث ثانوية عرضها الراوي لا لسبب وإنما لتوسع رؤيا الأحداث.

رواية سيدة المقام تلامس بكثير من الجرأة والعمق ما عاشته الجزائر في الحقبة الدموية، وتطرح قضية خالصة إذ تناول فيها واسيني الأعرج أزمة الهوية والذات، وكل المتناقضات التي عرفتها الساحة السياسية في هذه الفترة.

هـ - إيديولوجية رواية سيدة المقام:

تَعرف الإيديولوجيا في اللغات الأجنبية بعلم الأفكار، ويذهب عبد الله العروي ليضع هذا المصطلح في الميزان الصرفي ويصغه على وزن أفعولة وبالتالي يتوصل إلى كلمة أدلوجة المرادفة لمصطلح علم الأفكار.

ويذهب العروي في كتابه الإيديولوجيا ليعرفه على النحو التالي: « الحزب الفلاني يحمل أدلوجة ونعني بها مجموع القيم والأخلاق والأهداف التي ينوي تحقيقها على المدى القريب والبعيد... الحزب الذي لا يملك أدلوجة هو ...حزب انتهازي، ظرفي لا يهمه سوى استغلال النفوذ والسلطة».[1] أي أنّ الإيديولوجيا مرتبطة بالأحزاب ومنه نتساءل ما هي الإيديولوجيات الموجودة في الرواية وما هي الأهداف التي تسعى لتحقيقها يا ترى؟

1- إيديولوجية الحزب الواحد "بنو كلبون" :

يعجز قارئ رواية سيدة المقام، التميز بين سلطة بني كلبون وبين حراس النوايا فكليهما سيطرا بطريقة قمعية إجحافية على الوطن، لكن الاختلاف الوحيد بينهما أنّ

[1]-عبد الله العروي: مفهوم الإيديولوجيا، ط 8، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب،2012، ص 8- 9.

سلطة حراس النوايا تختبئ وراء ستار الدين عكس بنو كلبون التي مارست جبروتها ونفوذها وقوتها على الشعب بعيدة عن الدين.

تذهب سلطة بنو كلبون الغاشمة للسيطرة على الشعب والحكم عليهم بممارستهم لكل أنوع العنف والقتل والنهب، رغبة في تحقيق مصالحها الشخصية على حساب مصالح الشعب، فهي دائما تسعى وراء الجاه الطويل والعريض ونجد هذا واضحا في الرواية على النحو التالي:

«السلطة تتخلى عن كل شيء لفقهاء الظلام بالأساس لا يختلفان في الجوهر، بنوا الفيلات سرقوا خزائن الوطن، فتحوا حسابات بنكية في البلدان البعيدة ... العداوة ازدادت والسلطة لو تغسل بالجافيل لن تستعيد جزء من مصداقيتها».[1] لقد كونت هذه السلطة معرفة مسبقة لدى الشعب، فقد أصبحوا على يقين أنها الآمر الناهي وآكل خيرات وثروات البلاد، تاركين الشعب غارق في دوامة الفقر والجوع، الظلم والإجحاف، فهي دائما ما تهتم بما يناسبها فقط محاولة في ذلك إسكات الشعب عامة والنخبة المثقفة خاصة مدعية الديمقراطية والمساواة. لأنهم يعتقدون أن المتعلم عبارة عن معضلة وذلك أن هذه الفئة تعي مجريات الأحداث كلها. ويذهب راوي الرواية ليكشف هذا بقوله: «بنو كلبون سحقوا العقول، وقالوا رجل يفكر معناه مشكلة إضافية، ولكنهم كانوا يعبدون الطريق لحراس النوايا الذين يقولون رجل جاهل، رجل مضمون».[2] وهذا ما يعني السلطة أرادت إضلال الشعب وإبقاءه جاهلا.

لم تقف سلطة بني كلبون عند هذا الحد فقط، وإنّما مارست عدة مجازر في حق هذا الشعب، الذي أصبح مجبرا على السكوت والتزام الصمت، لأنّه لو صادف وعبر عن خلجاته فمصيره حتما سيكون إما ممارسة العنف عليه أو القتل على يدي هذه السلطة الغاشمة، ويظهر هذا في الرواية على لسان الطبيب الفلسطيني الذي يقول: «سأقدم شهادتي أمام لجنة حقوق الإنسان واللجنة المضادة للتعذيب سأقول أنهم

[1]- واسيني الأعرج: سيدة المقام مراثي الجمعة الحزينة، ص 138.

[2]- المصدر نفسه، ص 183.

استعملوا الرصاص الانفجاري أنهم منعونا من تسليم الجثث لذويها وأنهم أجبرونا على كتابة الأسماء على توابيت محشوة بالقطن والمفاصل الممزقة لأناس مجهولين».[1] وهذا ما يعني أن بني كلبون يمارسون سياسة القمع أولا، ثم سياسة الخداع والاحتيال على الشعب ثانيا. فبعد أن تقوم بالعملية الانفجارية ستوهم الشعب ببراءتها وأنها ساعدتهم وحفظت الجثث وسلمتها لأهلها.

كما تذهب هذه السلطة لتّوسع هوة وفجوة الفراغ لتشغيل الشعب وإبعادهم عن السياسة والسلطة، وذلك عن طريق كتب السلاطين والدروشات، وخير دليل على هذا ما ورد في الرواية على النحو التالي: «ملؤوا المكتبات بالمطبوعات التي تستعيد الخرافات والدروشات. قالوا ليعيش الفراغ أحسن من أن يفكروا في السلطة».[2] لأنّ الشعب إن اهتم بمثل هذه الأمور لن يكون له مزيدا من الوقت للتفكير في السلطة وأفعالها.

وما يخوف الشعب أكثر خاصة بطل الرواية هو فرار هذه السلطة الظالمة بعد استحواذها على كل خيرات البلد، تاركة الشعب في مستنقع الفوضى والدم والفقر والديون واللاثقافة. ويقول الراوي في هذا الصدد: «أفظع ما أخشاه عندما تتعقد الأمور أن يركب المسؤولون طائرتهم الخاصة ويغادرون البلاد، بعد تركها في دماء الفتنة والحروب الأهلية. لا شيء يجمعهم بهذا الوطن المدينة تتهاوى وهم يلعبون على رؤوس المفردات والكلمات، أو من يدري قد يتحالف بنو كلبون وحراس النوايا على رؤوسنا».[3] إن تحالف كل من حزب بني كلبون وحزب حراس النوايا يؤدي ارتفاع نسبة الضحايا والدمار الشامل في كل الجوانب للبلد وبالتالي تعميق الأزمة من جهة ومن جهة أخرى تدني مستوى التعليم، والثقافة ستكون في الحضيض .

لقد غيرت سلطة بنو كلبون الموازين وجعلت الوطن في أسفل السافلين ويقول الراوي عنهم: «بنو كلبون قادوها للخراب».[4] فهذه السلطة غيرت البلد رأسا على

---

[1]- واسيني الأعرج: سيدة المقام مراثي الجمعة الحزينة، ص 37.

[2]- المصدر نفسه، ص 194.

[3]- المصدر نفسه، ص 42.

[4]- المصدر نفسه، ص 42.

عقب. فبسببها عمّ الفساد وساد الظلم والإجحاف، وتدهورت الأوضاع الاقتصادية، الاجتماعية والثقافية، ولم يبق للشعب إلا الرضوخ لإيديولوجيتهم التي بدؤوها بالعنف وستنتهي بالعنف أيضا، يقول الراوي: «بنو كلبون داروها وحراس النوايا كملوها علينا، يأكلون الزبل الذي زرعوه بلاد رأس مالية يسيرها طفيليون بمواثيق اشتراكية».[1] فواسيني أراد أن يكشف عن زيف و ألاعيب هذه السلطة الغاشمة التي طالما سعت وراء مصالحها وخدمتها موهمة الشعب بالبنود الكاذبة التي تحقق المساواة والعادلة بينهم، فيبدو أنّ الراوي فضح لنا فساد إيديولوجية سلطة بني كلبون.

2-إيديولوجية الأصوليون حراس النوايا:

لقد مرت على الجزار سنوات الجمر والدم، عان فيها الشعب الجزائري من حرب طاحنة بين أبناء الشعب الواحد، حيث خلفت العديد من الضحايا بسبب طائفة تختبئ وراء ستار الدين الإسلامي وتطبيق شرع الله. فمارست العنف والظلم بكل أساليبه وفي أحيان أخرى قامت بالقتل والنهب والاغتصاب باسم الجهاد في سبيل الله.

وقد كان كل هذا بسب الحقبة التي مرت على الجزائر فبعد أن كانت تحت قيادة جبهة التحرير الوطني، تغيرت الموازين بعد انتفاضة أكتوبر1988 لتدخل في التعددية الحزبية وتمكن الجبهة الإسلامية"الفيس" من الاستحواذ على كرسي السلطة بفوزها في الانتخابات. ثم مارست كل جبروتها وكل أعمالها الشنيعة لتدخل الجزائر في العشرية السوداء. وتقول كربيع نسيمة :« وعن الخلفية السياسية للعشرية السوداء أن الجزائر قد دخلت عام 1989 عهد التعددية الحزبية التي كانت من أهم تشكيلاتها الحزبية الأحزاب السياسية...وهكذا تأسست الجبهة الإسلامية للإنقاذ الفيس، كحزب سياسي استطاع حشد عدد كبير من الدعاة وأئمة المساجد، والأساتذة والطلاب...وما لبث العنف السياسي أن تحول إلى عنف دموي».[2]

---

[1]- واسيني الأعرج : سيدة المقام مراثي الجمعة الحزينة، ص 106.

[2]- كربيع نسيمة: أبعاد الصراع الإيديولوجي لشخصية الفنان في رواية بما تحلم الذئاب لياسمينة خضرا، مجلة الأثر، ع 14 جوان 2012، ص 26.

ونجد أن الروائي واسيني الأعرج ذهب في روايته هذه ليسلط الضوء على هذه الفئة التي تقتل وتسرق باسم الدين الإسلامي، ويطلق عليهم مصطلح حراس النوايا. كما أراد أن يبيّن إيديولوجياتهم القمعية الممارسة على الشعب خاصة على المثقف، فإن كانت سلطة بني كلبون تقول أن رجل يفكر معناه مشكلة فإنّ حراس النوايا ذهبوا ليقول :«رجل جاهل، رجل مضمون».[1] فحسب اعتقاداتهم أن كلما كان الإنسان جاهلا استطاعوا الاستحواذ على فكره وضمه إلى فئتهم ويتجلى هذا في الرواية على لسان الراوي الذي يقول:«من صفاتهم أنهم يقرؤون في عينك ما تفكر به ولا يهم إن كان صحيحا أو غير صحيح، فيجب أن تكون على خطأ بدون ثرثرة ...الحاكم لا يناقش، الحاكم ينفذ أمره. ثم تقبل يده البيضاء السخية، ويطلب غفرانها».[2]

نجد حراس النوايا دائما يرغمون الناس على السكوت والسماح في حقهم. كما ذهب الراوي ليصفهم بقوله: «عرفته من وجهه الذي تغلب عليه بعض السمرة البدوية، بين قسماتها شيء من الخوف تتدلى على خديه لحية كثة كادت تعطي وجهه بكامله، يلبس لباسا مدنيا قميصا فضفاضا و قبعة أفغانية ذات لون كاكي».[3] تميزت هذه الفئة بلباس وشكل خاص بها، حتى أصبحوا يعرفون بلحيتهم وهندامهم.

عرفت هذه الجماعات بحقدها على المرأة وممارسة العنف عليها إما قوليا أو جسديا، وفي أحيان أخرى يذهبون للقتل أو التعذيب. وهذا ما ورد في الرواية عن المرأة المطلقة التي أحرقوها مع ولديها بسبب شبوهاتهم الخبيثة، ونرى هذا واضحا في الرواية على النحو التالي «قبل أيام أحرقوا منزل أرملة تعيش مع ابنين بنت وولد وقبل أن تصل الشرطة كان الطفل قد تفحم، قيل أن سيارة مشبوهة كانت تزورها في الكثير من المرات وهي امرأة مطلقة كل العيون مصوبة نحوها».[4]

---

[1]- واسيني الأعرج: سيدة المقام مراثي الجمعة الحزينة، ص183.

[2]- المصدر نفسه، ص187.

[3]- المصدر نفسه، 187

[4]- المصدر نفسه، ص 34.

لقد عرفت جماعة الفيس بتمردها وأحكامها المسبقة خاصة على المرأة، فبسبب السيارة المشبوهة التي تزورها يوميا قاموا بقتلها دون البحث عن إذا كان قريبا لها أو فردا من أفراد عائلتها. ولم يكتفوا بشبّ أنيابهم بينهم، بل كرسوها عند الشباب الذين أصبحوا يشتمون ويسبون خلافا لما تقوله الشريعة، وتقول مريم عنهم:«الشباب في الطريق لايعاكسون بلطف ولكنهم يقتربون ويشتمون بصوت عال. في الطريق إلى المكتبة الوطنية كنت أنزل بسرعة جاء ورائي مجموعة من الصبية وهم يصرخون الله يلعن والديك يا ...، هاهي الكلبة الرومية استري نفسك يا وحد...»،[1] وورد في سياق آخر:«استري روحك يا امرأة».[2]

إضافة إلى كل هذا نجد أن زوج مريم السابق "حمودة " لم يكن بعيدا عن مؤامراتهم وإيديولوجيتهم التي تتمثل في الاستواء على عرش السلطة مستدلة بالدين، لكن ما نجده عند هذا الزوج مخالف تماما للشريعة الإسلامية، فناهيك أنه مارس كل أنواع العنف عليها نجده يشهد زورا في المحكمة بأنّ مريم كسرت باب بيته وأنها سرقت أغراضه ثم يطلق عليها أبشع الصفات والأسماء أمام القاضي وقد ورد هذا في الرواية كالتالي :

« كيف كسرت الباب يا بني؟

- واش عرفني .. ربما جاءت مع أمها وعمها.

- متأكد من أقوالك ؟

- عظام جهنم يا سيدي القاضي؟

- باب حديدي يكسر بيدها الله يهديك.

---

[1]- واسيني الأعرج : سيدة المقام مراثي الجمعة الحزينة، ص33.

[2]- المصدر نفسه، ص40.

- قادرة على تدمير حتى بيوت الله ...يا سيدي القاضي هذه ...وتستاهل الرجم، أنت تعرف بلي رقاصة».[1] لقد بالغ حمودة في الاتهامات التي وجهها لمريم، إذ حاول بكل ما في استطاعته أن يجعلها تبدو أمام القاضي امرأة عديمة الجدوى.

في سياق آخر يذهب الراوي ليكشف لنا تملق وزيف فقيه القرية، الذي دعا على حبيبته مريم دعوة سوء أولا، ولكونه لا يحترم عمره وينطق بالفاحشة ثانيا. فيقول في هذا الموضوع: «روحي راح يجي ليثقبك كي الشكارة».[2] فحتى الشيوخ لم تبتعد عن مثل هذه الألفاظ البذيئة، فهم يلبسون زي الطهارة والدين أمام الناس في حين كانوا أول من يمارس الزنا والمحرمات.

الأصوليون يزهدون ويتصوفون لإرضاء رغباتهم الجنسية، وليس لإرضاء رب الناس والعباد. ثم إنهم حرّموا الحرية الفردية والصحبة بين الرجل والمرأة، وكل شيء عندهم حرام ومخالف للإسلام. إلا الأمر الذي أرادوه فيكونوا أول السباقين لفعله وأداءه كممارسة الزنا مثلا، ويصفهم الراوي بقوله:« تصور الهستيريا التي أصابت هذه المدينة، أراهم يقفون على أطراف الشوارع والطرقات ...عيونهم حمراء مليئة بالعدوانية يطلبون الأوراق...ثم ينزلقون إلى الفراش تحمر عيونهم أمام مشهد العري، قومي يا وحد ...، تنامين في فراش غيرك دون وثائق؟ أين وثائق الزواج...بنت.....اتق الله يا رجل ....شوي للرب وشوي للعبد... يسحبها باتجاهه بقوة».[3] عرفت تصرفات حراس النوايا لدى الشعب الذي أصبح يقظا واعيا لكل شيء.

حراس النوايا يفرضون أوامرهم على الناس وينهون عن المحرمات في حين يذهبون ويكملون ما نهاهم عنه، فكما يقول المثل حلال عليهم حرام علينا.

---

[1]- واسيني الأعرج: سيدة المقام مراثي الجمعة الحزينة، ص 103.

[2]- المصدر نفسه، ص 90.

[3]- المصدر نفسه، ص 43.

فهذه الفئة حللت على نفسها كل المعاصي والمحرمات ورؤية جسد المرأة عاريا، وإشباع رغباتهم التي لا تكتمل أبدا، فحتى ولو كانت الزوجة رفقة زوجها يكتلونها بأعينهم الحمراء ويتمتعون بروائحهن الزكية، لكن كل هذا غير مسموح لبقية الشعب الذي يتعرض لعقوبات صارمة كالتعنيف القولي والضرب، كما حدث مع الأستاذ الذي يشرب الخمر. ونستشهد بهذا في الرواية على النحو التالي:

«الدفتر العائلي، من أنتم لستم شرطة

حراس النوايا يا حمار

هذا ليس كلام عاهدوا الله ...

هذا كلام ... طلع الورقة وإلا نقلع ...؟».[1]

لقد أصبح الكلام مع المافيا الجديدة، كما كان الراوي يقول لهم مستحيلا أو منعدما لأنهم لا يتركون فرصة للشرح والتفسير« قلنا راحوا بني كلبون جاتنا مافيا جديدة».[2] ويضيف أيضا ويقول: «يا رجل بني كلبون داروها وحراس النوايا كملوها علينا».[3]

كما يجب أن ننوه أنهم يدخلون إلى مجالس الاختلاط ويدّعون أنهم يرشدون الناس إلى الطريق المستقيم، وتعميق الإيمان في قلوبهم. ويظهر هذا في الرواية كالتالي: «إننّا في غابة من أعطاه الحق ليدخل إلى البار ويغتال فرح الناس يا أخي دع النّاس يختارون حياتهم..رأيته كيف تسلل بلباسه الفضفاض...

- وأنت واش تكون يا سي موح؟
- عبد الله يهدي إخوة الإيمان للإيمان.

---

[1]- واسيني الأعرج: سيدة المقام مراثي الجمعة الحزينة، ص 35.
[2]- المصدر نفسه، ص 48.
[3]- المصدر نفسه، ص 106.

- عبد الله في بار.

- عظام جهنم صوتك عورة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم».[1] هذا يعني أن حراس النوايا أخطر من سلطة بني كلبون، على الأقل هذه السلطة الأخيرة تفرض إيديولوجيتها الفاسدة دون التستر بحجاب الإسلام وادعاء الخير والإيمان.

أخيرا نقول أن كلا الحزبين السياسيين "سلطة بني كلبون"و "حراس النوايا" مارسا إيديولوجية انتهازية رأسمالية، إجحافية وقمعية بحق الشعب الذي أصبح الضحية الوحيدة أمام فساد هذا الصراع الفاسد الظالم. كما أنّه تحول إلى إنسان معدوم الحرية والاختيار.

بعد أن سقط حكم بنو كلبون (جبهة التحرير الوطني) عاد بصيص الأمل والفرح للشعب وفكر أنّه سيتمتع بخيرات الوطن من جهة، والشعور بالحرية من جهة أخرى، لكن خاب أملهم ووجدوا أنفسهم في مستنقع وحرب أخطر من التي ذهبت، سلطة الفيس التي أدخلت الجزائر في العشرية الدموية.

و - مآل الصراعات الإيديولوجية للعنف:

ذهب علماء النفس والاجتماع لتعريف العنف على أنه سلوك يتسم بالعدوانية وإيذاء النفس أولا، ثم إيذاء الأخر ثانيا، ويكون إمّا لفظيا أو بدنيا وفي أحيان أخرى نجده نفسيا. ويذهب عبد اللطيف في كتابه ليرادف مصطلح العدوان بمصطلح العنف، ويعرف العدوان أو العنف في قوله هو :«صورة فعل أو سلوك يقر به شخص أو جماعة بقصد إيقاع الأذى لشخص أو جماعة أخرى، أو للذات أو الممتلكات، ويأخذ العدوان صور العنف الجسمي متمثلا في(الضرب، التشاجر. كما يتخذ صور التدمير وإتلاف الأشياء) والعدوان اللفظي متمثلا في (الكيد، التشهير، الفتنة، التهديد، الغمز،

[1]- واسيني الأعرج: سيدة المقام مراثي الجمعة الحزينة، ص89.

اللمز، النكتة اللاذعة والإيذاء النفسي».[1] فللعنف ثلاثة أنواع الأول جسدي، والثاني لفظي أو قولي أما النوع فهو العنف النفسي.

1- العنف ضد المثقفة العضوية مريم:

عانت بطلة الرواية "مريم " من مختلف أشكال العنف، بدءا من جسدي إلى قولي (لفظي) وصولا إلى نفسي، فقد مارست كل من سلطة بني كلبون وحراس النوايا ظاهرة العنف عليها كثيرا، لكونها متحررة متمردة، غير خاضعة لأوامرهم ولا لأحكامهم التشريعية التي نادوا بها.

تعد الرصاصة الطائشة التي أصابت رأس مريم في «يوم الجمعة 7 أكتوبر من خريف 1998»،[2] أول ظاهرة عنف تحدث لها من قبل السلطة، وقد عاشت مع ألم هذه الرصاصة مدة طويلة، ورغم هذا الألم لم تتوقف عن الرقص بل ضلّت تعذب نفسها بأدائها لحركات الرقص رغم أن الطبيب الفلسطيني نهاها عن الرقص، لأنّه يؤدي إلى موتها فإصرار مريم على الرقص وأداء العروض ما هو إلاّ عنف وتعذيب نفسي لها.

«قالها الطبيب العجوز، ماتت منذ خمس دقائق، وهل يعقل؟ كانت المقطوعة في نهايتها شعرت بشيء يفصلني إلى جزأين متساويين».[3]

فمريم لم تمت بسبب إصابتها برصاصة 7 أكتوبر، وإنّما بسبب تمزق الأنسجة في رأسها عبر التحركات العنيفة التي تقوم بها أثناء الرقص، وهذا كان بسبب السلطة الغاشمة التي عكرت صفو حياتها وكدست عيشها، حتى الشباب ثاروا عليها وشتموها وسبوها ولم تسلم مريم من عنف حراس النوايا فقط، وإنما حتى عمها العباس مارس

---

[1]-عصام عبد اللطيف العقاد: سيكولوجية العدوانية وترويضها، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع،2001، ص97.

[2]- واسيني الأعرج: سيدة المقام مراثي الجمعة الحزينة، ص 8.

[3]- المصدر نفسه، ص217.

العنف وقام بطردها من البيت لكونها تؤمن بالعدالة والمساواة بين الرجل والمرأة أضف إلى أنها تؤمن بمبدأ الحرية والاختيار، «الليلة بابا-عمّي يطردني من البيت».[1] فالعباس لكونه أحد رجال حراس النوايا لم يستوعب كل ما تفعله مريم ولم يكن أمامه إلى أن يطردها من المنزل ، رغم أنه لم يفعل ولم يذكر في الرواية عن هذا الطرد.

وينتقل العنف ضد البطلة من السلطة الإسلامية وزوج الأم إلى زوجها حمودة، الذي توهمت في البداية أنه نعم الزوج ،وأنّه الرجل الذي يناسبها ويراعي مشاعرها من جهةّ، ومن جهة أخرى يتفهمها ويفهم مدى ارتباطها بالرقص، لكنه خيب أملها في أول ليلة لهما، إذ قام باغتصابها وتدمير حياتها غير مهتم لها وإنّما كان يهتم فقط بكلام الناس.«انقض علي مثل الوحش وجرّني إلى الفراش، ربطني من يدي على طرفي السرير...».[2] اغتصاب حمودة لزوجته مريم يدل عل شخصيته العنيفة، والروائي لم يوظف هذه الشخصية عبثا وإنما ليظهر لنا بعدها الاجتماعي، فهو أراد أن يكشف لنا عن تسلط ظاهرة العنف ألذكوري أو الهيمنة الذكورية في المجتمع الجزائري.

كما ذهب حمودة ليمارس على زوجته عنفا لفظيا، بعد أن مارس عليها العنف الجسدي، وذلك بكلامه البذيء العنيف واتهاماته الباطلة ومحاولتها المستمرة الطعن في شرفها وأخلاقها، فنجده يقول لها:«مجرد راقصة، اللّي يسبق يركب فوقك، حيوان أنت وإلا بني آدم؟ ...وإلا عذراء نقية؟».[3] حمودة لم يحترم حب مريم للرقص، ولم يحترمها.

ويعود مرة أخرى ويمارس العنف الجسدي عليها ويضربها «نزل يده الثّقيلة على خدي الأيسر...أخذني من شعري وضرب رأسي على الحائط».[4] وقال لها أيضا«يا الكلبة بنت الكلبة، لكمني على وجهي حتى شعرت بعيني تنتفخان. في اللحظة نفسها

[1]- واسيني الأعرج: سيدة المقام مراثي الجمعة الحزينة، ص 66.
[2]- المصدر نفسه، ص 97.
[3]- المصدر نفسه، ص94.
[4]- المصدر نفسه، ص94.

جرجرني من شعري مثلما يجر كيس الزبالة، يرمى من الطوابق العليا».[1] لم يتوقف حمودة عند إهانتها وذلها وسبها.بل ذهب لينهك شرفها ويتهمها أمام القاضي بأنها رقاصة وزانية «يا سيدي القاضي هذه زانية وتستاهل الرجم، أنت تعرف بللّيّ رقاصة».[2]

لقد كانت بطلة الرواية مريم راقصة البالي من أكثر المثقفين تعرضا للظلم والعنف في الرواية، فمنذ أن أصابها رصاصة أكتوبر 1998، وهي تعيش تحت هاجس السلطة التي تتدخل بين لحظة وأخرى وتمنع عروضها.

2- العنف ضد الأستاذ الجامعي:

مثلما عانت مريم من حكم العصابات و الفيس، نجد الأستاذ الجامعي المتحرر الشيوعي، يعاني من هذه السلطة التي تحاول أن تصعد على العرش فارضة أوامرها على كل مثقف يظهر أمامها.

مارس حراس النوايا العنف الجسدي على الأستاذ الجامعي، وذلك عندما قامت باختطافه وضربه ثم رميه في المزبلة، فنجده يقول:«لم أتفطن إلا عندما نزلت على وجهي لكمة مثقلة بالحقد من الرجل الملتحي، أفقدتني توازني وجزءا كبيرا من وعيي، كنت على الأرض عندما وقف على رأسي.

- يا وحد الخنزير مكانك مش هنا. يا ولد ...سترى ماذا ينتظرك، لم أر وجهه عرفت ملامحه وصوته. لست أدري هل حملني وحده، أم مع مجموعة، فقد وجدت نفسه فجأة في شاحنة كبيرة مخصصة لنقل الزبالة. بين أكياس الفضلات والروائح الكريهة».[3] فالأستاذ هو الراوي نفسه لم ينتبه لهذه الشرطة الإسلامية كما كانت تلقب نفسها إلا عندما انهالت عليه الضربة، ولأنه كان يشرب الكحول قامت برمية بين

[1]- واسيني الأعرج: سيدة المقام مراثي الجمعة الحزينة، ص96.
[2]- المصدر نفسه، ص103.
[3]- المصدر نفسه، ص192.

الفضلات، ويذهب في موضع آخر ليكشف زيفهم وعنفهم فيقول:«أغلق باب الكوميسارية في أنفي بعد أن دفعني عبر الأدراج بقوة. عندما رفعت رأسي وجدت نفسي وجها لوجه مع الرجل الذي أوقفني، تأملني بنوع من الكراهية. لم يستطع أن يخبئ حقده.

-... شيوعي. خلصت(رشوت) البوليسي ولهذا أطلقوا سراحك !!».[1]

مارس حراس النوايا نوعين من العنف على الأستاذ الجامعي، الأول جسدي والثاني لفظي.

ولم تتوقف عند هذا الحد فقط، وإنما واصلت تسلطها وعدوانيتها على هذا الأستاذ وذلك عندما أخبرهم بأنه أستاذ في الفن ويقول الراوي في هذا الموضع:

« واش تخدم

- أستاذ جامعي في تاريخ الفن الكلاسيكي .

- مثلتها في الفستي والكذب أستاذ الفن والفسق والخلاعة»،[2] لقد قللت هذه الجماعة الإسلامية من شأن الأستاذ كثيرا، كما أهانته بكلامها لأنها لا تعترف بالفن ولا بالفنانين.

3-العنف ضد أناطوليا:

تعرضت أناطوليا للعنف كثيرا فهي أيضا لم تسلم بجبروتهم وظلمهم، وخاصة وأّنها أستاذة في الرقص، فهي مثلها مثل المثقفين البطلين، فقد قاموا بتهديدها لعدة مرات كما أنهم حاولوا سرقة منزلها وكسر كل ما له علاقة بالفن والرقص.

[1]- واسيني الأعرج: سيدة المقام مراثي الجمعة الحزينة، ص191.

[2]- المصدر نفسه ، ص 192.

«تعرض بيت أناطوليا للسرقة وتقدمت بشكوى للشرطة قالوا لها البلاد هكذا غابة دغل من أدغال إفريقيا ..وسألوها إن كان قد سرق منها شيء قالت لا املك سوى الأسطوانات وقد كسروها»،[1] من هنا يظهر لنّا أن هذه السرقة لم تكن بهدف السرقة وإنما كسر الفن والقضاء عليه، فكأنهم يريدون أن يقولوا لها هذه المرة كسرنا الاسطوانات، لكن في المرة المقبلة ستكونين الهدف المنشود.

بالغت سلطة حراس النوايا كثيرا بتعنيفها لأناطوليا وإرسال التهديدات لها.إذ أنّ هذه السلطة لم تتوقف عند هذا فقط، بل ماطلت في أفعالها الشنيعة ووصل بها الأمر إلى قتل كلبتها وعلقها في حديقة المنزل، إصرارا منهم مغادرتها الجزائر والعودة إلى موطنها فأرسلوا لها رسالة مفادها: «عودي إلى موطنك أيتها الشيوعية القذرة»،[2] كما نجد في سياق أخر تهديدا لها بمغادرة البلد« طرد أناطوليا بشكل مقرف بعد تلقيها رسالة تنذرها بانهاء العقد الذي يربطها بالمعهد العالي للفنون الجميلة، وأن وجودها في البلد لم يعد مرغوبا فيه... ثم مقتل كلبتها نوروشكا».[3] وقد جاءت هذه الرسالة صريحة جدا أناطوليا لم تعد مرغوبة في الوطن. وطردها بشكل سيء.يدل على رفض الثقافة الغربية والفكر الشيوعي، الذي ينادي بالمساواة والعدالة الاجتماعية وتحقيق التكافئ. لأنها لو بقيت ستزرع هذه الأفكار في عقول المجتمع الذي سيثور على قوانينهم. فأناطوليا تشكل الخطر لهم.

رغم الشكاوي التي قدمتها هذه الروسية للشرطة إلا أن هذه الأخيرة وقفت مكتوفة الأيدي، لم تفعل شيئا سوى غلق ملف القضية. لهذا نجدها تستنجد بمدير المدرسة الذي زاد الطين بلة، وتأفف في وجهها متهما إياها بخلق الفوضى داخل المؤسسة ثم هددها بالطرد ويتجلى هذا في الرواية كالتالي:

---

[1]- واسيني الأعرج: سيدة المقام مراثي الجمعة الحزينة، ص 41.

[2]- المصدر نفسه ، ص 160.

[3]- المصدر نفسه، ص 160.

«انـك تتسـببين فـي فوضـى كبيـرة داخـل المؤسسـة أنـت مجـرد متعاونـة وكفـى».[1] ويضيف قائلا: «بلا ربي ما راكي قاعدة دقيقة في هذه البلاد راح تشوفي وين توصل هذه المهزلة».[2]

لقد عانت أناطوليا من حراس النوايا من جهة ومن طرف مدير المدرسة الذي أصر على طردها من جهة أخرى، لهذا نجدها تستسلم وترضخ أمام الإسلاميين وتقرر العودة إلى بلادها مجبرة دون تحقيق حلمها.

عان المثقف الجزائري من طرف السلطات الغاشمة، التي دائما ما تخدم مصالحها وتسعى وراء براغماتيتها، ليعاني مرة أخرى ويدخل في بقعة العنف والقتل والجور من طرف جماعات تختبئ وراء ستار الدين الإسلامي، وتزعم بأنها تجاهد في سبيل الله. ونجد هذا جليا في الرواية فكل من البطلين المثقفين الأستاذ ومريم عانا من سلطة بني كلبون، وعانا من سلطة حراس النوايا، والفرق الوحيد بينهما أن مريم صارعت وقاومت هذه السلطات الغاشمة إلى أن فارقت الحياة، محاولة تحقيق حلمها في حين نجد كل من الأستاذ الجامعي والأستاذة " أناطوليا" استسلما لهذه السلطات دون المحاولة والكفاح، فالأول قرر الانتحار على جسر تيلملي تاركا وراءه حلمه ووطنه، أما اناطوليا فعادت إلى موطنها.

[1]- واسيني الأعرج: سيدة المقام مراثي الجمعة الحزينة، ص 41.

[2]- المصدر نفسه، ص 42.

الحمد الله الذي أعاننا بهذا العمل المتواضع والذي كان خلاصة جهدنا، ومن خلاله خطونا أولى الخطوات في طريق الألف ميل لبلوغ غايتنا. حاولنا في هذه الدراسة تسليط الضوء على مرحلة حرجة من تاريخ الجزائر المعاصر، ألا وهي مرحلة العشرية السوداء التي دفعت الأدباء الجزائريين إلى كتابة شهادات استعجاليه.

وقد اتخذت دراستنا من رواية "سيدة المقام" واسيني الأعرج أنموذجا للكشف عن مدى تجلي الصراع الأيديولوجي القائم بين السلطة والمثقف خلال أزمة التسعينات.

بعد الخوض في غمار مضمون الرواية قد توصلنا إلى ملاحظات ونتائج أهمها أن رواية سيدة المقام تسجل ضمن الروايات الأيديولوجية من خلال تجسيدها لفكرة الصراع بين أصحاب النظام والجماعات المسلحة.

رواية سيدة المقام تلامس بكثير من الجرأة والعمق ما عاشته الجزائر في الحقبة الدموية، وتطرح قضية خالصة إذ تناول فيها واسيني الأعرج أزمة الهوية والذات، وكل المتناقضات التي عرفتها الساحة السياسية في تلك الآونة.

شخصيات الرواية تنوعت بين المتفائلة والمتشائمة، فمريم كانت نموذج للشخصية المتحدية للواقع ومشاكله، الحالمة الطموحة التي تسعى للوصول إلى غايتها، بينما الأستاذ كان نموذجا للشخصية المستسلمة للواقع، اليائسة الحزينة التي فقدت الأمل في كل شيء.

برزت الشخصيات النسائية أيضا، وبرز معها مدى قوتها لمواجهة الطرف الأخر المتمثل في سلطة وحراس النوايا، على رأسها نذكر مريم فهي نموذج للمرأة الصامدة المناضلة.

الأماكن التي جرت فيها أحداث الرواية هي أماكن حقيقية مستوحاة من واقع الجزائر، ويمكن أن نميز فيها بين الأماكن المغلقة والمفتوحة، وهي تقسيمات هامة في عملية السرد، فالمكان يقتضي دلالات أيديولوجية مست الجانب السياسي والاجتماعي والثقافي.

ركز الروائي على فضاء المدينة "الجزائر" حيث اعتبرت فضاء للصراعات الأيديولوجية، فهي فضاء عكست جل الأحداث التي كانت تدور فيها.

زمن الرواية كان زمنا متكسرا، يدل على حجم القلق الذي يحيط بتلك الفترة وقد كان واقعيا غير خياليا، إذ يحيل إلى فترة تأزمت فيها الأوضاع بالجزائر.

اعتمد واسيني على مختلف التقنيات السردية، فالشخصية تعود إلى الوراء لسرد أحداث ماضية، وهي تقنية اعتمدها الكاتب لتوضيح أحداث تكون غامضة بالنسبة للقارئ، وقد تلاعب واسيني بالزمن فنهاية القصة بات في مقدمتها واللحظة الحاضرة آخر ما يروي، فهذا التلاعب إن دل على شيء فهو يدل على حجم المأساة والصراع.

إن الشعب الجزائري هو الضحية الوحيدة بين كل هذه الصراعات الايديولوجة، إذ أن كل من السلطة "حراس النوايا" و سلطة "بني كلبون" يحاول فرض إيديولوجيتها الفاسدة على الشعب، رغبة في الاستيلاء على الحكم واعتلاء كرسي السلطة، وقد نتج عن هذا الاحتدام الدم والعنف.

استطاع واسيني أن يصور لنا تهميش وتعنيف المثقف الجزائري، مستندا بذلك إلى الواقع، فهو يصور العنف تصويرا أدبيا محافظا على جمالية النص الروائي، هذا ما زاده إبداعا فوق إبداعه.

اهتم واسيني الأعرج في عمله بدرجة أكبر بالطبقة المثقفة ويتبين ذلك في إعطاء البطولة للأستاذ الجامعي، ومريم راقصة البالي، لإدراكه الدور الفعال لهذه الفئة في المجتمع.

إن رحلتنا هذه جاهدة للارتقاء في البحث والتحليل لكنه يبقى عملا يحمل الكثير من النقائص، رغم اجتهادنا الكبير في إخراجه بأحسن صورة، فإن أصبنا فذلك مرادنا، وإن أخطئنا فلنا شرف المحاولة والتعلم.

وفي الأخير نرجو أننا قد وفقنا ولو بالشيء القليل في إعطاء لمحة وجيزة عن الصراع القائم بين السلطة والمثقف في الرواية الجزائرية. وقد أفدنا واستفدنا في هذا العمل المتواضع ونتمنى أن تكون نقطة نهاية بحثنا هي نقطة بداية أخرى في هذا الموضوع، وما كان من توفيق فمن الله وحده، وما كان من سهو أو نسيان فمن أنفسنا والشيطان.

قائمة المصادر والمراجع:

أ/المصادر:

1- القرآن الكريم.

2- أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القريشي الدّمشقي: تفسير القرآن العظيم، تح سامي بن محمد السلامة، ط1، 1998، ط2، 1999، ج6،دار طيبة للنشر والتوزيع.

3- واسيني الأعرج: سيدة المقام مراثي الجمعة الحزينة، ط1، منشورات الفضاء الحر، الجزائر، 2001.

ب/ المراجع:

1: المراجع العربية:

-1 أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900 ج1، ط1، ،دار الغرب الإسلامي بيروت – لبنان، 1992.

2- أبو قاسم سعد الله: أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج4، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1996.

3- أحمد مرشد: البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت- لبنان، 2005.

4- أحمد العدوالي: بداية النص الروائي لمقاربة تشكل الدلالة، ط1، المركز الثقافي العربي، النادي الأدبي برياض، 2001.

5- أمين الزاوي: صورة المثقف في الرواية المغاربية، الفهوم والممارسة، دار النشر راجعي، الجزائر 2009.

6- بلقزير عبد الإله: الانتقال الديمقراطي في الوطن العربي، العوائق والممكنات في علي خليفة، الكواري وآخرون، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2002.

7- بشير بلاح: تاريخ الجزائر المعاصر من 1830-1989، ج1،دار المعرفة،2006

8- جيلالي بوبكر: البناء الحضاري عند مالك بن نبي، دار المعرفة الجزائر، 2010.

9- حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي،ط1990 1، المركز الثقافي العربي.

10- حمدان بن عثمان خوجة: المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، تصدير عبد العزيز . ANEPمنشورات 2005 بوتفليقة

11- الحبيب السايح: مذنبون لون دمهم في كفي، دار الحكمة،2008.

12- حيدر علي محمد: إشكالية المثقف عند غرامشي، رسالة مقدمة إلى جامعة بغداد بكلية الآداب قسم الفلسفة، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في الفلسفة إشراف الأستاذ مدني صالح، 2004.

13- زينب نجيب: الموسوعة العامة لتاريخ المغرب، ج3، دار الأمير للثقافة والعلوم، ط1، بيروت، 1937.

14- زهية منصور: المثقفون بين الصراع الإيديولجي ولعبة المصالح الشروق اليومي، ع2006 1296.

15- سعيد محمود رحيم: المثقف الذي يدس أنفه، ط الأولى2016، دار سطور للنشر و التوزيع بغداد، شارع المتنبي، مدخل جديد حسن باشا

16- شكري المبخوت: الطلياني، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر، تونس، 2014.

17- صلاح علي نيوف: مدخل إلى الفكر السياسي الغربي، الجزء الأول، كلية القانون والعلوم السياسية، الأكاديمية العربية، دنمارك.

18- الطاهر وطار:الشمعة والدهاليز، موفم للنشر، الجزائر، 2007.

19- طه حسين: مستقبل الثقافة في مصر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر-القاهرة،2012.

20- عبد الله العروي: مفهوم الإيديولوجيا، ط 8، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب،2012.

21- عبد الحميد المريسني: الحركة الوطنية المغربية من خلال شخصية الأستاذ علال الفاسي إلى أيام الاستقلال، مطبعة الرسائل، الرباط -المغرب1978.

22- عبد الرحمن بن زيد الزبيدي: المثقف العربي بين العصرانية والإسلامية، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ط الأولى، المملكة العربية السعودية، الرياض 200.

23- عبد الكريم غلاب: ملامح من شخصية علال الفاسي، مطبعة الرسالة، 1974.

24- عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية، العدد240، دار المعرفة.

25- عصام عبد اللطيف العقاد: سيكولوجية العدوانية وترويضها، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع،2001.

26- علال الفاسي: الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ط6، الدار البيضاء.

27- علي تابليت: فرحات عباس رجل دولة، ط2، منشورات ثالة الجزائر 2009.

28- عمورة عمار: موجز في تاريخ الجزائر، دار ريحانة للنشر والتوزيع، ط1، 2002.

29- العروي عبد الله: ثقافتها في ضوء التاريخ، ط 1997 4 ، المركز الثقافي العربي.

30- العروي عبد الله: مفهوم الدولة، ط10، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب،2014.

31- عبد الوهاب الكياني وأخرون: موسوعة السياسة، ج3، ط2، المؤسسة الغربية للدراسات و النشر، 1993.

32- فرحات عباس: غدا سيطلع النهار، تر حسين البراش، وزارة الثقافة.

34- فاطمة برهوم: بيت النار، أصوات المدينة، ط1، قسنطينة، 2004.

35- محمد ديب: ثلاثيته؛ الدار الكبيرة، الحريق، النول، تر سامي الدروبي، دار الوحدة للطباعة والنشر- لبنان 1985.

36- محمد ديب: ثلاثيته:الدار الكبيرة الحريق ،النول، تر سامي الدروبي1985، دار الوحدة للطباعة والنشر.

37- محمد الشيخ: المثقف والسلطة، دراسة في الفكر الفلسفي الفرنسي المعاصر، ط1، 1991، دار طليعة للطباعة والنشر.

38- مجموعة من الباحثين: الأدب المغاربي اليوم - قراءات مغربية- ط1، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2006.

39- محمد الأشعري: القوس والفراشة، ط2011 2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب.

40- محمد شريف عباس: من أمجاد الجزائر1830-1962 منشورات المتحف الوطني للمجاهد 2009.

41- محمد الطيب عقاب: حمدان خوجة رائد التجديد الإسلامي، صدر عن وزراة الثقافة بمناسبة الجزائر، عاصمة الثقافة العربية 2007، الطباعة الشعبية للجيش.

42- مالك بن نبي: مذكرات شاهد للقرن، القسم الأول: الطفل 1905-1930، القسم الثاني: الطالب 1930-1939 ، ط1984 2، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر بدمشق.

43- مالك بن نبي: مشكلة الثقافة، تر عبد الصبور شاهين، دار الفكر المعاصر، ط4، بيروت-لبنان، 1984.

44- مجيد طراد: ديوان أبي القاسم الشابي ورسائله، ط2، دار الكتاب العربي بيروت، 1994.

مولود فرعون: ابن الفقير، تر نسرين شكري، ع2097، ط الأولى 2014، المركز القومي للترجمة.

45- محمود قاسم: الأدب العربي المكتوب بالفرنسية، الألف كتاب الثاني ع233، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1966

46- مصطفى فاسي: لبناء الشخصية في حكاية عبدو والجماجم والحبل مقاربة في السرديات، منشورات الأوراس، الطبعة2007.

47- ناصيف نصّار: منطق السلطة، مدخل إلى فلسفة الأمر، ط1، دار الأمواج، بيروت-لبنان،1995 .

48- ناصر سعيدوني: عصر الأمير عبد القادر الجزائري، راجعه وأشرف عنه الباحث في الأمانة العامة للمؤسسة ماجد الحكواتي،2000 .

49- نبيل فاروق: المرأة مشكلة... صنعها الرجل، المبدعون للنشر و الإعلام، ص25.

2/ المراجع المترجمة:

1- أندرو هيوود: النظرية السياسية مقدمة، تر لبنى الريدى، ط1، المركز القومي للترجمة، الجزيرة، القاهرة، 2013.

2- إدوارد سعيد، خيانة المثقفين- النصوص الأخيرة، تر اسعد الحسين، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، سوريا- دمشق،2011.

3- إدوارد سعيد: السلطة و المثقف، تر محمد عناني، ط2006 1، رؤية للنشر والتوزيع القاهرة.

4- جان بول سارتر: دفاع عن المثقفين، تر:جورج طرابليشي ط1، 1973م، دار الآداب بيروت مكتبة بغداد.

5- علي الشريعتي، مسؤولية المثقف، تر إبراهيم الدسوقي، دار الأمير، ط1، بيروت- لبنان، 2005.

6- غاستون باشلار: جماليات المكان، ترغالب هالسا، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسة والنشر والتوزيع، 1984.

7- غوستاف لوبون: روح الثورات والثورة الفرنسية، تر محمد زعيتر، ط2، المكتبة العصرية، القاهرة، 1934.

ج/المعاجم والقواميس:

1/ المعاجم و القواميس العربية:

1- ابن منظور: لسان العرب، تح عبد الله علي الكبير، محمد أحمد الله هاشم، محمد الشاذلي، مجلد الأول ط1، دار المعارف 1119 م، كورنيش القاهرة ج.م.ع.

2- ابن منظور: لسان العرب، م 7، دار صادر بيروت، 2003.

3- أحمد زكي بدوي: معجم المصطلحات السياسية والدولية انجليزي- فرنسي- عربي- دار الكتاب المصري- القاهرة 1989.

4- الفيروز أبادي: قاموس المحيط، تح محمد العرقسوسي، ط8، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان،2005.

5- فيروز أبادي: قاموس المحيط، ج1، دار الكتب العلمية بيروت لبنان،1999م.

6- عبد المنعم الحنفي: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي القاهرة، ط 3، 2000.

2/ المعاجم والقواميس المترجمة:

1- اندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، تع خليل أحمد خليل، مجلدA-G منشورات عويدات، ط2001 2 .

3/ المعاجم الأجنبية:

le petite la rousse grand forma ; imprime en Belgique. ed 2001.- 1

د/المـــــــجلات:

1- إسـعاف محمـد، المثقـف العربـي: إشـكالية الـدور الفاعـل، مجلـة جامعـة دمشـق، م30،العـدد 4+5.

2- بعيطـيش يحـي: خصـائص الفعـل السـردي فـي الروايـة العربيـة الجديـدة، مجلـة كليـة الآداب واللغات، ع8، جامعة منتوري - قسنطينة – 2011.

3- رقيـة رسـتم يـور ملكـي، أميـر فرهنـك نيـا: ملامـح المقاومـة فـي شـعر أبـي القاسـم الشـابي، مجلـة دراسات في دراسات اللغة العربية وآدابها، ع4، 2014.

4- سـعيد جـيلاوي: الصـراع الثقـافي بـين الاسـتعمار والثـورة الجزائريـة، دراسـة مـن خـلال مجلـة الفكر التونسية ،1955-1962 العدد14 اكتوبر2013.

5 - طويـل سـعاد: المدينـة فـي روايـة "سـيدة المقـام" لواسـيني الأعـرج، مجلـة المخبـر، ع4، قسـم الأدب العربي، جامعة بسكرة، 2008.

6- عزمـي بشـارة: عـن المثقـف والثـورة، مجلـة تبـين العـدد الرابـع، ربيـع 2013، المركـز العربـي للأبحاث ودراسة السياسيات.

7-علـي رحمـاني، نـاجي صـالحي: الهويـة وجدليـة المركـز والهـامش فـي روايـة نجمـة لكاتـب ياسين، مجلة المخبر، العدد العاشر2014، ص156.

8- غـيلان سـمير طـه، سـامي صـالح السـادة : فرحـات عبـاس ودوره فـي السياسـة الجزائريـة 1899-1985 مجلة جامعة تكريت للعلوم، مجلد 19، العدد1، كانون الثاني.

9- غنيـة كبيـر: النّقـد الأكـاديمي الغربـي وتلقيـه للروايـة الجزائريـة التأسيسـية والتأصـيلية، اليـوم الدّراسـي الـوطني الثالـث حـول السـرد" فالسـفة السـرد" يـوم 10-04-2016، فـرع ولايـة بـرج بوعرريج.

10- كربيـع نسـيمة: أبعـاد الصـراع الإيـديولوجي لشخصـية الفنـان فـي روايـة بمـا تحلـم الـذئاب لياسمينة خضرا، مجلة الأثر، ع 14 جوان 2012.

11- مبـروك قـادة: إشـكالية الانتمـاء القـومي لـلأدب الجزائـري المكتـوب باللغـة الفرنسـية، المخيـال والأدب، العدد 9 سبتمبر- ديسمبر 1999.

12- محمد خان: الأدب الإصلاحي في الجزائر: دراسة الأدب حوحو ج2، مجلة العلوم الإنسانية العدد2، جوان 2002.
13- نور الدين بولحية: الاستعمار الكلاسيكي وجرائمه في حق الشعوب- الاستعمار الفرنسي للجزائرنموذجا، مجلة أفاق علمية، ج10، ع01، جامعة باتنة، 2018.

ه/الجرائد والندوات:

1- أمين الزاوي :الجزائر من فوبيا المثقف إلى الشعوبية القاتلة، جريدة العرب،ع 11270 2019.

2- بوعلام غبشي: مثقفون جزائريون الشباب يكتب على أنقاض فشلنا في التغير،فرانس 24.
فريد لمريني، مفهوم المثقف المغربي، جريدة هسبرس الالكترونية، ع12، المغرب،2016.
3- عبد الحميد ختالة: اندماجه في الشارع يدفع للتساؤل هل يحسب له أم يحسب عليه، جريدة النصر،ع23 16001أوت2019.

4- محمد بن ساعو: الحراك جعل المثقف بحاجة إلى قراءة مجتمعه، جريدة النصر، ع16001، 23اوت2019.
5- مريم.ن: بوكبة يرصد في كتابه رماد يذروه السكون تأملات في حراك الجزائر، جريدة المساء ع6883، 23أوت2019.
6- ندوة وطنية حول سيرة الأمير عبد القادر المجاهد الأديب والمتصوف، الخميس 30 أبريل 2005، بقاعة مخبر البحوث والدراسات الاستشراقية في حضارة المغرب الإسلامي، كلية التكنولوجيا، مقر مخابر البحث رقم .12.

الفهـــــرس

1/ مقدمـــة.

2/ مدخـــــل: المثقف و السلطة الماهية والمفهوم.

مفهوم المثقف:

1- المثقف في القرآن الكريم.....ص 2 .
2- المثقف في التراث الغربي.....ص 3.
3- المثقف في التراث العربي.....ص 5.
4- مفهوم المثقف عند غرامشي.....ص 7.

مفهوم السلطة:

1- مفهوم السلطة في القرآن الكريم.....ص16.
2- مفهوم السلطة في التراث الغربي.....ص17.
3- مفهوم السلطة في التراث العربي.....ص19.
4- أنواع السلطة.....ص 22.

3/الفصل الأول: دور المثقف في الوطن العربي.

1- دور المثقف في المشرق العربي.....ص 28.
2- المثقف في المغرب العربي من الاستعمار إلى الاستقلال.....ص34.
3- صراع المثقف المغاربي مع المستعمر وموقفه منه.....ص56.
4- صراع المثقف المغاربي مع مجتمعه.....ص70.
5- المثقف وموقفه من الصراعات السياسية والنظام الحاكم.....ص79.
6- الحراك الشعبي في الجزائر..... ص89.

الفصل الثاني: النزوع الإيديولوجي لرواية سيدة المقام.

1- الشخصيات دلالتها ووظيفتها الإيديولوجية.....ص93.
2- التوظيف الإيديولوجي لزمن ومكان الرواية.....ص102.

3- البعد الإيديولوجي للأحداث.....ص119.
4- إيديولوجية رواية سيدة المقام.....ص127.
5- مآل الصراعات الإيديولوجية للعنف .....ص135.

4/خاتـــــــــمة.

5/ قائمة المصادر والمراجع.

ملخص:

تعــرض روايــة الأزمــة عمومــا وروايــة ســيدة المقــام لواســيني الأعــرج خصوصــا، الصــراع الإيــديولوجي بــين المثقــف والســلطة السياســية مــن جهــة وبــين المثقــف والجماعــات الاســلاموية مــن جهــة أخــرى والتــي تتســتر وراء حجــاب الــدين الإسـلامي والجهـاد فـي سـبيل الله رغبـة فـي اعـتلاء عـرش السـلطة والحكـم. كمـا تكشـف لنـا هـذه الروايـة عـن معانـاة المثقـف خـلال هـذه الفتـرة ووقوعـه بـين المطرقـة والسـندان بين نار السلطة وجحيم الإرهاب.

الكلمات المفتاحية:

الصراع الإيديولوجي- المثقف –السلطة- الجماعات الإسلاموية.